

فى محاسن أهل العصر

لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى

المتوفى فى سنة ٤٢٩ من الهجرة

بتحقيق

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

الجزء الثانى

يطلب من ناشره

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها : محمود توفيق

مطبعة حجازى بالقاهرة

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

بتحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

الجزء الثاني

تطلب من ناشره

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها ، محمود توفيق

مطبعة حجازي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين ،
وعلى آلهم وأصحابهم .

الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمت قلبي فكن أنت الدواء له ولا تدعه بأيدى الشوق مخترما(١)
عيناى أورثتاه سقمه نظرا رضيت دمعى من عينى منتقما

وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ضعفت نواظرها من الخفر(٢)
وحديثه أشهى لسامعه من نغمة الشادى على الوتر(٣)
ورضابه أشهى على كبدى من رى عذب بارد خصر(٤)
وكأن قلبي حين يفقده ما بين ذى ناب وذى ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس فى عينى مبتسما وأعذب الخلق عندى منطقاً وفما
حلت بقلبي من عينيك نازلة من الهوى صيرتنى فى الورى علما
لم تبق جارحة منى أقلبها إلا بعثت عليها بالهوى سقما
فارحم مقام محب ما شكا وبكى تبرما بالذى يلقى ولا ندما(٥)

وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عيناك شاك شكا الحب إلى شاكى
يقصر من ذكرك ليلى على أنى عليه ساهر باكى

---

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اخترمته المنية ، مثلا ، والمقصود أنه هالك
(٢) الخفر ــ بفتح الخاء والفاء جميعا ــ الحياء ، أو أشد الحياء
(٣) الشادى : المغنى ، شدا يشدو شدوا ، والوتر : آلة من آلات الموسيقى
(٤) الخصر ــ بفتح الخاء وكسر الصاد ــ البارد
(٥) التبرم : الملل والضجر والسآمة ، و « ندم » فعل معطوف على « شكا »

ولى فؤاد يستجير من الـــشوق إلى برد ثناياك
سيدق لو كنت أبصرت ما يصنع بى حبك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنار لى وجهه ليــــلا غفلت به بدراً تماماً على الآفاق يطلع
ومر يثنى دقيق الخصر يجذبه ردف ، فقلت:ادركوه قبل ينقطع[١]

وقوله [من الوافر] :

أجلك أن تحل بك الأماني فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمثلك التمني حذاراً أن يبوح به لساني
ولو أني استطعت لفرط نجوى عليك لما رآك الخافقان
وما أشكو إليك بغير دمعي بيان الدمع أعرب من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط وحب من شفني بالروح مختلط
حملت قلبي أن يسلو تذكره فقال إن الذي حملتني شطط
تسومني الصبر عن روحي وتمنعني عن ذكره ، إن ذا من رأيك الغلط

وقوله [من الوافر] :

ترى العشاق لاقوا ما ألاقي فقد بلغت بي النفس التراقي ؟
حصلت من الهوى بأمر سوء وكنت أرى الهوى عذب المذاق
أنا العبد الذي لا عتق يرجو ولا يجد السبيل إلى الإباق

وقوله [من الطويل] :

وما سرني أن الهوى غير صاحبي وأن خراج العشميين في ملكي[٢]

(١) في رواية أخرى ... أدركوه ... يستقيم به الوزن
(٢) العشميين ... جمع عشمي ... وهو ... منسوب إلى عبد شمس ... وعلى ...

ولا كنت أرضى أن أرى متحليا ... من الحب لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى ... على أنف العشاق من نفحة المسك

وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى ... فإن خلاف الصبر عندى أحمد
إذا كان قلب المرء لا بألم النوى ... ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الشفتين عذب الريق ألمى(١)
مختصر شاربه عسلا ... درا يريك الدر نظما
لو زارنى طيف له ... عند الهجوع ولو ألما
لأعاد روحا أو لفر ... ج من هموم النفس هما

*

أحمد بن عبد ربه الأندلسى ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

سكرت على عواذلى ملحيتى ... وعلى الذى لم يعد بى أعدبنى
أيها عليك فقد كبرت عن الصبا ... ونهى المشيب عن الذى تنهينى
أنى وكيف وقد رأين تغيرى ... عن عهدهن إذا العيون رأينى

= عذرى ، وعبشمى ، وعبقسى ، فى النسب إلى عبد الدار وعبد شمس وعبد القيس . وعليه جاء قول الشاعر ، وهو عبد يغوث بن وقاص الحارثى :

وتضحك منى شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

وأراد بالعبشميين بنى أمية

(١) ألعس : وصف من اللعس ، وهو سواد مستحسن فى الشفة . والألمى الوصف من اللمى ، وهو أيضا سمرة فى الشفة

وعلى مفارقة الشباب شمتن بى   وعلى معاداة الصبا عادينى
أدنينى حتى إذا التهب الجوى   أقصينى أضعاف ما أدنينى
وفتنى بلواحظ تشكو الضنى   دائى بهن ، وربما داوينى
يذكين فى قلبى وبين جوانحى   حرقا بنار جحيمها أصلينى

ومنها أيضا :

يا ابن الخلائف ، إن أيام الغنى   أيامك الغر التى أغنينى
بنوالها وسجالها وثمالها   أسقينى حتى لقد أروينى

وقوله [من الكامل] :

وصحائح مرضى العيون شحائح   بيض الوجوه نواعم الأبشار
أضنيننى بلواحظ تشكو الضنى   وكسوننى ماهن منه عوارى
بجوى حوته مهجتى عن مقلتى   والجار قد يشقى بذنب الجار

وله فى العذار [من الكامل] :

ياذا الذى خط الجمال بخده   خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم   حتى لبست بعارضيك حمائلا

وفى مثله [من الكامل] :

ومعذر نقش الجمال بمسكه   خداً له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه   من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقوله [من الوافر] :

مطلنا أمامه بالأمانى   ولج بنا البعاد من التدانى
إذاماقلت . أين الوصل؟ قالت: طلبت العز فى دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمام الهوى أمت بإنسه   ربحسك العقار أقضى عليه

بأبي من زها على بوجه كاد يدمى لما نظرت إليه
كلما علني من الراح صرفا علني بالرضاب من شفتيه
ناول الكأس واستمال بلحظ فسقتني عيناه قبل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيها البدر الذي حسـن علينا بالطلوع
ابغ لي عندك قلبا طار من بين ضلوعي
يا بديع الحسن كم لي فيك من وجد بديع

وقوله [من الطويل] :

وساحبة فضل الذيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي : أطعني وخذ من وصلها بنصيب

وقوله من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي ما خددت العبرات من خدي (١)
نام الخلي عن الشجي به وجفا الملول وجد في الصد
كنت الشفاء فصرت لي سقما أبدا تتوق إلى هوى مردي (٢)

وقوله من الطويل :

سقوني حمامي يوم سافوا حمولهم فرحت وراحوا بين ساق وسائق
وأخرس لفظي وهو ليس بأخرس وأنطق دمعي وهو ليس بناطق
فيا بأبي تلك الدموع التي همت فدلت على مكنون تلك العلائق

---

(١) ينبيك : أصله ينبئك فسهل الهمزة بقلبها ياء مع تحركها وتحرك ما قبلها ، وخددت : أثرت ، وجعلت خدودا أي شقوقا
(٢) تتوق : تشتاق وتميل أشد الميل ، والمردي : المهلك

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودعتني مقلة — أوحت إلى جفونها بسلام
وتطلعت بين الحدوج كأنها — شمس تطلع في خلال غمام(١)
وشكت تباريح الصبابة والهوى — بمدامع نطقت بغير كلام
كمهاة رمل قد تربعت الحمى — بين الظباء العفر والآرام(٢)
حتى إذا ضرب المصيف رواقه — صافت بظل أراكة وبشام(٣)

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة — إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع — عليها، ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخنت بالأمس عين قريرة — وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة — على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرة بعث الأسى — لها زفرة موصولة بحنين
بلى ربما حلت عرى عزماته — سوالف آرام وأعين عين
لواقط حبات القلوب إذا رنت — بسحر عيون وانكسار جفون
وريط من الموشي أينع تحته — ثمار صدور لا ثمار غصون
برود كأنوار الربيع لبسنها — ثياب تصاب لا ثياب مجون
قرن نجوم تيه على نور أوجه — جنن بها الألباب أى جنون

---

(١) الحدوج : مراكب للنساء كالمحفة . واحدتها حدج ، بكسر الحاء .
(٢) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة . أو في سراتها احمرار . والآرام : جمع رئم . وهو ولد الظبية .
(٣) صافت : أي قضت زمن الصيف . والبشام ، بفتح الباء [illegible] السحاب شجر عطر الرائحة .

وجوه جرى فيها النعيم فكللت ... بورد خدود يجتنى بعيون
سألبس للأحزان ثوب تصبر ... وإن لم يكن عند اللقا بحصين
وكيف ولى قلب إذا هبت الصبا ... أهاب بشوق فى الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

وناءح فى غصون السدر أرقنى ... وما عنيت بشىء ظل يعنيه
مطوق بعقود ما تزايله ... حتى تزايله إحدى ترافيه
قد بات يبكى لشجو ما دريت به ... وبت أبكى لشجو ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يميس فوق كثيب ... طيب المجتنى لذيذ العناق
قد تغنى كما استهل يغنى ... ساق حر مغرد فوق ساق(١)
ينثر الدر فى المسامع نثراً ... بين در منظم متساق
وافتضضنا من العواتق بكرا ... نكحت أمها بغير صداق
ثم بانت ولم تطلق ثلاثا ... لم تبن حرة بغير طلاق
ديننا فى السماع دين مدينى ، وفى شربنا الشراب عراقى(٢)

وقوله من الوافر :

سرى طيف الحبيب على البعاد ... ليصلح بين عينى والرقاد
فبات إلى الصباح يدى وساد ... لوجنته كما يده وسادى
بنفسى من أعاد إلى نفسى ... ورد إلى جوانحه فؤادى
خيال زارنى لما رآنى ... عدتنى عن زيارته عوادى

---

(١) ساق حر : هو ذكر القمارى المعروف بالحمام القمرى ، سمى بذلك لأن حكاية صوته ساق حر

(٢) يريد بالمدنى المنسوب إلى عالم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، وبالعراقى المنسوب إلى عالم العراق أبى حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ

يواصلنى على الهجران منه ويدنيق على طول البعاد

وقوله من الطويل[١] :

وريان من ماء الشباب تهاتفت به نشوات من صبا ودلال

كما اهتز بان من أكاليل روضه تلاعبه ريحا صبا وشمال

تعلم منه الهجر طيف خياله هدوآ فما يلقاه طيف خيال

وأعرض حتى عاد يعرض فى المنى ويمنع ذكراه الخطور ببالى

وقوله | من الكامل :

بأبى غزال صد بعد وصاله ورها على بحسنه وجماله

سلب الكرى عينى وأنسانى الكرى وحمى خيالى من لقاء خياله[١]

وقوله من البسيط | :

مستوحش[٢] من جميع الناس كلهم كأنما الناس أقذاء على بصرى

وقوله من الطويل :

أما والذى سوى السماء مكانها ومن مرج البحرين يلتقيان

ومن فوق الأوهام من غير رؤية أنت من إدراك كل عيان

ما خلقت كفاك إلا لأربع عقائل لم يخلق لهن بدان

تقبيل أفواه ، وإعطاء نائل وتقليب هندى ، وحبس عنان

[illegible] بن سعيد المرادى

[illegible] | من [illegible]

[illegible] المستوفى على [illegible]

[illegible] أن الموت فى صدره

[illegible] وهلاك الصب فى نظره

١ [illegible] ويطلق على النوم

وقوله [من الكامل] :

قمر يسبي ذوى العقول أنيقا   ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله   درا يصير من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه   أبصرت وجهك فى سناه غريقا

وقوله [من الكامل] :

برح الخفاء فأعتبى أو عاتبى   فهواك سد على رحب مذاهبى
لو كنت أعلم لى سوى فرط الهوى   ذنباً إليك لكنت أول تائب
يا ظالما لا يستفيد بظلمه   متعتبا فى الحب غير معاتب
هلا عطفت على عطفة راحم   لما ذللت إليك ذلة راغب

الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عينى جفونك أم خمرا   فقد رحت ملآن الجفون به سكرا
وشعراً أرانى صبح وجهك أم دجا   ووجهاً جلا إظلام شعرك أم فجرا
وجسم تثنى بين ثوبيك ناعم   أم الغصن اللدن اكتسى ورقاً خضرا

وقوله [من الخفيف] :

رب خمر شربتها من جفون   ورياض جنيتها من خدود
إذ يشج اللثام ريقا بريق   ويلف العناق جيدا بجيد
تحت ظل من النعيم ظليل   وبقاء من السرور مديد

وقوله [من الخفيف] :

بت بين الضلوع نيران شوق   وغليلا يذوب منه الحديد
وحنيناً إليه فى طول ليل   ما إلى الصبح من دجاه وصول

غاب صبري الجميل إذ غاب عنه   وجهه عن المليح الجميـــل

وقوله [من الخفيف]

إن بين الضلوع شوقا دفينا   ترك القلب والهاً مستكينا

يا غزالا يصبي القلوب هواه   وهلالا يصبي سناه العيونا

أنت عين الصبابة والحسـن   صيرت الجميل فيك الصبيا

وقوله [من البسيط]

لا أرعوي وإن لم أقض من وطري   إلا لبانة أشواق ومدكر

أكف كفي وأثني من تقلبه   قلبي وأقصر من همي ومن نظري

* *

يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل]

هو ظالمي لكن أرق عتبه   من أن أحيل المحض في حبيه

أغضيت رفقا وحشمة من أدبي   عني وما أغضيت من عينيه

وكأن [illegible] خده كسي حمرة الــياقوت من نظر العيون إليه

وقوله [من الوافر]

[illegible] و [illegible]   [illegible] لو لحظت المراصي

[illegible]   مدى عمري وليس له تقاصي

[illegible]   [illegible] البرد مشتط ورص

[illegible]   وأعطيك الأمان من المعاصي

عبد الله بن إسمعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ⁂ ما يجلبان إلى قلبي من الفكر
قد كنت أسمع عمن لست أذكره ⁂ خوفاً عليه من التصريح بالذكر
سمعت حتى إذا أبصرت قلت له : ⁂ يا حاش لله ما هذا من البشر

* * *

سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعي فلا كان أعمى بالبكا بصري ⁂ وقاد قلبي إلى الأحزان والفكر
فإن بكت مقلة من فقد من عرفت ⁂ فقد بكيت بمن لم أدر بالنظر
ياواصفيه رويدا إن وصفكم ⁂ لم يبق من جلدي شيئاً ولم يذر
قالوا بدا فعلطنا بالسرار له ⁂ لما تبلج منه الليل القمر

وقوله [من الكامل] :

سقم الأحبة للقلوب سقام ⁂ وإذا القلوب سقمن فهو حمام
لله بدر قد تنقص نوره ⁂ بالسقم . وهو لما سواه تمام

وقوله [من المتقارب] :

بكيت ومثلي بكى بالوداع ⁂ وعاصى العزاء بسوق مطاع
ولم أجد الصبر يوم النوى ⁂ ولا كان من قبله في طباعي
ولو كنت لا أبك من سهم ⁂ بكيت على عهد حب مضاع

وأنشدني بعضهم شعره [من الوافر] :

كلامك بين ريقك . ذا بهذا ⁂ مزاج سلافة حلو عذب
فلو أني إذا أسمعت هذا ⁂ شربت بذاك صاح على نحب

فان أبصرتنى منه صريعا فغالط فى هواى وشاتصحبي
وقل هو نشوة من خمر حب فإن الدن قد يدعى بحب

* * *

يحيى بن عبد الملك بن هذيل
رحمه الله تعالى !

أنشدنى له [من الخفيف] :

لا تلم هائما قد استحسن الوجـــد وكل أمره إلى استحسانه
فأنا الطائع المشوق لمن صا ريرنى الهوان فى عصيانه
مر بى خاطرا يكاد من العجـــب به أن يراع فى ريعانه
فى ملاء كأنه وهو فيها ورد خديه فى جنى سوسانه
يشتكى بالفتور من كسل المشـــى ولا يشتكيه من أجفانه
ولقد شفنى وأسهر طرفى لمع برق يزف فى لمعانه
شمته والظلام يفتر عنـــه كافترار الزنجى عن أسنانه

وقوله من الطويل :

ألا عوده من طيفه فيرى حالى ألا يا ادكارى لذكرى لى أتى تالى
يكاد يضيق الجو من عظم زفرتى وتهفو نجوم الليل من فرط إعوالى
أبى غير تعذيبى ولو أمر الردى أطاع ولكن معله هو أنكى لى

وقوله من الخفيف] :

والثريا دنت من البدر حتى خلتها دارعا يدير مجنـــة

وقوله [من الكامل :

ومزنة والبرق ينسج فوقـــا بردين من نور وظل باكى
مالت على طى الخناح وإنمـــا جعدت أريكتنا فضبب أرائك

وقوله في الخضاب [من الكامل]

لما رأت شعري تغير لونه ورأته محتجبا وراء حجاب
قالت:خضبت،فقلت :شيبي إنما لبس الحداد على ذهاب شبابي

**

قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع]

استحسنت الأغصان من قده وحار ماء الحسن في خده
إني لمشتاق إلى ريقه طوبى لمن يرتشف من برده

محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له من الخفيف

يا سقيم الجفون من غير سقم حاش لله أن تنوء بإثمي
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي وجعلت السقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا م خطيباً من سحر عينيك خصمي

عبد الله بن حارث

قال من الطويل

عزائم وجد ما يحل لها عقد وجريه دمع ليس يبقى لها خد
ومقلة ممنوع الرقاد كأنما جرى بين عينيه وبين الكرى حقد
زيادته الإعراض لا عن ملالة ولكن إعراضاً يولده الود
معممة زهو عــــاند منعم كأن شعاع الشمس من خدها يبدو

وقد وثقت منى بعزم صبابه لها دون عقد الصبر من مهجتى عقد
وما الصد إلا كالوصال إذا غدا لعبر ملال أو قلى ذلك الصد

* *

عباس بن قرماس

أنشدنى له [من الطويل] :

وأحور ما يعنى العيون من العشق له كذب فى الجد أحلى من الصدق
وللحسن فى خديه شمس مقيمة وبدر كمال لا يحور إلى محق(١)
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى بأحور ما يبقى هواه ولا يبقى

* *

أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسى من يصد بغير ذنب سوى إدلاله ثقة بحبى
عجبت لقلبه قاس كجسمى ويحكى جسمه فى اللين قلبى
فلا بالتشاكل كان قاس قاس ، واغتدى رطب لرطب
وإذ لم ينعطف باللين فظ فقولى بالقساوة قلب صب

وقوله [من الوافر] :

أيسا أنا فى خب بادى نشكر الطيف أم نشكر الرقاد(٢)
سرى وأرادنى أملى ولكن عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتقادى

---

(١) لا يحور : لا يرجع . والمحق : أراد به النقصان

(٢) ادى ، أ ... قرب ... الشىء ، فلم يستقم له الوزن فقلب الهمزة ألفاً

وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً لقلبي أفر إليه من نوب الخطوب
وألتذ الغرام المحض منـــه وأستحلى به حتى كروبى
كذاك الحب ضيف ليس يأتى إلى غير الكرام من القلوب

وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها فتترك شمل العزم وهو مبدد
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه من الأين يمشى ظالع ومقيد(١)

. . .

أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يوم وصال مستجد وبين يوم صدود
وحديث موشح بعتاب فيهما نزهة الفؤاد العميد
من غزال فى مقلتيه سهام هن أمضى من مرهفات الحديد

وقوله [من الطويل] :

وكم ليلة قد نادمتنى نجومها أديم صبوحا عندها وغبوقا
يعاطينى كأساً ألذ من المنى وأعذب من ريق الأحبة ريقا

وأنشدنى لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنياى التى كلما غدت لها عزة المولى ولى ذلة العبد
أعالج داء الدهر منك بذلتى وقد قيل قدما : عالجوا الضد بالضد

---

(١) الأين - بفتح فسكون - التعب والإعياء من أثر جهد ونحوه .
والظالع : الذى يغمز فى مشيه . وهو شبه العرج

زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له من الكامل :

صبراً على هجر الحبيب وصده   لا يؤيسنك هجره من وده
لا تقنطن من الصدود وإنما   لين الزمان معرض بأشده
وأنا الفداء لشادن علقته   حبيه صيرني نحلة عبده
ماء الشباب يجول في وجناته   وحسام رونقه يجول بخده

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطى على المنازل   بالسفح من حصن معاقل
دمن أناخ بها الربيـ   ـع وحل أثقال الرواحل
لعبت بهـا هوج الروا   ـح بالغدو وبالأصائل
تستن في عرصاتهـا   وتجر أذيال القساطل
حتى كأن رسومها   إخلاق أجفان المناصل
أو أسطر من عهد ذي الـ   ـقرنين في الصحف الأوائل

فاتك الشبواجي

[قال في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالة من كئيب الفؤاد   معذب بالصد والبعاد
أحرقه وجد على السهاد   يبكي بدمع رائح وغادي
إلى [illegible]   [illegible] رخي البال
[illegible]   [illegible] سالي
[illegible]   [illegible] والمعاني
[illegible]   [illegible]

بلغت أعدائي الذي أحبوا صرت على والزمان ألب
هذا جزا من بصبي يصبو عثرت والطرف الجواد يكبو
يا عبد ما تعرف ما ألاقي يا عبد ما شوقك كاشتياقي
نفس بحق الود عنْ خناق ما شدد الهجران من وثاق
ياذا الذي يملكني بطرفه يا من يجل الوصف عند وصفه
يا قاتلي بوعـــده وخلفه ارحم محبا قد دنا من حتفه
ارحم عزيزاً في هواك ذلا ألبسته ثوباً فـــما تملى
قطعه العذال فيك عذلا يا بدر تم في السما تجلى
ارث لقلب دائم الجراح ارع انهتاكي فيك وافتضاحي
لا تقبلن في قول لاحي ياذا الذي بكفه سراحي[1]
فقد عفا الرحمن عما قد سلف فمدعن زور التصابي والصلف[2]
وأحن على الصب بوصل وانعطف إن لم ينله منك إحسان تلف
بحق ما في فيك من رضاب يا من غـــذته نعمة الشباب[3]
لا تقطعن الدهر في عتاب فقد تقضى زمن التصابي
بحق من أنزل صحفاً وكتب اجعل إلى القلب طريقا وسبب
يا لعبة وافت على كل اللعب قد مسني بصدك بؤس ونصب
لم يرض بالذلة غير نذل واست أرضى بقبيح الفعل
إني أرى من دون هذا قتلي فاقطع وصالي أو تجد بالفضل
وهي طويلة جداً

(1) اللاحي : اللائم الذي ينقد فعلات ويعيبه . وسراحي : فك أسري
(2) الصلف ـ بفتح الصاد واللام ـ التكبر
(3) الرضاب ـ بضم الراء ـ الريق

أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :

غزال جنينا الورد من وجناته ... على أنه منا القلوب بها يجني
إذا ما بدا والليل منسدل الدجا ... رأيت سناه كيف يفعل بالدجن
أخبره بالطرف أني أحبه ... فتخبرني عيناه أن قد وعى مني

وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذيبي ... يا غاية في الحسن والطيب
إن الذي قال على الحسدى ... إفك كما قيل على الذيب
يا يوسف الحسن أما رحمة ... تكشف عني ضر أيوب ؟!

* * *

مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل]

قل لمن لست أسمي ... بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ ... إنس لو فرج همي ؟
سيدي ، وجهك شمس ... أشرقت أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل]

أودى الفراق بمهجة [illegible] ... بعد الظعان ميت لم يلحد
يا طالعاً وبي نقلي إذ غدا ... ما أنصر من جزعي عليك بأحمد
أميت [illegible] دموع عيني [illegible] ... أقدت فيك صبري وتجلدي
الله يعلم أن [illegible] ... من يوم [illegible] لم يرد

وقوله [من الكامل]

ذكر [illegible] ... [illegible]

كم بالرصافة من أخ لى مسعد ... لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلا ... لق الفؤاد بذكره ما لاق
لا تنكروا شوقى إلى بلد به ... أهلى فحكم البين أن أشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنمـــا أزرى بقدرى أننى ... لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذى مقلية ... لذوى الألباب أو ذى حسد
يتحامون لقائى مثلما ... يتحامون لقاء الأســد
طلعتى أثقل فى أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد
لو رأونى وسط بحر لم يكن ... أحــد يأخذ منهم بيدى

* * *

الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال من الرمل المجزوء

قتلت عيناك عبدك ... قبل أن تقضيه وعدك
حلت عن عهد محب ... لم يزل يحفظ عهدك

عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسى

قال من الخفيف

كيف صبرى ، أمليح التقلين ... مخلف موعدى ولاو بدينى
كلما رمت وصلها وصلنى ... بصدود ودنتنى بين
هى رمى الجفون لكن سوم ... مد أرتيه أدهشت نوم عينى

الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاى حتى متى أضرع — وأشكو إليك فما تسمع
نبا بي الوساد وطول البعاد — وطار الرقاد فما أهجع
أود بأن المنايا أتت — وأين يرى اللحد لى مضجع
يقطع قلبي صدودك عني — فما لي في عيشة مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدود ليس يلحقه عقاب — وعتب ليس يثنيه عتاب
وإبعاد بلا ذنب طويل — وإعراض وصد واجتناب
فلا سهر يطيب ولا رقاد — ولا أكل يسوغ ولا شراب

محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولون كم تدعو إلى غير راحم — وما كل من يشكو إلى الناس يرحم
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا — تفكر في ذنب المحب فيندم

وقوله [من الخفيف] :

كان في كثرة العتاب دليل — لي على أن من هويت ملول
من نوى جفوة تقول في الحـ — ـب على من يحبه ما يقول
وتطلبي الوصل أو صلي فقدى — مع طول العتاب منك قليل
واسلكي بي سبيل عروة إن لم — يجد لي إلى رضاك سبيل

وقوله [من الطويل] :

ولما دراذ رموا الخود بالضحى — أطرق عنى ثم تبارى مطل ؟

فيا جفن عينى كيف تطمع فى الهوى   بنوم ونوم العاشقين محرم ؟

على بن حسّان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقى المحب مخلفا   بعد الأحبة من جوى وسهاد
بالله لا تنس الوداد فإننى   باق على عهدى ومحض ودادى

محمد بن عبديس الجنانى
رحمه الله :

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمد بشجوى يدا   فقد بلغ الحب منى المدى
فريد المحاسن أنت الذى   قد ابتلى فى الأسى مفردا
ترفق فلو كنت بعض العدى   وفعلك فعلك ما بى عدا
أرحنى فقد بت مما لقيت   وأروح ما أرتجيه الردى

أحمد بن أبى صفوان بن العباس بن عبدالله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلو ترانى نشوانا أميل على   هذا وذلك بلا خوف الرقيبين
والكأس يسعى ونقرا عود عفرها   ونقل كأسى من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئى وأبهجه   ابث العرب صريعا بين ريمين

أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

رب ليل أحييت فيه سنا الصبـ ـح بوجه يعشى الوجوه سناه
بات والراح في غلائلها البيـ ـض تعاطيكها به راحتاه
فأعار الكؤوس توريد خديـ ـه وطيب النسيم من رياه
وكأن المدام قد علمتها كيف تسبي ألبابنا مقلتاه

وقوله [من الخفيف] :

قد توقعت حادث البين إشفا قاً عليه من هول حين وقوعه
فرأيت الفراق دل على أن فراق الحياة في توديعه

وقوله من الخفيف :

من مجير المشوق من أشواقه ويكف الدموع من آماقه
بان عني من غادر القلب مني فرقاً من تأسف لفراقه

وأنشدني لبعض أدبائهم من الطويل

وليلة أنس كاد يسهمها الفجر وبسمر في عيني بها الظلم السكر
اقتنك منها بالأماني ذاكر فيا طيب ليلي من لقاء هو الذكر
أقتك في عيني نفسي تذكراً ضروب وصال ما ينال به الهجر
ألست نظار البدر حسناً وبهجة فهاك لا تسرى كما يعمل البدر

* * *

محمد بن سليمان القرني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أعتل شوقي بقلب منزعج وهو بروحي وجسمي ممتزج
أن قلبي من هوى ... ... أموت فيه ... ...

وابأبى من يذيب نفسى بالتـــكريه منـــه الدلال والغنج
علم طرف السهاد من طرفه الســـاحر ذاك الفتـور والدعج

* * *

حسن بن محمد بن ربيع الفاقى

قال [من البسيط] :

لولا جفونك ما استولى بى الكمد ولا تحـــكم فى أجفانى السهد
الهجر يذكى جوى قوم فيا عجباً للوصل يذكى جوى قـوم فيتقد
كأنه ليس يبقى فى جوانحـــه إلا ليشقى بما يلقى وما يجد
هـذا مقام فؤادى فى تشـوقه فلا تسل بعد ذا أن كان لى كبد

* * *

عبـــــــد الله بن بكر

رحمه الله تعالى

أنشدت له [من الخفيف] :

حسدت نعمى الطبيب وقالت ليت كفى مكان كف الطبيب
عجباً كيف ساعدته يداه قصد ذاك المطرف المخضوب
ليت وجه الحبيب كان من الدنـــيا ومن جنة الخلود نصيبى

وقوله [من الكامل] :

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا متهللاً كتهلل البرق
سبحت من عجب وقلت متى للشمس مطلع سوى الشرق ؟
ما كنت أحسب من صورتها متكوناً أبداً من الخلق

وأنشدنى لنفسه [الوافر]

نفسى من شوقك مستهوى وما يخبو كما يخبو لهب

هو الداء الذي لم يشف منه ... لقاء يلتقيه ولا طبيب
وتروى بالعناق طوب قوم ... وظمأ لو تعانقت القلوب
على أني إذا ما غبت عني ... وإن أصبحت في أهلي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده، فكتب إليه كتابا متنصلا(١) ، وجعل عنوانه «عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه باه نسبته» فاستظرف الحكم كتابه، وضحك منه، ودعاه فأعتبه(٢)، ووصله

* * *

محمد بن حفص بن فرج

قال [من البسيط]

يامن عدت نفسه نفسي فإن سلمت ... سلمت أو ألمت فاسمها الألما
ما إن علمت الذي تشكوه من سقم ... حتى وجدت بنفسي ذلك السقما

وله [من الخفيف]

في المنى راحة لكل محب ... شفه الحب بالنوى والصدود
[illegible] الحبيب أدنته منه ... فغدا في البعاد غير بعيد
أو جفاه فإنه [illegible] ... [illegible] زعم الحسود

عبد الله بن محمد بن فرج الأندلسي

قال [من الطويل]

شكا السقم من أهوى وجدت به [illegible] ... [illegible] الإشفاق في الحب
[illegible] ... [illegible] والكرب

(١) متنصلا : معتذرا
(٢) [illegible]

وقوله [من الخفيف] :

ما لهذا الصدود من غير معنى يا حبيبي، إلى متى تتجنى؟
أنت غصن فكيف تقسو لجان مد كفا وأنت تهتز لدنا
إن تكن قد مللت قربي ساعا ت قليلا فلعلي سوف أدنى
أيها الباخل المانع جد لي من حياتي ببعض ما أتمنى
أو أرحني بالموت فالموت عندي هو خير من أن أعيش معنى

وقوله [من الطويل] :

رحلت وقلبي عنك ليس براحل وزلت وصبري عنك أول زائل
وجدت بنا العيس العتاق وإنما رحيلي من الدنيا بتلك الرواحل
ومن عجب أختار فيك منيتي وما في المنايا من خيار لعاقل

وقوله [من المتقارب] :

نظرت إلى عقدات الكثيب فعيني مشوق إليها كئيب
وكم نظرة ملأت ناظري إليها دما مستهل الغروب
رعى الله أهل كثيب اللوى (1) كرعيك منهم عهود الحبيب
وتسقي فيهم جنوب السماء كما سقى الأرض رتق الجيوب (2)

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلى بالعقيق تلوح فيغدو الهوى بالشوق وهي تروح
دنت إلي وهي تسرح في الدجى وإنسان عيني في الدموع سبوح

---

(1) الكثيب: تل من الرمل. واللوى: ما التوى من الرمال.
(2) الرتق: ضد الفتق.

فسلى بوجد لو تقسم فى الورى لما مات بين الخافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليها جوانحى ودون الصلا منها مهامه فيح (١)

* * *

محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لم أبح باسمه لأنى صبين باسمه أن تدله الأفواه
أنا من خاطرى أغار عليه عند ذكرى له فكيف سواه
ساء ظنى لفرط غيرة قلبى مع على عفاف من أهواه
وإذا ما سمعت من يشتكى حرقة خلت أنها شكواه

وقوله [من البسيط]

إنى زعيم لمن أسهرت مقلته أن لا يطيف به طيف من الوسن
سبحان رب الورى ما كان أعدلني حتى رمتنى الليالى فيك بالمحن

وقوله [من الخفيف]

هب ربع البلى وريح الهموم واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
عفرت آيه صروف الليالى ومحاها الغمام محو الرقيم
ساء ما اعتاض ... ت المعالى عنت الغيوم
فالأسى حين ... ل على قدر جوهر المعلوم

وقوله [من الوافر]

أما والبيت والسير الحرام وزمزم والمشاعر والمقام
لقد حنت ركاب الركب حتى شجعت قلب الخلى من الغرام
إذ شاق ... فكيف ... فؤاد المستهام

(١) الفيح : الواسعة ، واحدها أفيح

تحن إلى حنين العيس نفسى ويبعث شجوها نوح الحمام
وإن حياة نفس كل شىء يشوقها لموشكة الحمام

وقوله [من الكامل] :

ماكان تركى للعيادة عن قلى منى ولا لتبدل وتغير
لكن علمت إذا سمعتك تشتكى أن لا يقوم به جميل تصبرى

محمد بن عبد العزيز العتبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذى يجدى عليك سؤال ربع داثر ؟
عفت معالمه الليالى مثل ما عفى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خود تستعير إذا مشت لين القضيب الناعم المياس
لانت أناملها ولكن قلبها فى قسوة الحجر الصلود القاسى

وقوله [من الكامل] :

ألا فى سبيل الله قلب متيم أصيبت بين الظاعنين مقاتله
هوى صيره بالبين من ذروة الهوى وغالته إذ بان الخليط غوائله
وبين الحمول المستقلة شادن أغن غليظ القلب رخص أنامله
تيقنت أن الصبر عنى زائل عشية زمت للرحيل رواحله

* * *

محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلع البسيط] :

من فرط شجى عليك أنى رسول نفسى إليك عنى

فلو سألت الرسول عن أتى لقال الرسول منى

* * *

المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوى

قال : من البسيط :

لا يبعد الله أياماً نعمت بها بين العوالى وشمل الحى ملتئم
بكل ناعمة الأطراف مترفة يكاد تسفر من إسرافها الظلم
كأنها دمية من كوكب شرق فى روضة أنف زهراء بل صنم
فما لمثلى لا يبكى تفرقنا والعهد منها ولو أن البكاء دم

مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال : من المنسرح :

[illegible] أهواه من وجد [illegible] إلى هجر إلى صد
[illegible] لو [illegible] ما أطفئت من سده الوقد
إن حالت [illegible] إلى غيرها [illegible] قد حال عن العهد
[illegible] ذات توجهه [illegible] سبيك عن الود
كأن [illegible] حلولى وحدى

وقوله من الكامل :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والدن مقطوع الوتين ترى له علقا يجود بصوبه مدراره
طفنت مصابحنا فكان سراجنا مصباحه حتى الصباح ونازه

أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز
ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل]

لئن منعوا من ناظرين ناظري فما منعوا ما بيننا في الضمائر
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا إذا ما التقينا نشتكي بالمحاجر

وقوله [من السريع]

ودعني إذ ودعوا صبري وجمعوا البين إلى الهجر
واستعلموا في كبدي لوعة لاعج أذكى من الجمر
لولا دموع العين يوم النوى لاحترقت من حرها صدري
وكيف صبري في هوى شادن مكتحل الأجفان بالسحر

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بمرحون

قال [من الخفيف]

يا رسولي أسمع إليها سكاتي واسألها ولو بقاء حياتي
في هـ .. عني هواك تابيه در .. أو مؤذن بالممات
فأحدثه .. كان يحيا أسير لحظات
وعني .. بهذي الحياة الأموات

عيسى بن [أبي] جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتني كأس الحب عيناه ... صرفا وثنى بأخرى طيب رياه
وزادني وردتي خديه ثالثة ... فأسكرتني عيناه وخداه
يا من كساه ضياء الحسن خالقه ... فالملاحة حياه ورداه
حتى يرجى سلاما في ملاحظة ... تشفي به سقم قلب طال بلواه

*

أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نفست على الأراك وحق لي ... لما اجتنى بالذوق طيب جناك
وبى الصدى لا بالأراك . فما له ... رشف اللمى وحرمت رشف لماك ؟
أشعرت لو أني حللت محله ... لم أمتهنك بأن أقبل فاك

وقال من الطويل :

على صدع شملي منك قلبي تصدعا ... فعن أي حال منك أبدى التوجعا ؟
على النأي منكم أم على قرب داركم ... بهجر يزيل الصبر عني أجمعا ؟
لي إن في قرب الديار لراحة ... وإن لم يدع لي فيك هجرك مضمعا
كما أن أيام النوى تبعث الأسى ... ويدعو التصابي للمحب إذا دعا

وقوله من البسيط :

هبت لنا الريح من تلقاء كاظمة ... وهنا فكم رد نفح الريح من روح(١)
وما عرفت نسيم الريح من بلدي ... إلا بعرف حبيب هب في الريح

* * *

(١) كاظمة : اسم موضع

عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافح دمع العين حين همى ... من الجوانح سراً كان مكتتما
لا تحسبي أنه سر بذات به ... ولا فتحت به للكاشحين فما
لولا عواصي دموع لا تطاوعني ... ما ذاع سرك عندي لا ولا علما
لؤم بذي الحب أن يبدي سرائر ما ... يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرما
سجيتي أنني أرعى ودادكم ... وأحفظ العهد منكم كلما قدما
وأنني أمنح الواشي بكم أذنا ... معارة فيكم عن قوله صمما

* * *

عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما تجنى يزيد في قدر ذنبي ... وعتابي يغريك في بعتب
ولماذا اشتريت ودي وقد أعطيتك ... الود من لساني وقلبي
حسبي الله من أعاد وحساد ... وبالصدق في نصيك حسبي
أنت شربي وليس في العيش حظ ... لي يصفو إذا تكدر شربي

عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من مجتث] :

أبدى الصدود حبيب ... قد خان عهدي وملا
ولو تمنى لي بروحي ... ردها إذ تولى !
لا حسب الله منه ... من الجفاء تجلى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بي الشوق فكر مايسالمني أقام بين ضلوعي حرب صفينا(١)
هذا وما عان أحبابي الأولى ظلموا وإنهم لعهود الحب راعونا
يا أهل ودي عدا بي عن زيارتكم هوى يلح بإبعادي أحايينا
مالي على الحب من عون يوازرني فيه سوى أدمع تجرى أثافينا(٢)

* * *

الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائبا في بالصدو د إذا ذكرت قبيح غدرك
أخليت من قلبي مكا نا كان معموراً بذكرك
وأنا أحبك لو وثقـــت وأستديم بقاء عمرك

* * *

عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيب كان في قربه مقرب الود قريب المكان
يرى على الأعداء في حربه كالصارم الهندي أو كالسنان
حتى إذا للدهر [illegible] حين [illegible] قلاب الزمان
كان صديق [illegible] [illegible] [illegible] العيان (٣)

---

(١) صفين [illegible] على [illegible] كانت بها الوقعة العظمى بين [illegible] علي و[illegible] سنة [illegible]

(٢) الأثافي جمع أثفية [illegible] [illegible] بعض من الشجرة

(٣) [illegible]

وقوله [من المتقارب] :

تقول : بعدت فأنسيتنا ولم يك حبك بالدائم
فقلت لها : لو علمت الهوى لما جرت فيه على العالم
لأن الهوى وانتزاح النوى يزيدان في لوعة الهائم
كفعل الرحيق وسكر الكرى إذا ما استعانا على النائم

* * *

محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إن جهلا بالمرء ذي الحزم والرأ ي رجوع في التي بعد نزاع(١)
وعالا بأن يطيع هواه والهوى ما علمت غير مطاع

وله [من الخفيف] :

أودعت مهجتي غداة الوداع حرقات تحنها أضلاعي
طفلة تستبي العقول بدل آخذ للقلوب والأسماع
كشفت الستر ما كتمت وما كنـ ـت قديماً أصونه في قناعي

الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد

أنشدني له أبو سعيد بن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] من قوله من قصيدة يمدح فيها [illegible]

و[illegible] علقت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأراكة [illegible] (٢)

---

(١) [illegible] [illegible] [illegible]

(٢) [illegible] في الأصل [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

إذا رامها ذو حاجة صد وجهه ظبا الباترات والوشيج المكسر (١)

ومنها :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها تزل بها ريح الصبا فتحدر
إذا زاحمت فيها الخضارم صوبت هبوبا على بعد المدى وهي تزأر (٢)
تكلفتها والليل قد جاش بحره وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضني أبيض ذو شقاشق وفي الكف من عسالة الخط أسمر (٣)
إلى بيت ليلى وهو فرد بذي الغضا يضيء [illegible] المستهام ويزهر
هما صاحباي من لدن كنت يافعا مقيلان من جد الفتى حين يعثر
فذا جدول في الكف تشقى به المنى وذا غصن في الكف يجني ويثمر
فبتنا على ضم [illegible] اشتياقنا [illegible] له أكبادنا تتفطر

ومنها :

ودوية من [illegible] مدلهمة دريس الصوى معروفها متنكر
إذا جابها الخريت في غمراتها يظل بها أعمى وإن كان يبصر
ترى ثابتات الحكم عند اعتسافه [illegible] عن إدراكها فتهور
وإن سلكت أضواجها عاث بها عوارب من ذي مطر [illegible] تزجر
وسرنا نجوز [illegible] حتى [illegible] [illegible] يحيي ماضع اللون أزهر

وله من أخرى أولها من الطويل :

أمن رسم دار بالعقيق [illegible]

وفينا هضنا [illegible] [illegible] كل خوار العنان أسيل

(١) الوشيج [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

مسومة نعتدها من جيادنا   لطرد قنيص أو لطرد رعيل
إذا ما تغنى القوم فوق متونها   ضحيا أجابت تحتهم بصهيل
تدوس بنا أوكار نور كأنه   رداء عروس أوذنت برحيل
رمينا بها عرض الصوار فأقعصت   أغن قتلناه بغير قتيل
وبادر أصحابي النزول فأقبلت   كراديس من غض الشواء نشيل
فقلت لساقيها أدرها سلافة   شمولا ومن عينيك صرف شمول
فقام بكأسيه مطيعا لإمرتي   يميل به الإدلال كل مميل
وشعشع راحيه فما زال ماثلا   برأس كريم منهم ونبيل

وله من أخرى(١) [من الطويل] :

منازلهم تشكي إليك عفاءها   سقتها الثريا بالعرى عشاءها
ألثت عليها المعصرات بقطرها   وجرت بها هوج الرياح ملاءها
حبست بها عدوا زمام مطيتي   فقلت بها عيني علي وكاءها
رأت شدن الآرام في زمن الهوى   ولم تر نيلي فهي تسفح ماءها
خليلي عوجا بارك الله فيكما   بدارتها الأولى نحي فناءها
ولا تعذلاني أن أجود بأدمع   حواها الجوى لما نظرت جواءها
فأقسم ما شمت الغداة وقودها   وقد شمت ماوان الحي وآساءها
ميادين أفراس الصبا ومراتع   رتعت بها حتى ألفت ظباءها
ولم أر أسرابا كأسرابها الدمى   ولا ذئب مثلي قد رعى ثم شاءها
ولا كضلال كان أهدى أصبوتي   ليالي يهديني الغرام خباءها
وما هاج هذا الشوق إلا حمامة   بكيت فنا لما سمعت بكاءها
تعر فلا سعد لدى الأيك عاشق   بكى بي ليلي فاستحت غناءها
أنا البحر لا يستوهن الخطب حاوي   وتأبى الخسان أن أطيق نقاءها

(١) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة ١ ، ١ : ٢٢٩ مع اختلاف يسير

تيمم قصدي النائبات فردها فتى لم يشجع حين حان رداءها
إذا طرقته الحادثات أعارها حشا فكرات قد أطال مضاءها
أما وأبي الأعداء مادفعتهم يد سبقتهم يتقون عداءها
جزاهم بما حازوا من الجهل حلمه كريم إذا رأى المكارم جاءها

ومنها :

وكم لك من يوم وقفت بظله وقد نازلتنا الحادثات إزاءها
ومن موقف ضنك زحمت به العدى وقد نفضت فيه العقاب رداءها
وكم أمة أنجدتها وكأنها روابيع سدت خيفة قصعاءها
ومن خطبة في كبة الصك فيصل حسمت بها أهواءها ومراءها

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

« أبكيت — إذ ظعن الفريق — فراقها »

يقول فيها :

إني امرؤ لعب الزمان بهمتي وسقيت من مر الخطوب دهاقها
فإذا ارتمت نحوي المنى لأنالها وقف الزمان لها هناك فعاقها
فإذا أبو يحيى تأخر سعيه فتى أؤمل في الدنا إلحاقها(١)
ألمليس ذهبية من فضله مت العيون فلم تطق رقراقها
والمانعي من صرف دهري عندما قلبت إلى الحادثات حداقها(٢)
حتام لا تروى جيادك في الوغى وتشيم من بيض السيوف رقاقها
وتسد طرق الأرض منك بجحفل بذر الملوك مديمة إطراقها
بحر إذا خفقت عقاب لوائه بتخوم أرض لم تخف خفاقها

(١) كذا ، وفي المخطوطة . فتى تؤمن في الزمان لحاقها .
(٢) الحداق : جمع حدقة . وهي سواد العين .

ومنها :

بطل إذا خطب النفوس إلى الوغى جعل القنا تحت العجاج صداقها
لو عارضت هوج الرياح بنانه يوماً لسد بعضها آفاقها
وإذا الملوك جرت جياداً فى الوغى والجود قطع غفوة أعناقها
ولو ان أفواه الضراغم منهل للورد أورد خيله أشداقها

وقوله [من الطويل] :

أفى كل عام مصرع لعظيم أصاب المنايا حادثى وقديمى
فكيف لقائى الحادثات إذا سطت وقد فل سيفى منهم وعزيمى؟
مضى السلف الوضاح إلا بقية كغرة مسود القميص بهيم[1]
وكيف اهتدائى فى الخطوب إذا دجت وقد فقدت عيناى ضوء نجومى
أما وأبى الأيام لولا اعتداؤها لظاهرت فى ساداتها بقروم
وفارست من يبنى قواعى منهم بأحلام بطش أو بطيش حلوم
أحلوا ملامى لا أبا لأبيهم وإنى ورب المجد غير ملوم
فلا تعذلونى إن وهنت فإنها علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غوى واسلحنا من كل ذام وعاب
وانقطعنا لواعظات مشيب آذنتنا حياتها بذهاب
وإذا ما الصبا تحمل عنا فقبيح بنا ارتضاه التصابى
وفتو سروا وقد عكف الليـ ل وأقعى مغدودون الأطناب[2]
وكأن النجوم لما هديتهم أشرقت للعيون من آدابى

---

(١) أى : كغرة الفرس

(٢) فتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم

وكأن الصباح قانص طير — قبضت كفه برجل غراب

وكأن العروق إذ طالعتهم — أوقدت في سمائها من شهاب

يقرون حــــور كل فلاة — حبح ليل حوراؤه من ركاب(1)

عن ذكرى لمدلجيهم فاهوا — من حديثي في عرض أمر عجاب

همـــه في السماء تسحب ذيلا — من ذيول العـــلا وحد كاب

وفتى أرهفت ظباه المعـــالي — فنتتـــه بالبـــاتر العضـاب

ينته أباهــــه ولــــاله — ه بظفر من الخطوب وناب

حول نو ر..ه صرف الليالي — لتوارى من خوفه في حجاب

ذاق أيامه بكأس ســــواء — عنده طعم شـــهدها والصاب

ولو أن الدنيا كريمة عرض — لم تكن طعمة لغرس الكلاب

وإذا ما نظرت من حار عنه — قل حمـــا حمله في مال

وقوله من الرمل

صمبح نسيم [illegible] — [illegible]

[illegible] مرده [illegible] — [illegible] مرح [illegible]

[illegible] من عيني [illegible] — [illegible] في كل يوم [illegible]

كاد أن [illegible] حتى له — وارتسا [illegible] أسردا(2)

قال [illegible] صد [illegible] — [illegible] في الدهر [illegible] بالكدا

فإذا [illegible] — قال لي [illegible] ذكرى عدا

[illegible] — [illegible] حتى سرمدا

(١) حور [illegible]

(٢) الأد [illegible]

وأنا المجروح من عضته — لا شفاني الله منها أبدا !
ومكان عارب من حبره — أصدقاء وهم عين العدا
نى سات لملك أعرافه — كمدار السعر فى الخد بدا
فلت إذ حمت فيه فاطماً — وتلاقتني الأماني سجدا
ورأت الدهر حوفى ساكناً — وبي الأحرار حولى أعبدا
حاد من أصبحت فى أيامه — والردى عذر من حوفى الردى
ملك يحسب عدلا ماسكا — وإمام أم فينا فهدى
حله والرمح فى راحته — قمراً يحمل منه فرقدا
نعم ما احرب لعصى فاعموا — بين يمان حار أو مسرف عدا
ليس من نعسو إلى نار القرى — مثل من يعسو الى نار الهدى

ومن شعره أيضاً من الطويل

أروق بدا أم لمع أبيض ماصل — ورجع شدا أم رجع أسقر صاهل
ألا إنما حرب حييت بحظه — إلى عرب يوم الكتيبة عقائل
عرى نعلى عالب القلب فانطوى — على كمد من لوعة القلب داخل
ردى علي بالخال ما هرب الهوى — حمائل الترياق أنسه وار ل
حر ما سوم المرح حر سله — وعصى سقيا بين اة عامل

ومنها

سهرت بها أرعى النجوم وأنعما — طوالع أراعير عير اوافل
وقد عرت فيها بكل زهرة — الى كل صرع معممه حافل
كأن الدجى همى بدمعي حومه — تحدر اتساعها بدهم مستحل
وما فى الا همه أتتحيه — يدمن أسى الى من طلاب لاواتل
وكيف ارضاى داره الحبيب — د كا ب الجو وعصر ما

وصبرى على بعض الأذى من أسافل   وبعدى حسامى والسيادة ذابلى
ولما طمى بحر البيان بفكرتى   وأغرق قرن الشمس بعض جداولى
زففت إلى خير الورى كل حرة   من المدح لم تحمل برعى الخمائل
وما رمتها حتى حططت رحالها   على ملك منهم أغر حلاحل

وقوله من قصيدة أولها [من الكامل]

هاتيك دارهم فقف بمغانها

يقول فيها :

ودعتهم وزناد قدح فى الحشا   دون الضلوع يشب من نيرانها
يا صاحبى إذا وبى حاديكما   فتنشقا النفحات من ظيانها
وحذا بمرتبع الحسان فربه   شمع الشباب عصرت من أخدانها
وكأنما الشعرى عقيلة معشر   نزلت بأعلى النسر من ولدانها
وكأنما طرق المجرة منهج   للعامرية ضامن فينانها
المعجلين عداتهم برماحهم   والحاعلين الهام من تيجانها
أنا طودها الراسى إذا ما زلزلت   أيدى الحوادث من هواد جبالها
وعلى للصبر الجميل مفاصه   رغف أقل بها شباة سنانها
وكأننى لما كرمت وقد شكت   أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقصت بعز النفس بنى دوحة   من عامر أصبحت من أغصانها
أسرى لهم بالخيل حتى حيثور   أن الجسان رمتهم برعانها(١)
ورمى العدى بكتائب ملء الفضا   أغمدن نصل الصبح فى رهجانها
من كل سلهبة تطير بربح   مسك مؤخرها التياح لمامها(٢)

(١) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
(٢) السلهبة الطويلة الجسيمة

نشأوا بزاهرة الملوك ومائها وكأنهم نشأوا على غسانها
وأرتهم العرب الكرام مصاعبا فتعلموا من ضربها وطعانها(١)

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليلي ما أنفك الأسى منذ بينهم حبيبى حتى حل بالقلب فاختطا
أريد دنوا من خليلي وقد نأى وأهوى اقترابا من مزار وقد شطا
وإني لتعروني الهموم لذكركم هدوا فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
وإن هبوط الواديين إلى النقا بحيث التقى الجمان واستقبل السقطا
لمسرح سرب ما تقرى نعاجه بريرا ولا تقرو جآذره خمطا(٢)
ومرتجز ألقى بذى الأثل كلكلا وحط بجرعاء الأبارق ما حطا
سعى في قياد الريح يسمح للصبا فأنقت على غير التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربى درانك والغيطان من نسجه بسطا(٣)
وعنت له ريح فأسقط قطره كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
ولم أر درا بددته يد الصبا سواه فبات الزهر يجمعه لقطا

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزل كسا جثمانه متسترا طيالس سودا كالدجى وهو أطلس(٤)
فدل عليه لحظ خب مخادع ترى ناره من ماء حسه تقدس

(١) المصاع : الجلاد والقتال
(٢) تقرى : تعلف ... الأراك
...

وقوله [من مجزوء الكامل] :

واغر قد لبس الدجى بردا فراقك وهو فاحم
يحكي بغرته هلا ل الفطر لاح لعين صائم
أرمي به بقر الحمى وأصد عن عصم العواصم
وتجانبي فتق النفو س من المهاريت الدلاقم
حتى إذا عَلم الصبا ح أشار من تلك المعالم
وتمايلت أيدي الثريـا وهي مذهبة الخواتم
ورنت ذكاء بناظر رمد من الأقذاء سالم

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه . وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الإيوان ، وقد كدسني صلزم وسنان . فجعلت حوى حطباً دل على نفسه ، وتشظى من يبسه[1] فسلطت عليه صاحب الشرر[2] ورميته منها ببنات الحديد والحجر فواقعه قبيلا . وعاركه طويلا فكان لها عجيج . وله من حرها ضجيج . ثم حرنا صريعا . واستولت عليه صعباً منيعاً فبددت شمله وألفت شملها . واستحالت حية لا يسلم قلبه . ترمي بألوان وتهدد بأسنان . فلذعت البرد لذعه ، ونكأت قلبه فؤاده نكزه . حرفها على جبينه . ومات بها من حينه . وغشينا من فائض حرها حر كان لنا حياة . ولذنب وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته وذرنا به من لطيف صنعه بها استحال جمرها رمادا . وقد

(١) تشظى : تشقق
(٢) صاحب الشرر : الزناد

مهد لنا من الدعة مهادا ، ولحفته العين كالورد ، وذر عليه كافور الهند . انبسطت نفس شاكرك فذكر لما كمنه ، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته ، محرما له لا مقتديا به ، ومستبيا فيه لا آخذا منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلى اليوم البرد شاكرك [illegible] . ومتى [illegible] روع ، وكان بالأمس بردا أحجف [illegible] لي من سحابه أو طف ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار والفجار . فلما رأى الناس أخلاطا تذكر حشرهم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) واستعاذ بالله من لهبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها . وإذا أهلها يساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أحدث منهم حياء ، تهللت السماء ، وانطلقت الأفواه ، فأحدثوا من الدهم وأكثروا من [illegible] وكشف الأستار ، وهتكت الأسرار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ويتصاربون حكا حتى إذا جرحوا [illegible] ، واعملوا [illegible] [1] صب على جسمه من [illegible] وامتد على وصاح [illegible] وميض ، فأربه آخر حتى أخرج أحواله ، وباعد القر حتى اشتهاه [illegible] أحد في طهره . [illegible] من [illegible] ، وقد أطاف حسه ، [illegible] إليه نفسه [illegible] ما حاطلت به أنس في المعنى الذي [illegible] على الاحتيار [illegible] قصده [illegible] الكلام لا يدل على سواه ، ولا يفتقر [illegible] وأنست [illegible] أرهقت حواسها [illegible] [illegible] فإن كان [illegible] كان [illegible] على [illegible] على [illegible] أن يكون [illegible] كريم [illegible] لو شبها وذهب [illegible] على [illegible] [illegible] للمشكور [illegible] أمل . و[illegible] [2]

---

(١) [illegible] [illegible]

(٢) [illegible] [illegible] . وملحص [illegible] [illegible] الا قليلا [illegible] [illegible]

عسل . فإن كانت من كريم كان روضها وردا . وحوضها شهداً . وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقةصالح . صرها ثواب . وحفظها عقاب . والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوبا . ورجعه تطريبا . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامةنوح يغرد بنعم . ويقع ببشرى . والشكر درع حصينة يلبسها المشكور . فإن كان من كريم كان ظلها بردا . ونفحها ندا . وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة . وجناها شهوة . والشكر واد يسقي أرض المشكور . فإن كان من كريم استحال أتيا . وإن زاد أن يكون عن كريم عمر عمر السحاب . وأترع الأمواج . والشكر نسيم يهب على المشكور . فإن كان من كريم كان نشره قوسا . ونفحه روحا . وإن زاد أن يكون عن كريم صار منه عنبر . وتنفس منه مسك أذفر

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي . وأهلي وحشي ليس بوان ولا زميل . وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل أو شونيزة أو مقلة عين أو نقطة مداد أو سويداء قلب فؤاد تثريبه عتب . ووثبه وثب يكمن نهاره . ويسير ليله يدارك بطعن مؤلم . ويستحل دم كل كافر ومسلم مساور الأساورة ويجر دله على الجبابرة يتكفن أرفع الثياب . ويهتك كل حجاب . ولا يحفل ببواب يرد مناهل العيش الرغيد . ويصل إلى الأحراح [illegible] . لا يمنع [illegible] أمير [illegible] منه غيور [illegible] وهو أحقر حقير [illegible] . [illegible] مسكوب . وكذلك كل [illegible] أتى [illegible] ودلالة على قدرة الرحمن

وقوله في صفة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفــــة وعسكر ضخم . تنقض العزائم وهي منقوضة . وتعجز القوى وهي بعوضة . ليرينا الله عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خليقته

وله يصف ثعلبا :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر كثير الوقائع في المسلمين ، مغرى بإقامة ذم المؤمنين . إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طالبته الكماة أعجزها . وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرج ودجاج

وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر لياح له من إنائه ، انصباب الكوكب الدرى من سمائه . العين كانونه . والقمر عفريته كأنه خيط من غزل فلق ، أو عصره صرت من ورق يترقرق عليك منزدى ، ويصدع به قلبك فتحا

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى

وما أرقى إلا ليلة أصحبانه دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكع ، حتى إذا قضيت من حق الله أمرا ، وأسمعت الشمع وترا جلت في أكنافه ، واعتصمت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغدرانه تضاهي الخضراء ، زجاجة [illegible] ، كأنها الكواكب الدرية [illegible] تعالى [illegible] ، كلا [illegible] يسبح بحمده والملائكة من خيفته [illegible] [illegible] ملك الله [illegible] دولك لعمر لاها الله لا يتركك كريم . ولا تقلاك لا [illegible] [illegible] حول وتنا [illegible] حرجت في [illegible] من لأصحاب [illegible] [illegible] فلما أصبحنا [illegible] [illegible]

وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسال من لعابه ، وازورجانبه ، وخفق شاربه ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج . فصاح هذا اللص كأنه تالي بحاجة الزنابير ، حدثت على شوابير ، وخالطها لباب الحبه ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة . ثم نظر إلى الخبيص . فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا السماع ، أكرم به من شماع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمه ، تجرحه اللحظه ، وتدميه اللفظه . . ماء أبيض ؟ قالوا : ماء البيض البض . فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب . لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ، أبأحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكينا . وحبل هواك على كبدي متينا . من أين خلص . كف طابخك إلى باطني . فأقطعك من دواجني . والعزيز الغفار لأطلبن بالثار ، وتلمظ (١) له لسان الميزان . فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد أبلس . وهو ينظر نظر المفلس . حنت له ضلوعي . وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر . وفي كل كبد رطبة أجر . فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التي أنطقته . وتحتوي على ضروبها التي أخرجته . فجاء بها فوضعها بين يديه . فلما عاينها انحنى عليها بليانه . وأتى عليها بجرانه . وجعل يركل رجليه . ويجاحش بفخذيه عانا . ومدافعا عنها . فصحت به لا عليك حكمها . فجعل يقطع ويبلع ، ويوجر ما ويدفع وعيناه تبصان . كأنهما جمرتان . وقد برزتا عن وجهه كأنهما حصيتان . وأنا أقول : على رسلك يا فلان . البطنة تذهب الفطنة وهو يقول (أكلها دائم وظلها) ، حتى التهم جامرها وألحق أولها بآخرها . وهبت منه

---

(١) تمطق : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .

ربع عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم . وفرقتنا شذر مذر . ومر بتنافى كل شعب شغر بغر ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان . تفنح ذلك فبدد النعام . ونمح هذا فبدد الأنام . فلم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جاريه :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة . كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد حمامة بيضاء . وكأن خدها على جيدها المشرق ، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بألحاظها . وتأسوك بألفاظها . تقابلك من خدها بوردة . ومن عينها بنرجسة . كأنما ثغرها من جوهر ، وشفتها خيط حرير أحمر . وتقبل إليك بقضيب بان ، ثمرته رمانتان . وتفتال عليك بكفل مائج . كأنه كثيب عالج . تنطوى بقبطية ، وتقوم على أنبوب بردية . أن استقبلتها ركان . تضحك للثعن فلقة رمان أو يطحنك حبة أسد غرير ، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين . ويتوفاك نكد كالمفيه المشرف على المذاهب . ركبت فيه أخلاق كاسب . فإن كنت شافعيا سددتك . وإن كنت مالكياً قلدتك . المنظر غلام ، والمخبر فتاة . إن علوتها تدعمت إليك . أو علتك تداركت عليك . وإن أعطشك فراشها سقتك من سراب . إن شئت قلت حرة أو رضاب . أو أجاعك عرا كها أطعمتك من لسان . يصل إليك وصول الإيمان .

هنره فى غاية الملاحه ، ونظمه فى غاية الفصاحه

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبى بكر الأندلسى قوله [من الخفيف] :

فى لمى زاد إذ تباعد بعدا وتناسى عهدى ولم أنس عهد

لا يغرنك ما ترى من ودادى فلعـــلى إن شئت غيرت ودا
لا وحق الهوى وحق لياليـ ـه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذى أدعيت ولو ملــكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربت فوق الغصون حمامة الا رأيت دمــوع عينى تسكب
وإذا الرياح تناوحت ألفيتنى بين الصبـابة والأسى أتقلب
يا عاذلى فى الحب مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب
كم حاولت نفسى السلو فطالبت أسبابه جهداً فعز المطلب

* * *

غسان بن سعيد

قال من البسيط :

من خانه حسب فليطلب الأدبا فيه منته إن حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آدابا تعز بهـا كيما تسود بها من علك الذهبا

* * *

محمد بن يحيي النحوى المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] .

طـــوى عنى مودته غزال طوى قلبى على الاحزان طيا
إذا ما قلت يسلاه فؤادى تجدد حبـه فازددت عيا
أحبيه وأفـــديه بنفسى وذاك الوجه أهل أن يحيا

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفا سما وهنـاً إليا لقد جددت نوعاً علينا
ألم مواصـــلا كأخى غرام سيذكر وصله ما دام حيا

غزال لو رأى غيْلان يوما محاسنه إذا أنساه ميا[1]

شهيد بن المفضل
عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا ترد عنان شوقك صابرا وأخو الصبابة لا يكون صبورا
فاخلع عذارك فى هواه وربما كان المحب على الهوى معذورا
ما العز إلا أن تذل مع الهوى سحاً عليه وإن ظللت أسيرا!

* * *

منصور بن أبى الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لى صبر ، أحلا
بأبى أنت وأمى أترى قتلى حلا
حاش لله بأن أسلو عن الحب وكلا !

وأنشدنى لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحر مستعبدا
عبودية تؤيس الآملين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرج يرتجيه من الأسر غير مُنى الردى
فيا غصن بان إذا ماستى ويا بدر تم إذا ما بدا
ويا عارضا كلما أطمعت بوارقه زاد قلبى صدى
أسرت فهلا بحكم الكتا ب قضيت بالمن أو الفدى

(١) غيلان : هو ذو الرمة ، ومى : معشوقته

ولكن أبيت سوى قسوة يفوت بها قلبك الجلدا

* * *

غريب بن سعيد

أنشدنى له [من مجزوء الكامل] :

وجد دخيل واكتئاب وفراق شمل واقتراب
ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخوانى حجاب
فإذا خلا وجدت عليه همومه من كل باب
يا عاذلى لما رأى دمع العيون له انسكاب
مالى على برح النوى جلد فأقصر فى العتاب

وله [من المنسرح] :

ألان يوم الفراق قسوته حتى جرى دمعه وما شعرا
تخلت ما سال من مدامعه درا على وجنته منتثرا
لم يبك شوقا لكن بكى حزنا لهول يوم الفراق إذ حضرا
فى مشهد لو أطاق شاهده فيه استتاراً لوجده استترا
أبى أساه وفيض أدمعه إلا اشتهاراً فى الحب فاشتهرا

وقوله [من الطويل]

أستودع الريح الجنوب تحية إليكم تؤدى من سلامى ومن شكرى
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم فأهدت إلينا منكم أطيب النشر
رعى الله أحبة ألف شملهم بقرطبة بين الرصافة والقصر
فوصت من أنسى بهم وحشة النوى ومن قربهم قرب المهامه والقفر

إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولم أنسها يوم الوداع ومسحها بوادر دمع العين والعين تذرف
أفانين تجري من دموع ومن دم على الخد منها تسهل وترعف
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا وكل إلى كل يلين ويعطف
حملنا هناك الهجر منا بجانب ولليس داع بالترحل يهتف
ولولا النوى لم تشك ضعفاً عن الأسى ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتك من صبابة ولكنني عن حملها منك أضعف

قال : ووجدت أن إدريس بن الهيثم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنما أنسى إذا ما نأيتم بأقرب من لاقيته نكم عهدا
إذا حصلت روحي إليكم وفدا ت على أرضكم ألقت على كبدي بردا
ويوحشني قرب الجميع وإنها لتأنس نفسي إن ذكرتكم فردا
وما كان قلبي إذ بدت صخرة فيبنو الهوى عنه ولا حجرا صلداً
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى عليها حمام ما وجدت لها فقدا

محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظل الدمع من جزع عليهم وقد بانوا يسح ويستهل
سأتبع إثرهم شوقا إليهم وأقتص المناهل حيث حلوا
فإني أشتكي بالبين منهم كأني منهم في زاد ورحل

* * *

قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الدار نبا بي واغترب ورماه الدهر رشقا من كثب
بعدت عن دار ليلى داره وهو في حبل هواها مضطرب
فرحت نفسي أن تشقى بكم فرحة في الحب شيبت بكرب
كنت لي بدرا بدا في سجفه طلع البين عليه فغرب

* * *

أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الرياح إن نفد الصبر وشطت عن أرضها أوطاني
بلغتها تحيتي وسلامي وسلام الإله كل أوان

* * *

سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنه غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعوا الهوادج للرحيل وأعتموا فغدت لبينهم المدامع تسجم
وسروا وأروقة الظلام تكنهم فكأنهم من تحت ذلك أنجم
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أنني متأخر عنهم وقلبي عندهم متقدم

وهى النوى لم يبق لى من بعدها غير الهواء نعجه أتنسم
وإذا الصبا أسرت أقول لعلها تلقاهم بتحيتى فيبلغوا

عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقد هاجنى للشوق نوح حمائم مطوقة من مشرقات الحمائم
وناحت وما أذرت دموعا وقد رأت عيونى تجرى بالدموع السواجم
إذ مراجعن الحسن حسنها نوادب رجعن الصدى فى المآتم

سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

عسى من بحرعى موت ويرجمنى بأحجار الظنون
تصرمنى ولا يرثى لما بى ويبقى النوم ظلما عن جفونى

عمر بن يوسف الحنظلى

أنشدت له من [الكامل] :

أوميض برق أم سيوف برق فى عارض آكنافه تتألق
ديم إذا ارتفت إليك وجوهها أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترى ماحمال الومض كما التفت أجفان عاشقة إلى من تعشق

يحيى بن عباد البصرى

قال [من الطويل] :

إذا بارق هاج الفؤاد المعذبا   فطرب قلبا هائما فتطربا
نفسى بلاد رحت من نحو أرضها   بعينى مشوق ما ألذ وأطيبا
بلاد بها قلبى رهين معذب   وإن جلت فى الآفاق شرقا ومغربا

* * *

الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ربع قلبى لما ذكرت الديارا   وتنورت بالتخيلات نارا
وازدهتنى ذات السنابيروق   من لظاها فما أطيق اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للنا   ر وميض السعير منها استعارا

* * *

يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب ببينهم فتحملوا   ونأى المحل بها فكيف تزار
بكروا وفى الأظعان يوم تحملو   هن القصور تكنها الأستار
صفر النحور من العبير روادع   بيض الثغور كواعب أبكار

* * *

الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أى طيف فى الكرى طرقا   سام عينى الدمع والأرقا
أنا أفدى من بجنح دجى   جاب فى ظلمائه الطرقا

لى حظ فى زيارته لى لو أن السكرى صدقا

* * *

الديك النيرى مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فرحباً بالطارق فرت به فى النوم عين العاشق

طرق الخيال خيال ليلى موهنا رحلى ، فبات مضاجعى ومعانق

ومنى المشوق أخى الصبابة أن يرى وسنان أو يقظان وجه العاشق

*

أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له من الكامل :

هل تعتب الأيام منك بنظرة تعدو بسراء على ضراء

لولا محاباة الخيال برقده من طيفها تطوى الردى حوبائى

ليت أيام النوى عادت كرى فأنال من طيف الحبيب تشفائى

*

يربوع بن أسد المالقى

أنشدت له من السريع :

يا نأى طيف سرى موهنا ودونه جوب الفلا والقفار

أكرم به من راحل ذاهب رغى نوى الدار وشحط المزار

لو أنه سايح إلمامه بطول مكث دائم أو مزار

سكنه هيج نار الأسى ثم تولى فؤاد مطار

الوزير أبو محمد غانم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صبر فؤادك للمحبوب منزله سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاملة فقلما تسع الدنيا بغيضين

غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولى حبيب هاجر فأبى الفؤاد يسومنى تعذيبا
لما درى أن الخيال مواصلى جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله فى عطش الحر [من السريع] :

إنا إلى الله لقد نالنا هم يذيب القلب إحراقه
يا عجبا مما دهانا به يسكن فى الماء ونشتاقه

محمد بن أبى الحسن العروضى

قال [من البسيط] :

[illegible] تطلع بدر التم أذكرنى بدرا تطلع وهو [illegible] فى [illegible]
بدر تطلع والآفاق مظلمة فانجاب إظلامها عن وجهه [illegible]
كم [illegible] أدمت ألحاظ مقلته ومقلة [illegible] له [illegible]

* * *

[illegible]سماعيل بن إسحاق المنادى

[illegible] [من [illegible]] :

[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

سلام امرئ أودى الفراق بصبره ... وجل فأودى بالفؤاد ولبه
لعل الذي شت الجميع بنأيه ... سيجمعنا بعد الشتات بقربه
وما الأخ بالأخ الشقيق ، وإنما ... أخوك الذي يعطيك حبة قلبه

* * *

محمد بن واقد

أنشدت له [من الوافر] :

كتابك هاج لي شوقاً عجيباً ... وأورثني الصبابة والنحيبا
نعرب عن أحبته محب ... فأصبح صبره عنه غريبا
فكيف صبره والقلب منه ... يكاد من الصبابة أن يذوبا

* * *

خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :

والله لولا خطرات المنى ... ماطال يوما عمر أهل الهوى
وانأى من ظلت من هجره ... مستمر أثوب الأسى والجوى

* * *

علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :

بيض كبيض الهند في أفعالها ... فلذاك قبل ظبأ وقبل ظباء
وترى محاسنها سيوف كأنما ... نسرب عليها ومنها صدحاء

يحيى بن الفضل

قال [من الطويل]

وسمن تير الريح منها عجاجة ـــ تظل سماء الأرض وهي صمدها
تلوح كأمثال الشواهين حلقت ـــ على دهم خيل قد أثيرت صيودها
فللطير ما قد نشرته طلوعها ـــ وللخيل ما قد أظهرته قدودها

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل]

لا تأس لوفاة من ـــ لم تنتفع بحياته
وليحر عندك ميتاً ـــ عراه فال عناته
فوفاته كحياته ـــ وحياته كوفاته

* * *

أبو بطال

أنشدت له في العذار [من الطويل]

وعارض كافور تراه كأنما ـــ بدت به من حاجر المسك عقرب
تنزه عن لبس الخلود ، وإنما ـــ يعوض على حب القلوب فلسب(١)

وقوله [من البسيط]

جمعت مالا فهلا جمعت له ـــ يا جامع المال أوقاتاً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ـــ ما المال مالك إلا يوم تنفقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ـــ لم يلق في ظلها هماً يؤرقه

وأنشدت لبعض شعرائهم (٢) في العذار [من الكامل]

ومعذر نقش العذار بمسكه ـــ خداً له بدم القلوب مضرجا

---

(١) الأسب هو شعر العانة والخيراء

(٢) هو أحمد بن عبد ربه . وقد مر ذكر هذين البيتين في ترجمته .
وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في ب

لما تيقن أن سيف جفونه   من نرجس حمل النجاد بنفسجا

القرشي المعروف بالفرج

أنشدت له [من الرمل]

رب كأس قد كست جنح الدجا   ثوب برد من سناها يققا(١)
قلت أسقيها رشأ في حسنه   سنة نورت عيني أرقا
أشرقت في ناصع من كفه   كشعاع الشمس وافى الفلقا
حييت للعين حتى خلتها   تتقي من لحظه ما يتقي
أصبحت شمساً وفوه مغربا   ويد الساقي المحيي مشرقا
فإذا ما غربت في فمه   تركت في الخد منه شفقا
خلع الروض على أرجائه   ثوب وشي منه لما رقا

* * *

إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له من الطويل

غريب بأرض الغرب مقطع الذكر   بعيد من الأهلين في بلد قفر
تذكر في أهل الجزيرة أهله   فهيجه طول التشوق والفكر
فصوت حمام في الغصون كأنما   تدير قتيلا أو رويين من خمر
إلى كل ما تشتري لها مدامع   فكل غريب لدار دمعه تجري

* * *

(١) اليقق : الأبيض الشديد البياض

عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا وغصنك نضر والجناب مريّع
تغن ولا تنشج فإلفك حاضر قريب وإلفي غائب وشسوع
بكيت بلا دمع وترفض مقلتي شآبيب منها في المصيف ربيع
وقلبك خلو من تباريح لوعتي وقلبي بلوعات الفراق صريع

* * *

المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألم ترني بعت المقامة بالسرى ولين الحشايا بالخيول الضوامر
وبدلت بعد الزعفران وطيبه صدا الدرع من مستحكمات المسامر
فلا تحسبوا أني شغلت بلذة ولكن أطعت الله في كل كافر

الوليد بن الحكم

أنشدت له ، من الطويل :

إلى رجب أو غرة الشهر بعده توافيكم بيض المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينها مسومة جبريل فيها يقودها

القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

لا تلمني على البكا والعويل .

فعلت زفرتي وطال انتحابي وبدت لوعتي وهاج غليلي

ولنعم البلاد للنازح الأو طان دمع جرى برغم العدول
وقبيح صبر الخليل أخى الوجـــد عن الدمع عند ذكر الخليل
وبنفسى نائى المحل قريب من فؤاد صب وجسم نحيل
كان بينى وبينه البحر والقفــــر ووخدالسرى وطول الذميل
يا قليل الإنصاف فى الهجر مهلا إن وجدى عليك غير قليل

وقوله [من البسيط] :

لم ما ادكارك من ورق مغردة على قضيب بذات الهضب مياس
هجن الصبابة لولا همة شرفت فصيرت قلبه كالجندل القاسى

* * *

محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتك أمك هل سمعت مخلداً أم هل رأيت مصححاً لم يسقم
أم هل رأيت من البرية ناشئاً نال الذى فى مـــدة لم يهرم
فدع الأمانى إنهـا مكذوبة واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أى أمرىء يرجو البقاء وقد رأى آثار عاد فى البلاد وجرهم

* * *

أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤى

قال [من الطويل] :

لئن غاب عن عينى وأعجز ناظرى لما غاب عن وهمى ولا زال عن فكرى
وتالله لو أستطيع ، محض مودة ، لأحللته قلبى وأسكنته صدرى(١)
أتتنى بصفو الود منه صحيفة تخبر عن ود وتنطق عن بر
تضمنها من جوهر الشعر حكمة بها سحرت من كاد ينفث بالسحر

(١) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللته وما عطف عليه

يطول لها لفظ الذكى بلاغة ... ويقصر بالراوى لها طائل العمر

وقوله [من الرجز] :

أهلا فإن اليوم يوم دجن ... إلى محل كالضمير المكنى
ساكنه كطائر فى وكن ... نعلنا تعلم أدنى وفن
فى مجلس مزخرف ذى كن ... فأنت فى سنك دون سنى

* * *

أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لما عدمت مؤانسا وجليسا ... جالست بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفرجى ... وهما الشفاء لكل جرح يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمن بعد غوصى فى علوم الحقائق ... وطول انبساطى فى مواهب خالق
ومن بعد إشراقى على ملكوته ... أرى خاملا شيئا إلى غير رازق
وقد آذنت نفسى بتقويض رحلها ... وأعنق بى سوقى إلى الموت سائق
وإنى وإن أبغنت أو زغت هاربا ... عن الموت فى الآفاق فالموت لاحقى

الحسن بن محمد بن بابل

قال [من الطويل] :

ألا ما لجسمى قد علاه شحوب ... وما بال قلبى خامرته كروب
وما بال أحشائى توقد لوعة ... وما بال رأسى قد علاه مشيب
وما ذاك إلا أن رمتنى يد النوى ... وأنى فى أرجاء مصر غريب
أراعى نجوم الليل لا أتف الكرى ... كأنى على رعى النجوم رقيب

إذا ما دعوت الدمع يوماً أجابني وإن رمت دعوى الصبر ليس يجيب
وإن رمت كتمان الذي بي من الأسى جرى هاطل من مقلتي سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهر منزلا تبوأه بعد الفراق حبيب
وهل أردن يوما مياه رصافة وهل يصفون لي عيشها ويطيب

* * *

عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى ، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يا سليل الأكرمين ومن فضله فرض فما منه بد
أزف العيد وعودتم الـكبش داري والحبل معد
ولقد أبرزت مدينتا فهي من قبل الصباح تحد
خيمك الفضل وقد حكموا أنك الفرد ومالك ند

فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة

* * *

محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طفقت به الخلافة والأيام تبتسم
ومن به أمن الرحمن بلدتنا من بعد أن فارقت ملكا لها العجم
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت عنهم عوائد صنع الله والنعم
حتى إذا قنط الإسلام وانبسطت أعداؤه واستبيحت منهم الحرم
هبت به ريح نصر الله عن كثب للدين واستيقظت من نومها الهمم

وجرد السيف فانحازت لسلته   من الجسوم طلى الأعناق والقمم
إذا تبسم فالأموال عابسة   أو صال ماتت له الأبطال والبهم
فأى بلدة شرك أمها قدما   ولم يحل بها فى عقرها النقم ؟
بقيت للدين والدنيا تسوسهما   ما حنت النيب أو ما أورق السلم [١]

* * *

موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار فى قصيدته الميميه ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المنتمى للعطر فذلك فقد   قدحت نيران بنى سوف تضطرم
زعمت أنك محسود على نعم   أوليتهـا ومحال أنهـا نعم
ورب ذى نقم يعتدهـا نعما   بجهله وهى إمـا حصلت نقم
قذفت أعراض قوم جاهلا بهم   يا ظالمـاً وهم أعلام عصرهم
وقلت إنك قـد فارقتهم وهم   فى حيث قدرك إما حصلوا رخم
فـا حماك اغتياب القوم فضلهم   ولا تحرجت فيمن عرضـه حرم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً   وما استزلك إلا فرط حلمهم
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من   فيـه حشاشة إيمـان ولا كرم
ما حصحص الحق فيما قد أتيت به   لـكنها ظلمات فوقهـا ظلم
وعن قريب ستجنى عب ما غرست   يداك فالبغى غرس طعمـه وخم

* * *

حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها فى ابن أبى عامر [من البسيط] :

لا ضيع الله للمنصور مالـكنا   حوط الهدى وصلاح الدين بالنظر

(١) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة ، سميت بذلك لكبر نابها .
والسلم : من شجر البادية

فى كل يوم له فى المسلمين يد غراء تخبر عن أفعاله الغرر
فيا لها فرجة عمت طوالعها كما يعم ضياء الشمس والقمر
لازالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* *

أبو على بن حسان الأسنجى

أنشدت له [من الكامل] :

ثقلت نفسك بالذنوب ودونها جسر لعمرك ما تخير سبيلا
يا بانى الغرف التى قد عطلت ـ لو كنت تعقل ـ دينها تعطيلا
فاقصده إنك ميت ومشاهد يوما عليك من الحساب طويلا
تبنى مصانعها وأنت مسافر فلمن تناؤك إن أردت رحيلا

أبو محمد الباجى ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخ وقلت أكافيه فأين التفاضل
ولكننى أغضى جفونى على القذى وأصفح عما رابنى وأجامل
متى أقطع الإخوان فى كل عثرة بقيت وحيداً ليس لى من أواصل
ولكن أداريه فإن صح سرنى وإن هو أعيا كان عنه التجامل

* * *

عبد الرحمن بن عمرو الحجرى

أنشدت له [من الكامل] :

لما قدمت وقال بعض صحابتى قد جاء من علقت يمينك حبله

قالت ضدة بيتها يم أبا إسحق سيدنا وقبل نصله
نفسى تعاود نيله الغمر الذى هو أهله وعنى به ولحله

* * *

عبد الملك بن خزعة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إن الناس فى أسف إذ ليس بعدك للإسلام من خلف
وقد مضت لك أيام ثمانيه أشفى لها الناس من وجد على التلف
خوفاً لعلة حبر ليس يشبهه من البرية إلا خيرة السلف
أضحى الضلال بإبراهيم متضعا وصار بالمشرق الدين ذا شرف

* * *

أبو العباس المرداوى

أنشدت له [من المجتث] :

إن رأيت لك اليو م يا كريما أجله
طفلا عليه حياء وفى الحيا الخير كله
سميته الخطر لدنا والفرع يسقيه أصله
لا زلت أثنى عليه دهرى بما هو أهله
فبارك الله فيه وفى محل يحله

* * *

محمد بن وهيب البدسمى

أنشد له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد

حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكننا(١) عقد هـــذا النـكاح لشاركتنا فى الحسنة . فقال : نعم وكرامة . وكيف تريد ذلك : منثورا أو منظوما ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ! ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لى : إى والله ، وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره ، ولا أخليه من البسملة فى افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت طامة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه . فأحضره كاتباً فأمل عليه فى نسق إ نظاما لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ على نصها فى الصداقات قديما . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيج وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليـــه والمباهاة به . وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه

وركب إلى المنصور بن أبى عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر . فعجب من ذلك ، وأمر صلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً . وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهى : من الطويل(٢)

لأصدق عبد الله نجل محمد ... فتى أموى زوجه البكر مريما
وأمهرها عشرين محل نصعب ... دنانير يحويها أبوها مسلما
وأنكحها منه أبوها محمد ... سلالة إبراهيم من حى حتمما
وباقى صداق البكر باق إلى مدى ... ثلاثة أعوام زمانا منمما
مؤخره عنه يؤدى مصحبا ... إذا لم يكن عند التطلب معدما
ومن شرطها أن لا تكون مرحلا ... لها أبدا عن دارها أين يمما
وأن لا يرى حتما سى- بصرمه ... بصرف فيه الدهر كما ولا فما

---

(١) كذا ، ولعله أمكننا

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه . وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مراتبهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف . وهذه مادة عظيمة .

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغه والمعاني والنوادر . وله كتب مؤلفة منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي . وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله . وكان الشعر أقل أدواته

فمما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسر فإنك إن سرت لاقيت ضرا
فإن كان يعلم أني أسير فقد جاء بالنهي لغوا وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف يرى أني إذا سرت لاقيت شرا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسمعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب . صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم . وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ذو جسد في رأس نيق منيف

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن نار ولا جنة للمرء إلا أنه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر لمن يسمع أو يبصر

وقوله [من السريع] :

الفقر فى أوطاننا غربة والمال فى الغربة أوطان
والأرض شىء كلها واحد والناس جيران وأخوان

محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله فى الزهد [من الوافر] :

لقــد فاز الموفق للصواب وعاتب نفسه قبــل العتاب
ومن شغل الفؤاد بحب مولى يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعز من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكر فى الممات فعن قريب ينادى بالرحيل إلى الحساب
وقدم ما ترجى النفع منـــه لدار الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغـــتر بالدنيا فعما قريب سوف يؤذن بالخراب

* * *

الفقيه محمد بن عبد الله بن أبى ريعين

أنشدت له قوله فى الزهد [من الخفيف] :

أيها المرء إن دنياك بحر طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاة فيها مبين وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

حلنى إن الذى تعلمانه زمان التصابى وانطلاق عنانه
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى فهل من مجير مخبر بأمانه
وأى مجير غير من قد عصيته فما أسوأ أن لم يعد بجنانه

وقوله [من الطويل] :

وذى حرق زادت به زفراته إذا ما سطت فى قلبه خطراته
له فى دجى الإظلام خلوة مخلص تذكره فيها الجحيم هناته
ويدمعه ذكر الوعيد إلى الأسى فتنهل من لوعاته عبراته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده سقت حوضه من مائه لحظاته
بنفسى ولى أنه بمليكه وفى ذكره إصباحه وبياته

وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرك دنيا أنت منها مرحل عن قريب
وإذا المرء لم يقصر خطاه فى أمانيه فهو غير لبيب

* * *

أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل]

قف بالمطى على مغانى الدار ليس الوقوف على الرسوم بعار

يقول فيها :

أنت الذى أنقذتنا من بعدما كنا جميعا تحت جرف هار
ونهضت نحو المارقين بجحفل جم أولى عزم وذى استبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمد فكأنهم فى الحرب أسد الزار

وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحا للردى حتى رموا من جيشك المنصور بالإعصار
الله أركسهم وفرق شملهم حتى أحلهم بدار بوار

محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز
المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة العربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان — مع ذلك — حافظا للفقه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب فى الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو على البغدادى المعروف بالقالى يفضله ويعظمه . ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرنى أبو سعيد بن دوست قال : أخبرنى الوليد بن بكر الفقيه أن يحيى ابن هذيل الشاعر زار يوما ابن القوطية فى ضيعة له ، فألفاه خارجا منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه ببيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلت يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك

فأجابه مسرعا [من البسيط] :

من منزل يعجب النساك خلوته وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيخى وأستاذى ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضحى أناخوا بوادى الطلح عيرهم فأوردوها عشاء أى إيراد
أكرم به واديا حل الحبيب به ما بين رند وصمصاف وفرصاد(١)
يا واديا سار عنه الركب مرتحلا بالله قل أين سار الركب يا وادى
أبالحمى نزلوا أم باللوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خلفا لميعادى
بانوا وقد أورثوا جسمى بعدهم سقما وقد قطعوا بالبين أكبادى

ج ٢ ٠

(١) الرند : شجر طيب الرائحة ، والفرصاد هو المعروف فى بلادنا باسم التوت

أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحمد عاسر الأندلس علما وفضلا، وأدبا ونبلا ،وشعره فى نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدنى له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدنى الوليد بن بكر قوله [من الكامل] :

يا من يجرد من بصيرته ... تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له ... إلا تفزع منك فى الحلم
أضحى لك التدبير مطرداً ... مثل اطراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره ... فرآك مطلعا مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعترك تهسر له المنايا ... ذكور الهند فى أيدى ذكور
لوامع يبصر الأعمى سناها ... ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذوائب قد أقامت ... على حمراء ذات شبا طرير
حوم تحتها عقبان موت ... تخطفت القلوب من الصدور
بيوم راح فى سربال ليل ... كما عرف الأصيل من البكور
وعين الشمس تدنو فى قتام ... دنو الإلف ما بين الستور
فكم قصرت من عمر طويل ... به وأطلت من عمر قصير

وقوله [من البسيط] :

كم ألحم السيف من أبناء ملحمة ... ما منهم فوق ظهر الأرض ديار
فأورد النار من أرواح مارقة ... كادت تميز من غيظ بها النار
كأنما صال فى ثنيى مفاصله ... مستأسد حنق الأحشاء هرار
لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت ... منا على الناس آفاق وأقطار
وأطبقت ضيقا من فوق طبق ... ما يستضاء بها نور ولا نار

قاد الجياد إلى الأعداء سارية ... قبّاً طواها كطى العصب إضمار
ملومة تتبارى فى ململة ... كأنها لاعتدال الخلق أقمار
تفوت بالثأر أقواما وتدركه ... من آخرين إذا لم يدرك الثار
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم ... وحوله من جنود الله أنصار
كتائب تتبارى حول رايته ... وجحفل كسواد الليل جرار

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعترك ضنك تعاطت كماته ... كؤوس المنايا من كلى ومفاصل
يديرونها راحاً من الراح بينهم ... ببيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسمعهم أم المنية وسطها ... غناء صليل البيض تحت المناصل

وقوله [من الطويل] :

بكل ردينى كأن سنانه ... شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول متنه ... وعادت به الآمال وهى فجائع
وساءت ظنون الحرب فى حسن ظنه ... فهن ظبات للقلوب قوارع
وذى شطب تقضى المنايا بحكمه ... وليس لما تقضى المنية دافع
فرند إذا ما اعتن للعين راكد ... وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت رائع

وقوله [من السريع] :

بكل متور على متنه ... مثل مدب النمل فى القاع
يرتد طرف العين عن حده ... عن كوكب للموت لماع

وقوله [من الطويل] :

كريم على العلات جزل عطاؤه ... ينيل وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطى إذا ما سألته ... ولكن من يعطى بغير سؤال

وقوله [من السريع] :

من يرتجى بعدك أو يتقى وفى يديك الجود والباس
إن عشت عاش الناس فى نعمة وإن تمت مات بك الناس

وقوله فى الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنقده الليالى وإن كانت تصير إلى نفاد
فأسوده يصير إلى بياض وأبيضه يعود الى سواد

وقوله [من البسيط] :

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة فأطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خل لا تلائمه فربما ضاقت الدنيا على اثنين

وقوله يرثى ولده [من الكامل] :

بليت عظامك والأسى يتجدد والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائباً لا يرتجى لإيابه ولقائه حتى القيامة موعد
ما كان أحسن ملحداً ضمنته لو كان ضم أباك ثم الملحد
باليأس أسلو عنك لا بتجلدى هيهات أين من الحزين تجلد

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

واكبدا قد تقطعت كبدى وأحرقته لواعج الكمد
ما مات حى لميت أسفاً أعذر من والد على ولد
يا رحمه الله جاورى جدثا دفنت فيه حشاشتى بيدى
ونورى ظلمة القبور على من لم يصل ظلمه إلى أحد
أى حسام أخذت رونقه وأى روح نزعت من جسدى

يا قمراً أجحف الخسوف به قبل طلوع السواء فى العدد(١)
أى حشى لم يذب له أسفاً ؟ وأى عين عليه لم تجد ؟
لا صبر لى بعده ولا جلد فجعت بالصبر فيه والجلد
يا لوعة لا يزال لاعجها يقدح نار الأسى على كبدى

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ولا امتلاء رحا إلا امتلا حزنا(٢)
لهفا على ميت مات السرور به لو كان حياً لأحيا الدين والسننا
واهاً عليك أبا بكر مرددة لو سكنت والهاً أو فترت شجنا
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزنا وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدى ومزاج الروح فى بدنى هلا دنا الموت منى حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمه بدن أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله فى التحبب إلى الناس [من الكامل] :

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجرى مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وقوله [من البسيط] :

لاغرو إن نال منك السقم ما سألا قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكى علة فى الدهر واجده إلا اشتكى الجود من وجدبها عللا

---

(١) ليلة السواء هى ليلة أربع عشرة أو ثلاث عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

(٢) امتلا أصله امتلاء — بالهمز — خفف الهمزة بقلبها ألفا لانفتاح ما قبلها ، وذلك فى مثل هذا الموضع ضعيف فى العربية

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ما لى أخ غير ما تحوى عليه يدى
دعنى أصن حر وجهى عن إذالته وإن تغربت عن أهلى وعن ولدى

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا كريم رأى الدنيا بكف لئيم
أرى كل فدم قد تبحبح فى الغنى وذو الظرف لا تلقاه غير عديم

وقوله فى الشيب [من الوافر] :

بدا وضح المشيب على عذارى وهل ليل يكون بلا نهار
وألبسنى النهى ثوبا جديداً وجردنى من الثوب المعار
شريت سواد ذا ببياض هذا فبدلت العمامة بالخمار
وما بعت الصبا بيعاً بشرط ولا استثنيت فيه بالخيار

وقوله فى الشباب [من الكامل] :

ولى الشباب وكنت تسكن ظله فانظر لنفسك أى ظل تسكن
وأتى المشيب عن الصبا لو أنه يدلى بحجته إلى من يعلن

وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودعنى وداع من بان غير منصرف
أيام لهوى كظل أسنجلة وإذ شبابى كروضة أنف

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابى كيف صرت إلى نفاد وبدلت البياض من السواد ؟ !
وما أبقى الحوادث منك إلا كما أبقت من القمر الدآدى
فراقك عرف الأحزان قلبى وفرق بين عينى والرقاد
كأنى منك لم أربع بربع ولم أرتد به أحلى مراد

سقى ذاك الربا وبل الثريا وغادى نبته صوب الغوادى
زمان كان فيه الرشد غياً وكان الغى فيه من رشادى
فكم لى من غليل فيك خاف وكم لى من عويل فيك بادى

وقوله [من البسيط] :

فكرت فيك أبحر أنت أم قمر فقد تحير فكرى بين هدين
إن قلت بحر وجدت البحر منحسراً وبحر جودك ممتد العنانين
أو قلت بدر رأيت البدر منتقصا فقلت شتان ما بين اليزيدين

وقوله فى الزهد [من السريع] :

يا ويلتا من موقف ما به أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه وليس لى من دونه راحم
يا رب عفواً منك عن مذنب أسرف إلا أنه نادم

وقوله [من الوافر] :

أتلهو بين باطية وزير وأنت من الهلاك على شفير[1]
فيامن غره أمل طويل به يردى إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم تريك مكان قبرك فى القبور
هى الدنيا وإن سرتك يوماً فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها كعارية ترد إلى معير
وتعتاض اليقين من التظنى ودار الحق من دار الغرور

وقوله [من السريع] :

مدامع قد خددت فى الخدود وأعين مكحوله بالهجود
ومعشر أوعدهم ربهم فبادروا خشية ذاك الوعيد

(١) الباطية : إناء وأواني ، والزير : إناء آخر

فهم عكوف فى محاريبهم … يبكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يعشب من دمعهم … ما قابلت أعينهم فى السجود

وقوله فى الغزل [من الطويل] :

أتقتلنى ظلما وتجحدنى قتلى … وقد قام من عينيك لى شاهدا عدل
أطلاب ذحلى ليس بى غير شادن … بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلى[1]
أغار على قلبى بعينيه شادن … أطالبه فيه أغار على عقلى
بنفسى التى ضنت على بوصلها … ولو سألت قتلى وهبت لها قتلى
إذا جئتها صدت حياء بوجهها … فيعجبنى هجر ألذ من الوصل
كتمت الهوى جهدى فجرده الأسى … بماء البلا هذا يخط وذا يملى
وإن حكمت جارت على بحكمها … ولكن ذلك الجور أحلى من العدل
وأحببت فيها العذل حباً لذكرها … فلا شىء أشهى فى فؤادى من العذل
أقول لقلبى كلما ضامه الأسى … إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيى تعرضت للهوى … وأمرك لا أمرى وفعلك لا فعلى
وجدت الهوى نصلا لموتى مغمدا … فجردته ثم اتكيت على النصل
فإن كنت مقتولا على غير ريبة … فأنت الذى عرضت نفسك للقتل

وقوله . وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حوراء راعتها النوى فى حور … حكمت لواحظها على المقدور
ذرت إليك بمقلتى أدمانة … ولفتت بسوالف اليعفور
وكأنما غاص الأسى بجفونها … حتى أتاك بلؤلؤ منثور

وقوله [من الكامل] :

أدعو إليك فلا دعاء يسمع … يا من يضر بناظريه وينفع

(١) الذحل : الثأر

للورد حين ليس يطلع دونه والورد عندك كل حين يطلع
من لى بأحور ما يبين لسانه خجلا وسيف جفونه لا يقطع
منع الكلام سوى إشارة مقلة منها يكلمنى وعنها يسمع

وقوله [من الطويل] :

جمال يفوت الوهم فى غاية الفكر وطرف إذا ما فاه ينطق بالسحر
ووجه أعار البدر ذلة حاسد فمنه الذى يسود فى صفحة البدر

وقوله فى النحول [من الكامل] :

لم يبق من جثمانه إلا حشاشة مبتئس
قد رق حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس

وقوله فى البين [من الوافر] :

فررت من اللقاء إلى الفراق لحسبى ما لقيت وما ألاقى
سقانى البين كأس الموت صرفا وما ظنى أموت بكف ساق
فيا برد اللقاء على فؤادى أجرنى اليوم من حر الفراق

وقوله فى نوح الحمام [من الطويل] :

ويهتاج قلبى كلما كان ساكنا دعاء حمام لم يبت بوكون
وإن ارتياحى من بكاء حمامة كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الأيك لما تجاوبت حزين بكى من رحمة لحزين

وقوله فيه [من الطويل] :

أنائحة حمامات اللوى أم معنت فأبدت دواعى قلبه ما أجنت
فديت التى كانت ولا شىء غيرها منى النفس أو يقضى لها ما تمنت

وقوله فيه [من الطويل] :

لقد سجعت فى جنح ليل حمامه فأى أسى هاجت على الهائم الصب

لك الويل بل هيجت نجوى بلا جوى … وشكوى بلا شكوى وكربا بلا كرب
وأسكبت دمعا من جفون مسهد … وما رقرقت منك المدامع بالسكب

وقوله فى الرياض [من الطويل] :

وماروضة بالحزن حاك لها الندى … بروداً من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجى أعناقها ويميلها … شعاع الضحى المستن فى كل شارق
إذا ضاحكتها الشمس تبكى بأعين … مكللة الأجفان صفر الحمالق
حكت أرضها لون السماء وزانها … نجوم كأمثال النجوم الخوافق
بأطيب نشراً من خلائقك التى … لها خضعت فى الحسن زهر الخلائق

وقوله فى التضمين [من الطويل] :

وروضة ورد حفها السوسن الغض … تحلت بلون السام والذهب المحض
رأيت بها بدراً على الأرض ماشيا … ولم أر بدرا قط يمشى على الأرض
إلى مثله تصبو إذا كنت صابيا … فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض
وقل للذى يعى الفؤاد بحبه … على أنه يجزى المحبة بالبغض
« أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا … حنانيك بعض الشر أهون من بعض »

وقوله [من الطويل] :

وحاملة راحا على راحة اليد … موردة تسعى بلون مورد
سيماى الإبريق للكأس راكعا … يصلى له من غير طهر ويسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس … كأقراص در فى قضيب زبرجد
تلك وهذى فاله يومك كله … ودعها فسل لا تسأل الناس عن غد
« ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا … ويأتيك بالأخبار من لم تزود »

وقوله [من الطويل] :

أيقتلنى دائى وأنت طبيبى … قريب وهل من لا يرى بقريب

لئن خنت عهدى إنى غير خائن وأى محب خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا برزت من خدرها قال صاحبى أطعنى وخذ من حظها بنصيب
« فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب »

وقوله [من المديد] :

يا طويل الهجر لا تنس وصلى واشتمالى بك عن كل شغل
يا هلالا فوق جيد غزال وقضيبا فوق دعصة رمل

وقوله [من المديد] :

يا وميض البرق بين الغمام لا عليها بل عليك السلام
إن فى الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها وترى الوصل عليها حرام
ما تأسيك لدار خلت ولشعب شت بعد التئام
إنما ذكرك ما قد مضى ضلة مثل حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عائدا صرت له عائبا رب مطلوب غدا طالبا(١)
من يتب عن حب معشوقه لست عن حبى له تائبا
فالهوى لى قدر غالب كيف أعصى القدر الغالبا
ساكن القلب ومن حله أصبح القلب به ذاهبا

وقوله [من المديد]

أى نصاح ورمان تجتنى من غصن ريحان
أى ورد فوق خد بدا مستدبرا فوق سوسان

---

(١) زاد فى أول هذا البيت ساكنة . وهذه الزيادة لغة عند أهل العروض

وثن يعبـــد فى خلوة صيغ من در ومرجان
من رأى الدلفاء فى خلوة لم ير الخد علـــى الراق
« إنمـــا الدلفاء ياقوتة أخرجت من كيس دهقان »

وقوله [من المديد] :

من محب شفه سقمه وتلاشى لحمــــه ودمه
كاتب حنت صحيفته وبكى من رحمة قلمه
يرفع الشــكوى إلى قمر تنجلي عن وجهه ظلمه
خل عقـــلى يا مسفهه إن عقلى لست أتهمه
« للفتى عقـل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادنى لومك إصرارا إن لى فى الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشأ لو رثى للقلب ما طارا
خد بكفى لا أمت غرقا إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدى ودموعى تطفئ النارا
« رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا »(١)

وقوله [من البسيط] :

يا ليـلة كان فى ظلمائها نور إلا وجوهاً تضاهيها الدنانير
حور سقتنى كأس الموت أعينها ماذا سقتنى تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدر الثغر منتظم وإن نطقن فدر اللفظ منثور
حل الصاعتك واختم بالنهى عملا فإن خاتمة الأعمال تكفير
« والخير والشر معروفان فى قرن فالخير متبع والشر محذور »

---

(١) الهندى والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .

وقوله [من البسيط] :

يا طالبا فى الحب ما لا ينال وسائلا لم يعف ذل السؤال
ولت ليالى الصبا محمودة لو أنها ترجع تلك الليالى
وأعقبتك التى أوصلتها بالهجر لما رأت شيب القذال
لا تلتمس وصلة من مخلف ولا تكن طالبا ما لا ينال
« يا صاح قد أخلفت أسماء ما كانت تمنيك من حسن وصال »

وقوله [من البسيط] :

ظالمتى فى الحب لا تظلمى فتصرمى حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتنى لا يرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلا نفس وما ذنب بأعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عينى لا للمنزل القفر ولا للرسم
« ماذا وقوفى على رسم عفا مخلولق دارس مستعجم »

وقوله [من مخلع البسيط] :

ما أقرب اليأس من رجائى وأبعد الصبر من بكائى
يا مذكى النار فى جوائى أنت دوائى وأنت دائى
من لى بمخلفة وعدها تخلط لى اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه لى بنعم لا ولا بلاء
قلت استجيبى فلما لم تجب فاضت دموعى على ردائى
كآبة الذل فى كتابى ونخوة العز فى الجواء

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلت نفسا بغير نفس فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب إذ خلق الناس من تراب

ولت حميا الشباب عنى فلهف نفسى على الشباب
أصبحت والشيب قد علانى يدعو حثيثاً إلى الخضاب

وقوله ، من الوافر :

تجافى النوم بعدك عن جفونى ولكن ليس تجفوها الدموع
يطير إليك من شوق فؤادى ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت فليس لها على الدنيا طلوع
يذكرنى تبسمك الأقاحى ويحكى لى توردك الربيع
فما لى من تذكرك امتناع ودون لقائك الحصن المنيع
« إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع »

وقوله [من الكامل] :

حال الزمان له فبدل حالا وكسا المشيب مفارقا وقذالا
غابت غوانى الحى عنك وربما طلعت إليك أكلة وحجالا
أضحى عليك حلالهن محرما ولقد تكون حرامهن حلالا
إن الكواعب إن رأينك طاوياً وصل الشباب طوين عنك وصالا
« وإذا دعونك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن خبالا »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتك الحجاب عن الضمائر طرف به تبلى السرائر
رنو فيمتحن القلو ب كأنه فى القلب ناظر
يا ساحراً ما كنت أعـ ـرف قبله فى الناس ساحر
أقصيتنى من بعد ما أدنيتنى فالقلب طائر
« وغررتنى وزعمت أنـ ـك لابن فى الصيف تامر »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقـلة الرشأ الغـــريـــر وشقيـقة القمر المنير
ما رنقت عينـاك لى بين الأكلـــة والستور
إلا وضعت يدى على كبدى مخافة أن تطير
مني كمغض حمـام مكـــه واستمع قول النذير
، أبى لا تظـلم عكـــه لا الصغير ولا الكبير .

وقوله [من مجزوء الكامل]

قل ما بدا لك وافعـل واقطع حبـالك أو صل
هـــذا الربيع فحيـــه وانزل بأكرم منزل
وصل الذى هو واصل وإذا كرهت تبـــدل
وإذا نبـا بك منــزل أو مسكن فتحول
، وإذا افتقرت فلا تكن متخشعـاً وتجمل

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهـــر مالى عنك وأنت غـــير مواتى
جرعتنى غصصـاً بهـــا كدرت على حياتى
أين الذين تسابقوا فى المجـــد للغايات
قوم بهم روح الجـد يرد فى الأموات
وإذا هم ذكروا الإساءة أكثروا الحسنات

وقوله فيه [من الهزج]

متى أشفى غلـــيلى بنيل من بخيل
غزال ليس لى منه سوى حزن الطويل
حمانى الصبر فيه من حسود أو عـــذول

جميل الوجه أخلاق من الصبر الجميل
« وما ظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول »

وقوله [من الرجز] :

لم أدر جنى سباني أم بشر أم شمس ظهر أشرقت لى أم قمر
أم ناظر يهدى المنايا طرفه حتى كأن الموت فيه فى النظر
ويحى قتيلا ما له من قاتل إلا سهام الطرف ريشت بالحور
مابال رسم الوصل أضحى دارسا حتى لقد أذكرنى ما قد دثر
« دار لسلمى إذ سليمى جارة قفر ترى آياتها مثل الزبر »

وقوله [من الرجز] :

قلب بلوعات الهوى معمود حى كميت حاضر مفقود
ماذقت طعم الموت فى كأس الرجا حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوى القلب من داء الهوى إذ لا دواء للضنى موجود
أم كيف أسلو غاده ما حبها إلا قضاء ما له مردود
« القلب منها مستريح سالم والقلب منى جاهد مجهود »

وقوله [من الرجز] :

يا أيها المشعوف بالحب التعب كم أنت فى تعريب مالا يقترب
دع ود من لايرعوى إذا غضب ومن إذا عاتبته يوما عتب
« إنك لاتجنى من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنا فى اللذات ممنوع العذار هائم فى حب ظبى ذى حورار
صغره فى خصره فى خده جمعت روضه ورد وبهار
[illegible] طاقه [illegible] أقبلت [illegible] حجل وسوار

قادنى قلبى وطرفى للهوى كيف من قلبى ومن طرفى حذارى

« لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى »

وقوله [من الرمل] :

يامدير الصدغ بالخد الأسيل وجيل السحر بالطرف الكحيل

هب لمحزون كئيب نظرة منك يشفى بردها حر الغليل

وقليل ذاك إلا أنه ليس من مثلك عندى بالقليل

بأبى أحور غنى موهنا نغشاه قصر الليل الطويل

« يا بنى الصيداء ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالذليل »

وله [من الرمل] :

شادن يسحب أذيال الطرب يتثنى ما بين لهو ولعب

بجبين مصرغ من فضة فوق خد مشرب لون الذهب

كتب الدمع بخدى عهده للهوى والشوق يملى ما كتب

يا لجهلى ما أراه ذاهباً وسواد الرأس منى قد ذهب

« قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدى رأس هذا واشتهب »

وقوله [من الرمل] :

يا هلالا فى تجليه وقضيباً فى تثنيه

والذى لست أسميه ولكنى أكنيه

شادن ما بدر الحسن تراه من تلاليه

كلما قابله شخص رأى صورته فيه

لان حتى لو مشى الذر عليه كاد يدميه

وقوله [من الرمل] :

يا هلالا [illegible] فى سحاب من حرير

وأميراً بهواه قاهراً كل أمير
ما لخديك استعارا حمره الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألبسها ثوب الدثور

وقوله [من السريع]

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكم
ألحاظه في الحب قد هتكت مكتومه والحب لا يكتم
يا مقلتي وحشيه قتلت نفساً بلا نفس ولا تظلم
قالت تسليت فقلنا لها ما قال قبلي عاشق مغرم
« يا أيها الزاري على عمر قد قلت فيه غير ما تعلم »

وقوله [من السريع] :

ويحي قتيلاً ما له من عقل من شادن يهوى مثل النصل[1]
مكحل ما مسه من كحل لا تعذلاني إنني في شغل
« يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضاء مضمومة مقرطقة تنقد عن نهدها قراطقها
كأنها بانة ناعمة خدلا في جنة الخلد من يعانقها
وأي شيء ألذ من أمر باتت معشوقة وعاشقها
دعني أمت في هوى مخدرة تعلق نفسي بها علائقها
« من لم يمت عبطة يمت هرماً الموت كأس والمرء ذائقها »

---

(١) العقل : الدية ، سميت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل . وكان ذوو القاتل يجيئون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل

وقوله [من الخفيف] :

أنت دائي وفي يديك شفائي ... يا دوائي من الهوى وشفائي
إن قلبي يحب من لا أسمي ... في عناء أعظم به من عناء
كيف لا كيف أن ألذ بعيش ... مات صبري به ومات عزائي
أيها اللائمون ماذا عليكم ... أن تعيشوا وأن أموت بدائي
« ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء »

وقوله [من الخفيف] :

ذات دل وشاحها قلق ... من ضمور وحجلها مرق
ربت الشمس نورها وحباها ... لحظ عينيه شادن خدق
دهب خدها يذوب حياء ... وسوى ذاك كله ورق
إن أمت ميتة المحبين [يوما] ... وفؤادي من الهوى حرق
فالمنايا ما بين غاد وسار ... كل حي برهنها علق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقت لي بدور في ظلام تسير
طار قلبي لحسنها من لقلب يطير !
يا بدور أنا بها الدهر عان أسير[١]
إن رضيتم بأن أمو ت فموتي حقير[٢]
كل خطب ما لم تكو نوا غضبتم يسير

وقوله [من المقتضب]

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج
أم تراك قاتلتي بالدلال والغنج

(١) في « ب » الدهر عان وأسير ، والوزن يختل عليه
(٢) في « ب » فموتي به حقير ، والوزن لا يستقيم

من لحسن وجهك من سوء فعلك السمج
عاذلى ويحكما قد غرقت فى لجج
هل على ويحكما إن لموت من حرج

وقوله من المتقارب :

أأحرم منك الرضى وتذكر ما قد مضى
وتعرض عن هائم أبى عنك أن يعرضا
قضى الله بالحب لى فصبراً على ما قضى
رميت فؤادى فما تركت به منهضا
وقوسك شريانة ونبلك جمر الغضا

وقوله [من الطويل] :

وأزهر كالعيوق يسعى بأزهر لنا منه داء وهو برء من الداء
ألا بأبى صدغ حكى السين فتله وشارب مسك قد حكى عطفة الراء
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل ونكن فتور اللحظ من طرف حوراء
وكيف أدارت مذهب اللون أصفر مذهبة فى راحة الكف صفراء

وقوله من الطويل :

معذبتى رفقاً بقلب معذب وإن كان يرضيك العذاب فعذبى
لعمرى لقد باعدت غير مباعد كما أننى قربت غير مقرب
شمس بدر أخمد البدر نوره وشمس متى تطلع إلى الشمس تغرب
لو أن امرأ القيس بن حجر بدت له لما قال « مرا بى على أم جندب »

وقوله من الطويل :

محب صوى كشحا على الزفرات وإنسان عين خاض فى العبرات
فيا من بعينيه سقامى وصحتى ومن فى يديه ميتتى وحياتى
بحبك عاشرت الهموم صبابة كأنى لها ترب وهن لداتى

خدى أرض للهموم ومقلتى سماء لهـــا تنهل بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلق اللهو فؤادى ثلاثاً لا ارتجاع لى بعد الثلاث
وبياض فى سواد عذارى بدل التشبيب لى بالمراثى
غير أنى لا أطيق اصطبارا وأرانى صائراً لانتكاثى
بإناث فى صفات ذكور وذكور فى صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعت قلبي صدع الزجاج ماله من حيلة أو علاج
مزجت روحى- ألحاظها فالهوى منى لروحى مزاج
ياقضيباً فوق دعص النقا وكثيبا تحت تمثال عاج
أنت نورى فى سواد الدجا وسراجى عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعـــه سافح بين جفنيه هوى قادح
كلما أم سبيل الهوى قاده السافح والنازح
حل فيها بين أعـــدائه وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كل مطبوخ غير داذى ومفضوخ(١)
فاعتقد من ود أهل الحجى كل ود غير مشدوخ
وانتشق رياك من ملتق شارب بالمسك ملطوخ
إن فى العـــلم وآثاره ناسخاً من بعد منسوخ

(١) الداذى شراب الفساق . والمفضوخ . عصير العصب .

وقوله [من المديد] :

يا جمال الروح من جسدى والذى يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده منتهاه منتهى العدد
خذ بكفى إننى غرق فى بحار جمة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الصبر من أودى

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طيرناباذ قرى الكرخ ببغداذ
قهوة ليست بيارقة لا . بتع ولا داذى(١)
مرة يهذى الحليم بها بأبى ذلك من هاذى
فهى أستاذ الشراب معاً والمعانى دأب أستاذ

وقوله [من البسيط] :

نور تولد من شمس ومن قمر فى طرفه سقم أمضى من القدر
أصلى فؤادى بلا ذنب جوى حرق لم يبق من مهجتى شيئاً ولم يذر
لا والرحيق المصفى من مراشفه وما بخديه من حال ومن ضرر
ما أصمت الحب قلبى فى حكومته ولا عما الشوق عن غير مقتدر

وقوله من البسيط :

خرجت أجتاز قمراً غير مجتاز مصادق أشبل العينين كالباز
صقر على أنه صقر لواليه ذا فوق نعل وهذا فوق قفاز
كم موعد لى من ألحاظ مقلته لو أنه موعد يقضى بإنجاز
أبكى ويضحك من طرفه هزؤا نفسى الفداء لذاك الضاحك الهازى

---

(١) البتع : نبيذ متخذ من العسل . ووقع فى ا ، ب « ولا بتع ولا داذى »

وقوله [من البسيط] :

يا غصنا مائسا بين الرياط   مالى من بعد بالعيش اغتباط(١)
يا من إذا ما ابتدى ماشيا   وددت أن له خدى بساط(٢)
تترك عيناه من يبصره   مختلط اللبسة كل اختلاط
قلت متى نلتقى يا سيدى   قال غدا نلتقى عند الصراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحرا طرفه إذ يلحظ   وفاتنا لفظه إذ يلفظ
يا غصنا ينثنى من لينه   وجهك من كل عين يحفظ
أيقظنى إذ جاءنى من نفسه   من طرفه ناعس مستيقظ
ظبى له وجنة من رقة   تجرحها مقلة من يلحظ

وقوله [من البسيط] :

يا من دمى دونه مسفوك   وكل حر له مملوك
كأنه فضة مسبوكة   أو ذهب خالص مسبوك
ما أطيب العيش لولا أنه   عن عاجل كله متروك
والخير مسدودة أبوابه   ولا طريق له مسلوك

وقوله [من البسيط] :

إليك يا غرة الهلال   وبدعه الحسن والجمال
مددت كفا بها انقباض   وأين كفى من الهلال
شكوت ما بى إليك وجدا   فلم ترق ولم تبالى
أعاضك الله من قريب   حالا من السقم مثل حالى

وقوله [من الوافر] :

(١) فى ا ، ب « مالى من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن
(٢) فى ا ، ب « وددت لو أن له خدى بساط » ولا يستقيم عليه الوزن

بنفسي من مراشفه مدام ومن لحظات مقلته سهام
ومن هو إن بدا والبدر تم صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً فلا لفظ إلى ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام ولا يمحو محاسنك السلام

وقوله [من الوافر] :

سلبت الروح من بدني وصمت القلب بالحزن
فلي بدن بلا روح ولي روح بلا بدن
قرنت مع الردى نفسي فنفسي وهو في قرن
قلبت السحر من عينيك لم أرد ولم يرني

وقوله [من الوافر] :

غزال من بني العاص أحس صوت قناص
فأتلع جيده حذرا وأشخص أي إشخاص
أيا من أخلصت نفسي هواه كل إخلاص
أطاعك من صميم القلب عفوا كل معناص

وقوله [من الكامل] :

في الكله الصفراء ريم أبيض تشوى القلوب بمقلتيه ويمرض
لما غدا بين الحمول مقوضا كاد الفؤاد عن الحياة يقوض
صدالكرى عن جفن عينك معرضا لما رآه يصد عنك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحت إليك جفونها بوداع خود بدت لك من وراء قناع
بيضاء ما باهى النعيم بصفرة فكأنها شمس بغير شعاع
أما الشباب فودعت أيامه ووداعهن موكل بوداعي
لله أيام الصبا لو أنها كرت على بلده وسماع

وقوله [من الكامل] :

أدمى إليك بكأسه مصغى صلت الجبين معقرب الصدغ(١)
كأس نولد بالمحبة بيننا طوراً وتنزغ أيما نزغ(٢)
فى روضة درجت بزهرتها الصبا والشمس فى درج من الفرغ
واشرب بكف أغن عقرب صدغه للقلب منك عيشة اللدغ

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليست بمعتكف بل ظبية أوفت على شرف
بل درة زهراء ما سكنت بحراً ولا درا من الصدف
أسرفت فى قتلى بلا ترة وسمعت قول الله فى السرف
إنى أتوب إليك معترفاً إن كنت تقبل قول معترف

وقوله [من الكامل] :

يا فتنة بعثت على الخلق ما بينها والموت من فرق
شمس بدت لك فى مغاربها يفتر مبسمها عن البرق
ما كنت أدرى قبل رؤيتها للشمس مطلعاً سوى الشرق
يا من يضن بفضل نائله لو فى يديك مفاتح الرزق

وقوله [من الكامل] :

طلعت له والليل دامس شمس تجلت فى حنادس
تختال فى صفر المحا سد بين حارسة وحارس
يا من لبهجة وجهه يستأسر البطل الممارس
لم يبق من قلبى سوى رسم تغير فهو دارس

(١) الصلت : الواضح والبارز المستوى
(٢) النزغ : الافساد بين الناس

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشية وواش واجعلهما كلى هراش
واشرب معتقة تسلسل فى العظام وفى المشاش
حتى ترى العود المسن بها أرق من الخشاش(١)

وقوله [من الكامل] :

ألحاظ عين تنتهى فى روض ورد تزدهى
رتعت بها وتنزهت منها بأى تنزه
يا أيها الخنث الجفون نخوه وتكره(٢)
والمكتفى عجباً أما تزق لأشمت أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة غوى ولوت نشره عدوى
شعل علون مصارق ومضت ببهجه سروى
لما تشكت عروضها دهب الزحاف خزوى
يا أيها الشادى صه ليست ساعة شدو

وقوله [من الهزج] :

ألا يا رب قبلى لى حساب العمر إد ولى
حملت الغى سربالى وكان الرشد فى أولى
سمى جائر فى الحكم يلى جوره عدلا
وليس التسهد فى يبه أحلى عنده من لا

(١) العود - الجمل المسن . والخشاش - حشرات الأرض
(٢) الخنث . الذى فيه تكسر واين

وقوله [من الهزج] :

هنـا تفنى قوافى الشـــ ـعر فى هـذا الروى
قواف ألبست حلياً من الحـلى الروى
تعالت عن جرير بل زهير بل عـدى

* * *

وأنشدت لأبى عمرو يوسف بن هرون الأندلسى المعروف بأبى سيبح يمدح أبا على إسماعيل بن القاسم البغدادى القالى ، من قصيدة أولها [من الكامل]

من حاكم بينى وبين عذولى الشجو شجوى والعويل عويلى
فى أى جارحة أصون معذبى سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت فى بصرى فثم مدامعى أو قلت فى كبدى فثم غليلى
وثلاث شيبات نزلن بمفرقى فعلمت أن نزولهن رحيلى
طلعت ثلاث فى نزول ثلاثة واش ووجه مراقب ومقيل
فعذلننى عن صبوتى متذللا ولقد سمعت بذلة المعذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهن غير معالم وطلول
ونهت عاطفة الحسان فلم تصل شكوى إلى طى أغر كحيل
ومكبل لم يحترم حرماً ولا دامت صحابته بغير كبول
متلفت كتلفت المرتاع يمـ ـسم لحظه فى الحول عند الحول
حتى إذا ما السرب عن لحظه أومى تقادمه حذا سبيلى
ولت جماعتها وشد وراءها وكأنه نصل وراء رعيل(١)
عجلت وأدركها ردى فى إثرها بل الردى قد شكل عجول

(١) الرعيل القطعة من الخيل

ولقد غدوت بأهرت متضائل سر النفوس إليه غير ضئيل (١)
ولربما اشتم الصعيد بأنفه حيناً فقام له مقام دليل (٢)
متتبع لظلاله فكأنه فى القيظ يطلب ظله لمقيل
فنزلت فى عرش الرياض ولم يكن ليحوزها مثلى بعبر نزول
روض تعاهده السحاب كأنه متعاهد من علم إسمعيل
قسه إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت فنائلهم لغات جمعت فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا مغيبه وموت شيوخه عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهم بليل همومهم منه فصاروا فى ضحى موصول
فكأنه شمس بدت فى غربنا وتغربت فى شرقهم بأفول
يا سيدى هذا ثنائى لم أقل زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ لم أرج غير القرب فى تأميلى

وقوله [من الطويل]

وإنى لأغضى الطرف عنك جلالة وخوفاً على خديك من لحظاتى
ولو أننى أهملت عينى بأن ترى سناك لحالت دونها عبراتى
رأيت وشاة الكاشحين أباعدا ولكن دمعى من عديد وشاتى
زعمت بأنى حلت عنك ولم أكن أعنيك فى حى وفى حسراتى
وهل أنا إلا طالب لمنيتى إذا حلت عمن فى يديه وفاتى

---

(١) الأهرت : الأسد
(٢) الصعيد : التراب

وقوله [من الطويل] :

عزمت على قتلي بغير تحرج ... شجى بك حتى تصل الهائم الشجي
ولم يبد سري فيك رأيي ، وإنما ... تبدى قراراً من حنين مؤهج
تحولي ودمعي دبجاً وجنتي بما ... رأت مقلتي من خدك المتدبج
بهاراً ووردا هبت الريح فوقه ... بمرو فعطت ورده بالبنفسج(١)

وقال يرثي الملدى الخباز [من الرمل] :

أما إن رمت سلوا ... عنك يا قرة عيني
كنت في الإثم كمن شا ... رك في قتل الحسين
لك صولات على قلـ ... ـبي دليلات لحيني
مثل صولات علي ... يوم بدر وحنين

ومن شعره قوله [من الطويل]

د... أ... سحي ما ح ... ص أله ... فما العذر أيضا في امتناع خياله ؟
ى ... تم عيني فطرى طيفها ... زوال ... ساى ... شله لزواله

عبد الملك بن إدريس المعروف بالحريري

له من قصيدة كتب بها إلى ... عبد الرحمن من حبسه ، أولها [من الكامل] :

ألوى ... عزم تجلدي وتصبري ... ... الأحب واعتاد تذكري
... ... فلا قرار ... عيني أصحرع ولا ... يجري
... ... وداقوي ... وألان ... وهو صاب المكسر
وخوى ... كله ... العيش ... صفحة لم ...
فلا ... ألقى ... صفر مذكر ...

---

(١) القرو ...

وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحب الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ودنا وداعك كيف لم يتفطر
ما خلتني أبقى خلافك ساعة لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي مهما بطشت وصاحبي المستوزر
فإذا شكوت إليه شكوى راحة ذكرته فشكا إلى بأكثر
أربي على حظه عما بنا حظ المعلى من قداح الميسر

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر
وبضمر الأقلام يبلغ أهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضمر
والعلم ليس بنافع أربابه ما لم يفد عملا وحسن تبصر
فإذا دفعت إلى قرين فابله قبل التقارض والتشارك واخبر
لا يستفزك منظر حسن بدا حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر باد سلامته وباطنه وري(١)
واشرح لكل ملمة صدراً وخذ بالحزم في كل الأمور وشمر
واستنصح البر التقي وشاور الـ فطن الذكي تكن ربيح المتجر
واخزن لسانك واحترس من نطقه واحذر بوادر غيه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد بالحلم منك على السفيه المعور
وكل المسيء إلى إساءته ولا تتعقب الباغي يبغي تنصر
فكفاك من شر سماعك خبره وكفاك من خير قبول المخبر
وإذا سئلت فجد وإن قل الجدى جهد المقل إزاء جهد المكثر
واشكر لمن أولاك براً إنه حق عليك ولا تكن بالممترى

(١) الورى : المتضرم نارا

ليس الحريص بزائد فى حرصه ... بأتم حيلته هتسيمة إذخر
أو ما رأيت غبي قوم موسراً ... ولبيبهم يشقى بحال المعسر
قد أوعب التكوين كل مكون ... مذ أحكم التقدير كل مقدر
فلو ابتغيت بكل جهد نيل ما ... سبق القضاء بمنعه لم تقدر

* * *

أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسى

المعروف بالقسطلى

كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول . فن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبى عامر [من البسيط] .

ما كفر نعماك من شأنى فيثنيني ... عن توالى لنصر الملك والدين
ولا ثنائى وشكرى بالوفاء بما ... أوليتنى دون بذل النفس يكفينى
حق على النفس أن تبلى ولو فنيت ... فى شكر أيسر ما أضحيت توليني
ها إنها نعمة ما زال كوكبها ... إليك فى ظلمات الخطب يهديني
تنأى بجوهر ود غير مبتذل ... عندى وجوهر حمد غير مكنون
وحبذا النأى عن أهلى وعن وطنى ... فى كل بر وبحر منك يدنيني
وموقف للنوى أغليت منتدى ... فيه وأرخصت دمع الأعين العين
من كل نادرة ذلت لفقود يدى ... فى تنى ما يدك العلياء تحوني
والخدر يخفق فى أحشاء والهة ... ردد الشجو فى أحشاء محزون
أجاهد الصبر عنها وهى غافلة ... عن لوعه فى الحشى منها تناجيني
يا هدء كيف أعطى الشوق صاعته ... وهدء طاعه المنصور تدعوني

شدى على نجاد السيف أجمعه ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضا وقلت فيها للوعات الأسى بيني
فإن تشج بباريح الهوى كبدى فقد تعوضت قرباً منك يأسوني
وإن يعت موقف التوديع مصطبرى فأحر لى بدنو منك يحييني
أو أقرط الحظ من نعماك منقلب من الوفاء بحظ فيك مغبون
وخازن عنك نفسى فى هواجرها وابس جودك عن كفى بمخزون
وأى ظل سوى نعماك يلحفنى أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
وحاش للخيل أن تزهى على بها والبيض والسمر أن تحمى بها دونى
وربما كنت أمضى فى مكارمها ندما بأنت فى أهوالها الخون
من كل أبيض ماضى الغرب ذى شطب وكل لدن طرير الحد مسنون
كذاك تأوى مقدى فى رضاك إذا سميت فيه فلا ساع يباريني
لكن سهام من الأقدار ما برحت على مراصد ذاك الماء ترمينى
يعمان للروع أسداً فى مراتبها تمد للصحر أمثال الثعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة مطل الماء فى ظل الرياحين
حتى يحوروا بك الأرض التى اعترفت علاء آبائك التم العرانين
حيث اساورا الفرس والروم واعتوروا رو الأساور منهم والدهاقين

وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

لولا التحرج لم يحجب عياك ه

وحتيه الدعض هل يودى قتيلكم دى منذاع وحاى دلت عيناك (١)
إني أراك تقال النفس حاذقه ولى فديتك من ما انثل أوصافك
مالى ولابرق أستسقيه من ظمأ هيهات لا برد إلا من ثناياك

(١) يودى : تعطى عنه دية

لولا الضلوع لطال القلب نحوكم ضمى بعيشك فوق القلب يمناك
أصليتني لوعة الهجران ظالمة رحماك من لوعة الهجران رحماك
أظن عزمك أن أخفى لأسلوكم حلى غريمي إني لست أسلاك
حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى قبح الصنيع بمن يهواك حاشاك
إن كان واديك ممرعاً فوعدتنا وادي البكرى لعلي فيه ألقاك
ظبي وقلب فمن لي أن أصيدهما ضاع الفؤاد وقلب الظبي أشراكي

وقوله [من الوافر]

أصبح نحوى لدعوة مستقيل ينادى من غيابات الخمول
رهينة كل هم مستكن ونهزة كل خطب مستطيل
ومأمون على ظلم الأعادي ونوم على ثوب الذحول
تراني منك في همم صحاح [illegible] على دجى حظ عليل
ولكن رب دهر ساورتني غوائله على نهج السبيل
مظاهر لأمتي بغي ومكر وصلت صارمي قال وقيل
ورام عن قسي الجهل نبلا أصبن مقاتل الأدب القتيل
أتانا [illegible] عن عرض [illegible] لقد أجلت عن أمل قتيل
فكان كأنه جفن سخين تسال دماً على خد أسيل
ومصطرم الحشى [illegible] [illegible] صقيل
فتلك معدي [illegible] الرزايا [illegible] شرح السبيل
[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible] مستطيل
[illegible]

سوار فى الظلام بلا نجوم هواد فى الفلاة بلا دليل

وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحنا الفلك تهوى كأنها وقدذعرت عن مغرب الشمس غربان
على لجج خضر إذا هبت الصبا ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
وإن سكنت عنا الرياح جرى بنا زفير إلى ذكر الأحبة حنان
يقلن وموج البحر والهم والدجا تموج بنا فيها عيون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
هوت أمهم ماذا هوت برجالهم إلى نازح الآفاق سفن وأظعان
كواكب إلا أن أفلاك سيرها زمام ورحل ، أو شراع وسكان
فان غربت أرض المغارب موئلى وأنكرنى فيها خليط وخلان
فكم رحبت أرض العراق بمقدمى وأجزلت البشرى على خراسان
وإن بلادا أخرجتنى لعاطل وإن زمانا خان عهدى لخوان
سلام على الإخوان تسليم آيس وسقياً لدهر كان لى فيه إخوان
فلا مؤنس إلا شهيق وزفرة ولا مسعد إلا دموع وأجفان
وما كان ذاك البين بين أحبة ولكن قلوب فارقتهن أبدان
فياعجباً للصبر منا كأننا لهم غير من كنا وهم غير من كانوا
مضى عيشهم بعدى وعيشى بعدهم كأنى قد خنت الوفاء وقد خانوا
وأفجع من آوى صفيح وجلمد ووارت رمال بالفلاة وكثبان
وجوه تناءت فى البلاد قبورها وإنهم فى القلب منى لسكان
وما بليت فى الترب إلا تجددت عليها من القلب المفجع أحزان

ومنها :

وأوردتها يوم اللقاء وراءه كما انصرفت يوم الهباءة ذبيان(١)
بكل كمى عامرى يسوقه لحر الوغى قلب على الدين حران
حليهم بيض الصوارم والقنا لها وحلاها سابغات وأبدان
فياذل أعلام الهدى يوم عزهم ويا عز أعلام الهدى بك إذ هانوا
حفرت لهم فى يوم نبرة بالقنا قبورا هواء الأرض منهن ملآن
يطير بهم بار ونسر وناعب ويغدو بهم ذئب رميح وسرحان
فلو نشر الأملاك يومك فيهم لألقى إليك التاج كسرى وخاقان
ولو رد فى المنصور روح حياته غداة لقيت الموت والموت غرثان
وناديت فى الهيجاء أبناء ملكه فلباك آساد عبيد وفتيان
جبال إذا أرسيتها حومة الوغى وإن تدعها يوماك إليك فعقبان
يقودهم داع إلى الحق مخلب على البغى يرضى ربه وهو غضبان
وأسمر يسرى فى بحار من الندى بكفك يشكو حتى وهو ظمآن
تلألأ نورا من سنائك سنانه وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
حباك من أحييت منه شمائلا يموت بها فى الأرض ظلم وعدوان
وناداك إسرارا وناداك معلنا وحسب المعالى منه سر وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ألا هكذا فليخلف الملك سلطان
فلله ماذا أنجبت منك عامر ولله ماذا أنجبت منك قحطان
ولله منا أهل بيت بمتهم إلى يدك العليا خور وبلدان
فما قصرت بى عن علاك سماعه ولا بك عن مثلى جزاء وإحسان

(١) الهباءة أحد أيام العرب، انتصرت فيه عبس على فزارة وذبيان

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بتر الخيل يوم كر الطراد ... وظبا الهند عند حر الجلاد
وسماء العلا بنجم المساعى ... ورياض المنى بصوب الغوادى
ثم وافى القصور من ملك بصرى ... بالمشيدات من ذرى شداد
ثم ناد الأذواء عن ذى اليباسا ... ت نداء يصغى له كل ناد
وصلتكم أرحام ملك عتكم ... من كرام الأملاك والأجواد
وهناكم منصور كم من نجيب ... فى مساع جلت عن الأنداد
بلغت بجدكم نجوم الثريا ... ومساعيكم أقاصى البلاد
وعلا منكم إلى الملك سمح ... نافذ الحكم فى رقاب الأعادى
بسمات أحدثت لكم هدى هود ... وبحلم أعاد أحلام عاد
وأدارت به نجوم المعالى ... وأنار الدنيا ببيض الأيادى
وهو فى المنجبين أعلى وأزكى ... ولك أنت أكرم الأولاد
نور فى مطالع الملك أوفى ... طالعا والعلى على ميعاد
وتلاشت زهر النجوم عليه ... بسعود الجدود والأجداد
وسما للإسلام باسم أبيه ... وانتحى باسم جده الأعادى
هو نجم بالحياة بشير ... وهو للشرك منذر بالنفاد
سابق الشأو لم تؤخر مداه ... عن مدا ثم تأخر الميلاد
وإذا الحرب عسكر تمسى ... فارس الخيل فارس الآساد
ما كسى الدين منه ثوب سرور ... وكسى الضلال ثوب حداد
مبتنيا للمعالى أى حصن ... عمده فى عاتق للنجاد
[illegible] ما وللدين [illegible] ... [illegible] بالبيض والقنا والجياد
وغريب يروى به كل أرض ... وسرى أمره به كل وادى

وهنيئاً لطيء وهمدا ن ولخم وكندة وإياد

وله من أخرى يرثى بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التدانى وشيك التنائى
لقد حل من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء
هل الملك يملك ريب المنون أم العز يصرف صرف القضاء
أرى الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الروع ثياب العفاء
يبيد الحياة ببطش شديد ويلقى النفوس بداء عياء
ألم تر كيف استباحت يداه حريم الملوك وعلق النساء
هو الرزء أودى بعزم الملوك مصاباً وأودى بحسن العزاء
فما فى العويل له من كفاء ولا فى الدموع له من شفاء
فهيهات فيه غناء الزفير وهيهات فيه انتصار البكاء
وأنى يدافع سقم بسقم ؟؟ وكيف يعالج داء بداء ؟
فتلك مآقى جفون رواء مفجرة من قلوب ظماء
فلا صدر إلا حريق بنار ولا جفن إلا غريق بماء
فقد كاد يصدع صم السلام ويضرم نار الأسى فى الهواء
وجيب القلوب وشق الجيوب وشجو النحيب ولهف النداء
فمن مقلة شرقت بالدموع ومن وجنة غرقت بالدماء
وسافرة من قناع الحياء ونابذة صبرها بالعراء
وبيض صبغن بلون الحدا د حمر البرود وبيض الملاء
أنعما هوى من سماء المعالى لتبك عليك نجوم السماء
وحاشا لرزئك أن يقتضيه عويل الرجال ولدم النساء
بيض يأديك فى الصالحات تمسك وجه الضحى بالضياء

فقل لفقيدك أن يحتبي ... عليك الصباح بثوب المساء

ومنها :

لئن حجبت تحت ردم اللحود ... ومن قبل في شرفات العلاء

فتلك مآثرها في التقى ... وبذل اللهى مابها من خفاء (١)

جزاك بأعمالك الزاكيا ... ت خير المجازين خير الجزاء

ولقيت من ضنك ذاك الضريح ... نسيم النعيم وطيب الثواء

وقوله أيضاً [من الطويل]:

لك الله بالنصر العزيز كفيل ... أجد مقام أم أجد رحيل

هو الفتح أما يومه فمعجل ... إليك . وأما صنعه فجزيل

وآيات نصر ما تزال ولم تزل ... بهن عمايات الضلال تزول

سيوف تير الحق أنى انتضيتها ... وخيل يجول النصر حيث تجول

ألا في سبيل الله غزوك من غوى ... وضل به في النا كثين سبيل

لئن صدئت ألباب قوم بمكرهم ... فسيف الهدى في راحتيك صقيل

فإن يحي فيهم مكر جالوت جدهم ... فأحجار داود لديك مثول

خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... ولكن على صدر الكمي ثقيل

وجرداء لم تخل يداها معاية ... ولا كرها نحو الطعان بخيل

لها من خوافي لقوة الجو أربع ... وكشحان من ظبي الفلا وتليل

وبيض تركن الشرك في كل منتأى ... طلولا وما أزرى بهن طلول

تمور دماء الكفر في شفراتها ... ويرجع عنها الطرف وهو كليل

وأسمر ظمآن الكعوب كأنما ... بهن إلى شرب الدماء غليل

إذا ماهوى للطعن أيقنت أنه ... لصرف الردى نحو النفوس رسول

(١) اللهى - العطايا ، ومن أمثالهم « اللها تفتح اللها » يريدون أن العطايا تفتح الفم بالثناء على المعطي

وحنانة الأوتار فى كل مهجة   تعاصيك أوتار له وذحول
إذا نبعها عنها أرن فإنما   صداه نحيب فى العدى وعويل
كتائب عز النصر فى جنباتها   وكل عزيز يممته ذليل
يسير بها فى البر والبحر قائد   يسير على الخطب وهو جليل
جواد له من بهجة العز غره   ومن شيم الفضل المبين حجول
به أمن الإسلام شرقا ومغربا   وغالت غوايات الضلالة غول
حسام لداء المكر والغدر حاسم   وظل على الدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه   فقد حان من يوم الضلال أفول
كريم التأنى فى عقاب جناته   ولكن إلى صوت الصريخ عجول
وأيقن باع حتفه أن أمه   — وقدامه الليث الهصور — هول

وله أيضاً [من الكامل]

اليوم أبهجت المنى أبهاجها   وتوسطت شمس الضحى أبراجها
ما للوزارة لا تضىء لنا وقد   أضحى سراج العالمين سراجها
شمس سدت فى ذوائب يعرب   ركبت إلى الرتب العلا معراجها
ثم تنقل قدماً لأول منزل   المجد حتى استقبلت منهاجها
أنجبته ذخر الخلافة إن شكت   ألما تضمن برءها وعلاجها
وسللته سيفاً لكل منه   يجرى بأول ضربة أوداجها
فنظمت فى جيد الوزارة عقدها   وعقدت فى رأس الرياسة تاجها
والخيل خاتعة ؛لسه كلما   رفع اللواء وأوجفت أسراجها
ياقلة للآملس وكعبه   تدعو حى على الندى حجاجها
أنت الذى وحت عى كربة   لله قد تندت عسى رتاجها(١)

---

(١) رتاج ... كر لراء ... رية ركب ... لدب

وجلوت عن فلق المنى من ليلة … طاولت فى ظلم الأسى إدلاجها
وسقيتنى من جود كفك منعماً … كأسا وجدت من الحياة مزاجها
فلألبس الدهر فيك ملابساً … للحمد أحكم منطق ديباجها
ما عاقب الليل النهار ورجعت … ورق الحمائم بالضحى أهزاجها

وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] .

دعيت فأصغ لداعى الطرب … وطاب لك الدهر فاشرب وطب
فهذا بشير الربيع الجديد … يبشرنا أنه قد قرب
بهار يروق بمسك ذكى … وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت … لنا فضة نورت بالذهب
فمن حقها أن ترى الشاربين … وقد نفقت سوقهم بالنخب
وأن تسألوا الله طول البقاء … لعبد المليك مليك العرب
فلولا محاسنه لم ترق … ولولا شمائله لم تطب

وقوله [من الطويل] :

ألم تعلمى أن الثواء هو التوى … وأن بيوت العاجزين قبور
ولم تزجرى طير السرى بحروفها … فتنبيك إن يمن فهو سرور(١)
يخوفنى طول السفار وإنه … لتقبيل كف العامرى سفير
ذريى أردماء المفاوز آجناً … إلى حيث ماء المكرمات نمير(٢)
وأختلس الأيام حلسة فاتك … إلى حيث لى من عدوهن خفير

---

(١) زجر الطير : تفاءل بها ، ويمن : سرن عينا
(٢) الآجن . المتغير ، والنمير : الصافى

فإن خطيرات المهالك ضمن | لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا | بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى | وفي المهد مبغوم النداء صغير(١)
عيي بمرجوع الخطاب . ولفظه | بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب . ومهدت | له أذرع محفوفة ونحور
عصيت شفيع النفس فيه وقادني | رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها | جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيوراً فإنني | على عزمتي من شجوها لغيور
وما شاهدتني والصواخد تلتظي | علي ورقراق السراب يمور(٢)
أسلط حر الهاجرات إذا سطا | على حر وجهي . والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي بوارح | وأستوطئ الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلون | وللذعر في سمع الجريء صفير
ولو شاهدتني والسرى جل ترمتي | وحوشي خبان الفلاة سمير
وأعتسف الموماة في غسق الدجى | والأسد في غيل الغياض زئير
أسير على عين [illegible] | إذا ريع [illegible] المشرق [illegible](٣)
وقد خيلت طرق المجرة أنها | على مفرق الليل البهيم قتير
ودارت نجوم القطب حتى كأنها | كؤوس مهاة والى بهن مدير
لقد أيقنت أن المنى طوع همتي | وأني بعطف العامري جدير
وأني بذكراه لهمي زاجر | وأني [illegible] [illegible]

(١) المبغوم : الظبي صوته بغام لا [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

[illegible]

تلاقت عليه من تميم ويعرب ... شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحسيريين الذين أكفهم ... سحائب تهمى بالندى وبحور
هم صدقوا بالوحى حين أتاهم ... وما الناس إلا عابد وكفور
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها ... ويرجع عنها الوهم وهو حسير
ألا كل مدح عن نداك مقصر ... وكل رجاء فى سواك غرور
ولما تراءوا للسلام ورفعت ... عن الشمس فى أفق التروف ستور
وقد قام من زرق الأسنه دونه ... صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها ... وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبدر والبحر مجلس ... وقام بعبء الراسيات سرير
يقولون والأوجال تخرس ألسنا ... وحارت عيون منهم وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط ... وفدر فيك المكرمات قدير

ومنها :

أرى لخطب الدهر والدهر معضل ... وكاف لليث الغاب وهو هصور
وقد تخفض الأسماء وهى سواكن ... ويعمل فى الفعل الصحيح صغير
وتنبو الردينيات والطول وافر ... ويبعد وقع السهم وهو قصير

وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجفت خيلى فى الهوى وركابى ... وهذمت نبلى فى الصبا وحرابى
وسللت فى سبل الغواية صارماً ... عضباً ترقرق فيه ماء شبابى(١)
ورفعت للشوق المبرح راية ... خفاقة بهزائج الأطراب(٢)

---

(١) العضب : السيف القاطع

(٢) أراد بهزائج الأطراب الأناشيد التى تقال عند الطرب ، وكأنه سميت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للوام لأمة خالع مسرودة بصبابة وتصابى
وبرزت للشكوى بشكة معلم نكص الملام بها على الأعقاب(١)
فاسأل كمى الوجد كيف أثرته بغروب دمع صائب التسكاب
واسأل جنود العذل كيف لقيتها فى جحفل البرحاء والأوصاب
ولقد كررت على الملام بزفرة ذهل العتاب بها عن الإعتاب
حتى تركت العاذلين لما بهم شغفاً بحب التاركى لما بى
من كل ممنوع اللقاء أغتاله صرف النوى فنأى به ودنا بى
حتى افتتحت على الأحبة معقلا وعر المسالك مقفل الأبواب
ووقفت موقف عاشق حلت له فيه غنيمة كاعب وكعاب
بحدائق الحدق التى أفنينى بأحد من سيفى ومن نشابى
فى روضة جاد النعيم نباتها فتفتحت بكواعب أتراب
من كل مغنوم لقلبى غانم عشقاً ومسبى لعقلى سابى
فى جنح ليل كالغراب أطار لى عن ملتقى الأحباب كل غراب
وجلا لعينى كل بدر طالع قمن بهتك حجابه وحجابى
جاب الظلام فلم يدع من دجنه إلا غدائر شعره المنجاب
فظللت بين صبابة وظلامة مغرى الجفون بطرفه المغرى بى
فإذا كتبت بناظرى فى قلبه أخفى فخط بناظريه جوابى
وإذا سقانى من عقار جفونه أبقى على قشجها برضاب
وسلافة الأعناب توقد نارها تهدى إلى يانع العناب
فسكرت والأيام تسلب جدتى والدهر ينسج لى ثياب سلابى
سكرين من خمر كأن خمارها فقد الشباب وفرقة الأحباب

(١) الشكة — بكسر الشين وتشديد الكاف — السلاح

لمدى تناهى فى الغواية فانتهى ... فينا إلى أجل له وكتاب

ومنها :

وثملتنى بشمائل أذكرننى ... فى طيبها طوبى وحسن مآب
ورضاك رد لى الرضا فى أوجه ... من جور أيام على غضاب
وهداك أشرق لى وليلى مظلم ... وسناك أبرق لى وزندى كابى[1]
فحللت منه خير دار مقامة ... وثويت منه فى أعز رحاب
وأسمت فى أزكى البقاع صوافنى ... وضربت فى أعلى البقاع قبابى
وشويت للأضياف لحم ركائبى ... فى نار أحلاسى وفى أقتابى[2]
ولقد كسوت برغم دهر ضامنى ... ما أخلقت عصراه من أثوابى

وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وعتق الشهر كمال البدر ... فلاح فى أولى الصباح النضر
كأنه قرط بأذن الفجر

---

(١) الزند الكابى : الذى لا يورى ولا يخرج ناره
(٢) الأحلاس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوه .

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم

منهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك ما السري؟ صاحب سر الشعر، الجامع بين نظم عقود الدر، والنفث في عقد السحر، ولله دره ما أعذب بحره، وأصفى قطره، وأعجب أمره! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر، ويعلق في كعبة الفكر، فسكنت منه محاسن وملحا، وبدائع وطرفا، كأنها أطواق الحمام، وصدور البزاة البيض، وأجنحة الطواويس، وسوالف الغزلان، ونهود العذارى الحسان، وغمزات الحدق الملاح، وقد أثبت صدرا من أخباره، وطرفا لأشعاره.

حكي أنه أنشد صباه في الرفائين بالموصل فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى بكورة الشباب، ويتكسب بالشعر، ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقا له كتب إليه يسأله عن حرفته وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز، فكتب إليه من السريع:

يكفيك من جملة أخباري ... يسري من الحب وإعساري

في سوقه أفضلهم مرتبة ... تعصى [illegible] عاري

وكانت الإبرة فيما مضى ... صائنة وجهي وأشعاري

فأصبح الرزق بها ضيقا ... كأنه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس، وإنما هي [illegible] بخط السري [illegible] من [illegible] وهي [illegible] الأول [illegible] من عنده

ولما جد السرى فى خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبى الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد فى حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلى سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما . فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد بن هاشم . فى مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسى ببغداد أبا نصر سهل بن المرزبان وأنفذها إلى نيسابور فى جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدى المذكور وأخيه أبى بكر محمد بن هاشم . ورأيت فيها أبياتا كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ، وهى بأعيانها للسرى بخطه فى المجلدة المذكورة لأبى نصر ، فمنها أبيات فى وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يامن أنامله كالعارض السارى وفعله أبداً عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوباً يزر على الدنيا بأزرار
نار ولكنها ليست بمحرقة نوراً . وماء ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوزتنا فى صبيحتنا بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا ناراً فإنا بلا راح ولا نار

ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألذ العيش إتيان الصبيح وعصيان النصيحة والنصيح
وإصغاء إلى وتر وناى إذا ناحا على زق جريح

غداة دجنة وطفاء تبكى إلى ضحك من الزهر المليح
وقد حديث قلاتصها الحيارى بهاد من رواعدها فصيح
وبرق مثل حاشيتى رداء جديد مذهب فى يوم ريح

هكذا بخط السرى ، والذى بخط الخالدى «حاشيتى لواء» ، ولست أدرى أأنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهم مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة فى تصريف أعنة القوافى وصياغة حلى المعانى ،

وأنا أجعل فصلا لشعر السرى فى ذكر سرقتهما منه وغارتهما عليه ، ثم أسوق غرر الخالديين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السرى بإذن الله تعالى ومشيئته .

ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح المهلبى الوزير وغيره من الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره فى الآفاق ونظم حاشيتى الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان . وكنت أحسب أنى استغرقت شعره بجمعى فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمى أولا ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى من بغداد إلى أبى بكر وبين المجلد بخط السرى التى وقعت إلى من جهة أبى نصر وفيها زيادات كثيرة على ما فى الديوان . فقرأت فى كتاب الوساطة لقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز أخرجنى أبياتا أنشدها للسرى فى جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة ، وعذوبة اللفظ ، وهى :

[من الطويل]

أقول لحنان الشاء المغرد يهز صفيح البارق المتوقد
تبسم عن رى البلاد صبيبه ولم يبتسم إلا لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرق لازال رائح يحل عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنما يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوب الورد فى شجراتها نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتنى من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت فى كتاب تفسير ابن جنى لشعر المتنبى بيتاً واحداً أنشده السرى من قصيدة . وذكر أنه أخذه من قول المتنبى [من الطويل] :

سقاك وحيانا بك الله ، إنما على العيس نور والخدود كمائمه(١)

وهو [من المنسرح] :

حيا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا

فكدت أقضى بأنى لم أسمع فى معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف . وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا . وعلمت أن الذى حصلت من شعره غيض من فيض مالم يقع إلى .

* * *

ولما وجدت السرى أخذ جديد القميص فى حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

---

(١) العيس : الجمال . والكمائم : أغلفة النوار .

قال السرى من قصيدة فى سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :

طلعت على الديار وهم نبات وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلا مخطفات حماها الخصر منها والنهود

وكرر هذا المعنى فقال من الكامل :

أفنت ظباك الروم حتى إنها لم يبق إلا ظبية أو ريما

وإنما سرقه من قول المتنبى [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثدى النواهد

وقال السرى من قصيدة [من الكامل] :

حييت من طلل أجاب شئوره يوم العقيق سؤال دمع سائل
عفى ويغزل وهو أعظم حرمة من أن يذال براكب أو ناعل

وهو من قول المتنبى [من الطويل] :

نزلنا على الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وفى قصيدة السرى [من الكامل] :

فالدهر تمسح منه غرة سابق لاقاه أول سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبى حفصة [من الكامل] :

مسحت معد وجه معن سابقاً لما جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السرى من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لى الوفاء ولم يزل حدق الصبابة بالوفاء حقيقة
ومضى وقد منع الجفون خفوقها فأبت لذكرك لا تقر خفوقة

فالمصراع أخذه من قول التنوخى [من مجزوء الكامل] :

يفديك قلب خافق أبداً وطرف مخفق

- واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

« ما بال قلبك لا يقر خفوقا (١) »

وقال السرى من قصيدة [من الكامل] :

نفضت البراقع عن محاسن روضة ويضت بمحتفل الحيا أنوارها
فمن الثغور المشرفات لجينها ومن الخدود المذهبات نضارها
أغصان بان أغربت فى حملها غرائب الورد الجنى ثمارها

وهو من قول ابن الرومى [من البسيط] :

غصون بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان !

وقال السرى [من الكامل] :

تلك المكارم لا أرى متأخراً أولى بها منه ولا متقدما
عفو أظل ذوى الجرائم كلهم حتى لقد حسد المطيع المجرما

وهو من قول أبى تمام [من الكامل] :

وتكفل الأيتام عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتام

والأصل فيه قول أبى دهبل الجمحى [من المنسرح] :

ما زلت فى العفو للذنوب وإط لاق لعان بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم عندك أضحوا فى القد والحلق

وقال السرى من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكر العقيق لنا نثرنا عقيق الدمع سحاً وانهمالا

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

« وأراك ترعى النجم والعيوقا »

ولابن المعتز فى هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيم جرح الفراق فؤاده فالدمع من أجفانه يتدفق
بهرته ساعة فرقة فكأنما فى كل عضو منه قلب يخفق

طلول كلما حاولن سقياً سقتها العين أدمعها سجالا
تحن جمالنا هوناً إليها فأحسبها ترى منها جمالا
ونسأل من معالمها محيلا فنطلب من إجابتها محالا

وهو من قول ديك الجن ، من الكامل :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال

وقال السرى من قصيدة يتشوق بها بنى فهد [من الطويل] :

تناءوا ولما ينصرم حبل عزمهم وحاشا لذاك الحبل أن يتصرما
فشرق منهم سيد ذو حفيظة وغرب منهم سيد فتشأما
كأن نواحى الجو تنثر منهم على كل فج قاتم اللون أنجما

وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمى القفر بالفتيان حتى كأنهم بأقطار آفاق البلاد نجوم

وقال من قصيدة من الوافر :

تناهى فاطمأن إلى العتاب وأحسن للعواذل فى الخطاب
وصار جنيب غصن غير رطب وكان جنيب أغصان رطاب
خلت منه ميادين التصابى وعرى منه أفراس الشباب
وزهده خضاب الله لما تولى عنه فى زور الخضاب

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير من الطويل :

وعرى أفراس الصبا ورواحله(١)

(١) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى ، وصدره قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وذكر خضاب الله فى البيت الرابع . وهو من قول أبى تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابى[١] *

وفى قصيدة السرى [من الوافر] :

وكنت كروضة سقيت سحاباً ... فأثنت بالنسيم على السحاب

وهو من قول المتنبي [من الكامل] :

وذكى رائحة الرياض كلامها ... تبغى الثناء على الحيا فيفوح

والأصل فيه قول ابن الرومى [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولى على الوسـ ... ـمى ثم العبـاد بعد العهـاد

فهى تثنى على السماء ثناء ... طيب النشر شائعا فى البلاد

وقال السرى من قصيدة [من الوافر] :

ليالينـا بأحيـــاء الغميم ... سقيت ذهاب منهبة الغيوم

مضت بك رأفة الأيام فينا ... وغفلة ذلك الزمن الحليم

فكنا منك فى جنات عيش ... وفت حسناً بجنات النعيم

رياض محاسن وسنا شموس ... وظل دساكر وجنى كروم

وأجفان إذا لحظلت جسوماً ... جعلن سقامهن على الجسوم

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبى تمام [من الوافر] :

فيا حسن الرسوم وما تمشى ... إليها الدهر فى صور البعاد

وإذ طير الحوادث فى رباها ... سواكن وهى غناء المراد

مذاكى حلبة وشروب دجن ... وسامر فتنة وقدور صاد

وأعين ربرب كحلت بسحر ... وأجساد تضمخ بالجساد

---

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق . وصدره قوله :

* أو ما رأت بردى من نسج الصبا *

ومن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفان تروى كل شيء — سوى قلب إلى الأحباب صادى
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً — لبست لبينهم ثوبى حداد
معادن حكمة وغيوث جدب — وأنجم حيرة وصدور نادى

وقال السرى من قصيدة [من المنسرح] :

ترتع حولى الظباء آنسة — نظائراً فى الجمال أشباها
رقت عن الوشى نعمة فإذا — صافح منها الجسوم وشاها

وهو من قول المتنبى [من الطويل] :

حسان التثنى ينقش الوشى مثله — إذا مسن فى أجسامهن النواعم

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيد يبدى على صحن خده — غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره — فهن له دون النطاق نطاق

وهو أيضاً من قول المتنبى [من الوافر] :

وخصر تثبت الأحداق فيه — كأن عليه من حدق نطاقا

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه فى حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن — سجيته التجمل والعفاف
وخمت عليه فى الخلوات منى — وذلك بيننا حال تخاف
صحوت من الصبا ما ليس يخفى — وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أنى هممت بقبح فعل — لدى الإغفاء أيقظنى العفاف

وإنما أخذه من قول أبى الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

ماذا تعيب الناس من رجل — خرص [illegible]

يقظاته ومنامـــه بشرع كل بكل منه مشتبه
إن هم في حـــلم بفاحشة زجرته عفته فيتنبــه

وقال السرى من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهرة الجلباب حورية النجر
مضمنة ماء صفا مثل صفوها لجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكي عن أبيـه وقد مضى كما بت عن آبائك السادة الغر

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت أقطاره ونأت بعدا جوانبـــه
تركتهم بين مصبوغ ترائبـه من الدماء ومخضوب ذوائبه
فحائر وشهاب الرمح لاحقه وهارب وذباب السيف طالبه
يهوى إليه بمثل النجم طاعنه ويتحبه بمثـــل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبـه ثيابه فهو كاسبه وساليه

وهو من قول البحتري [من الكامل] :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبـوا

وقال السرى من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشاءه بالكتب وهولها خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لا يشرب الماء إلا غص من حذر ولا يهوم إلا راعه الحـــلم

وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لما ... رأينا البين مذموم السجايا
كأن خدودهن إذا استقلت ... شقيق فيه من طل بقايا

وهو من قول الناشىء الأوسط [من المتقارب] :

كأن الدموع على خدها ... بقيــة طل على جلنار

وقال من قصيدة في مرثية أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها ... وتمشي حفاة حولها الرجل والركب
تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت ... كأن قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

مشى الأمراء حواليها حفاة[1]

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالة نور ليس يدركها اللمس ... إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
به أضحت الأهواء يجمعها هوى ... كأن نفوس الناس في حبه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجى يمشي به غصن رطب ... دنا نوره لكن تناوله صعب
إذا ما بدا أغرى به كل ناظر ... كأن قلوب الناس في حبه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهوى العذري مأربة ... وليس لي في هوى العذال من أرب

---

(١) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أم سيف الدولة، وعجزه قوله : المرو من زف الرئال به والمرو . حجارة بيض براقة يكون فيها النار . والزف : صغار الريش ، والرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاة كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدة الحزن .

سقى الغمام رباها دمع مبتسم ... وكم سقاها التصابي دمع مكتئب

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلت أن قلوبنا ... تناجى بأفعال الهوى وهى تخفق

هى الدار لم يخل الغمام ولا الهوى ... معالمها من عبرة تترقرق

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمن طالما التقت أدمع المز ... ن عليهـــا وأدمع العشاق

وفى قصيدة السرى [من الطويل] :

وطوقت قوماً فى الرقاب صنائعا ... كأنهم منها الحمام المطوق

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت فى الرقاب له أياد ... هى الأطواق والناس الحمام

وللسرى من قصيدة فى سيف الدولة [من الطويل] :

تبسم برق الغيم فاختال لامعاً ... وحل عقود الغيث فارفض هاملا

فقلت عى منك أعلى صنائعاً ... إذا مارجوناه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحترى فقال [من الكامل] :

قد قلت للغيم الركام ولج فى ... إبراقـــه وألح فى إرعاده

لاتعرضن لجعفر متشبها ... بندى يديه فلست من أنداده

وقال السرى من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل لعناق مقوماً ... كالخوط أبدع فى الثمار وأغربا

حملت ذراه الأقحوان مفضضاً ... يسقى المدامة والشقيق مذهبا

وأبت وقد أخذ النقاب جمالها ... حركت غصن البان أن تتنقبا

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الأعين وثنيت ... للناظرين بقد ليس بالمقب

وقال السري في وصف شعره [من الكامل]

وغريبة تجري عليك رياحها   أرجاً إذا لفحت عدوك نارها

عن له غرر الكلام تفتحت   أبوابها وترفعت أستارها

تجري وتطلبه عصائب قصرت   عن شأوها فقصارها إقصارها

فتعيش بعــــد مماته أشعاره   وتموت قبل مماتها أشعارها

وهو من قول دعبل [من الطويل] :

يموت رديء الشعر من قبل أهله   وجيده يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل]

صادق البشر يرى ماء الندى   أبرقي في وجهه و يتحدر

قلت إذ برز سبقا في العلا   أإلى المجد طريق مختصر ؟

وهو من قول البحتري [من البسيط]

مازال يسبق حتى قال حاسده   له طريق إلى العلياء مختصر

وفي قصيدة السري [من الرمل]

قد قضى الصوم محموداً فعد   فهوى يحمد أو راح يسر

أ... والعيد الذي عاودته   عرتا هذا الزمان المعتكر

لك فلك المدح حتى حلته   [illegible] أشق فيه [illegible]

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح

[illegible] كأن لي إلا [illegible]

وقال من قصيدة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكست مفرق عمامة ضرب أرجوانيـة الذوائب تندى

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا رب يوم قد كسوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائب

وقال السرى من قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

وأرى العدو نقيصة في عمره وأرى الصديق زيادة في حاله

بوقائع للبأس في أعدائه ووقائع للجود في أمواله

عذلوه في الجدوى ومن يثني الحيا أم من يسد عليه طرق سجاله

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ولا الطير منها داميات المخالب

هي الروض لم تمش الخائل زهره ولا اخضل عن دمع من المزن ساكب

إذا ابتعثت بين الملاعب خلتها زرابي كسرى بثها في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل]

زرابي كسرى بثها في صحونه ليحضر وفداً أو ليجمع محفلا

وفي قصيدة السرى [من الطويل] :

وإن آنست شخصاً من الناس صرصرت كما صرصرت في الطرس أقلام كاتب

وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنما بصفرن عن ملاعق صرصرة الأقلام في المهارق

وقال في وصف رقاص [من الوافر

إذا احلولت مناسكه لرقص حديث طير القلوب إليه نزوا

أفارس أنت أحسن من تثني على صحب وأملح من لوى

وهو من قول الصنوبرى [من المتقارب] :

فمن متلو على تاليه ومن مثن على صنجه

وقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهل الملك سيف الدولة أطأدت قواعد الدين واشتدت كواهله[1]
من الرماح وإن طالت مخاصره كما الدروع وإن أوهت غلائله

وهو من قول البحترى [من الطويل] .

ملوك يعدون الرماح مخاصرا إذا زعزعوها والدروع غلائلا

وقال فى وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعارض أكلأ فيه بارقا كالنار شبت فى ذرى طود أشم[2]
كأنه نشوان جر ذيله فكلما ريع انتضى عضبا خذم[3]

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كأن الرباب الجون دون سحابه خليع من الفتيان يسحب مئزرا
إذا أدركته روعة من ورائه تلفت واستل الحسام المذكرا

وفى قصيدة السرى [من الرجز] :

ورب يوم تكتسى البيض به لوناً فتكسو لونها سود اللمم

وهو من قول المتنبى [من الخفيف] :

واستعار الحديد لوناً وألقى لونه فى ذوائب الأطفال

وقال من قصيدة [من الكامل]

وأنا العداء لمرغم فى العدى إذ زارنى وهماً على عدوائه

---

(١) أطأدت : أى اشتدت وقويت
(٢) الأشم : المرتفع العالى .
(٣) الخذم : السيف القاطع

قمر إذا ما الوشي صين أذاله — كيما يصون بمائه بهائه

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملات — ولكن كي يصن به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاقد خصره وعهوده — فكأن عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

« وشادن ضعيف عقد الخصر

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حليه وثناياه وعنبره — كل ينم عليه أو يراقبه

فلست أدري إذا ما سار في أفق — تماثل الأفق أذكى أم جنائبه

سرى من الخيف يخفي البدر مستقبا — والبدر يأنف أن تخفى مناقبه

وإنما ألمّ فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائر متقنع — لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتى إذا هز اليراع حسبته — لمضاء عزمته يهز مناصلا

[illegible] كل عشق [illegible] — [illegible] حامله وصمت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته … يأتي من الجود ما لم يأته أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبدا … إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيد إذا رمت إدراكه … وإن كان في الجود سهلا قريبا
ضرائب أبدعتها في السماح … فلسنا نرى لك فيها ضريبا

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى … فما إن رأينا لفتح ضريبا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتى شرع المجد المؤثل : فالعلا … مآربه ، والمكرمات شرائعه
إذا وعد السراء أنجز وعده … وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني . قال حدثني محمد بن مسعر قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال : إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده . فقال له أبو عمرو إنك أعجمي ولا أعني لسانك . ولكن فهمك . إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذما . وتعده مدحا . ثم أنشد

وما يرهب ابن العم ما عشت صولتي … وما أختتي من صولة المتوعد
وإني إذا أوعدته أو وعدته … لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفا ؟ فقال : بلى . قال أفتسمي الله مخلفا إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : لا . قال : فقد أبطلت شاهدك

وقال السرى من أبيات [من الخفيف] :

لحقت عزمتى العراق فسلت ... همتى للرحيل سيف اعتزامى
فسلام على جنابك والمنـ ... ـهل والظل والأيادى الجسام

وهو من قول البحترى [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمنـ ... ـهل فيه وربعك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو ... م ووجه الزمان غير عبوس

وقال فى وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلع غضة النسيم غذاها ... صفو ماء العلوم والآداب
فهى كالخرد الأوانس يخلط ... ن شماس الصبا بأنس التصابى[1]
رقة فوق رقة الحضر تبدى ... فطنة فوق فطنة الأعراب

وهو من قول الطائى [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهم ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب

وقال السرى من قصيدة [من الكامل] :

ألبستنى النعمى التى غيرت لى ... ود الصديق فعاد منها حاسدا
فلتلبسن بها ثناء مسيرا ... وتخلد ما دام يذبل خالدا

والبيت الأول من قول البحترى [من الطويل] :

وألبستنى النعمى التى غيرت أخى ... على فأمسى نازح الود أجنبا

*

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته . ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بديع رائع . وإنما كررها إعجابا بها واستحسانا لما اخترعه منها

(١) الشماس ــ بكسر الشين بزنة الكتاب ــ الاباء والامتناع

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات فى الاستزارة [من الطويل]:

ألست ترى ركب الغمام يساق   وأدمعه بين الرياض تراق
ورقت جلابيب النسيم على الثرى   ولكن جلابيب الغيوم صفاق

وقال فى معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه   وغدا به ثوب النسيم رقيقا

وقال فى قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الردا   ء وغيمه جافى الإزار

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدب جلت صنائع كفه   ولكن معانى الشعر منه دقاق

وقال فى معناه [من الكامل] :

أعلى كم نعم منحت جليلة   منحتك معنى فى الثناء دقيقاً
يلقى الندى برقيق وجه مسفر   فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى   فى جحفل ترك الفضاء مضيقاً

وقال فى معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم فى العيش رحب منازل   وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح [من الكامل] :

فلنشكرنك دولة جددتها   فتجددت أعلامها ومنارها
حلتها وحميت بيضة ملكها   فغرار سيفك سورها وسوارها

وقال فى معناه [من الوافر] :

تحلى الدين أو تحمى حماه   فأنت عليه سور أو سوار

وقال [من الكامل] :

نشر الثناء فكان من إعلانه وطوى الوداد فكان من أسراره
كالنخل يبدى الطلع من أثماره حبّاً ويخفى الغض من جماره

وقال فى معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه وأضمر الود فيه أى إضمار
كيانع النخل يبدى للعيون ضحى طلعاً نضيداً ويخفى غض جمار

وقال فى وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت لليل إذا الليل غسق وقيد الألحاظ من دون الطرق
قضبان تبر عريت عن الورق شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال فى معناه [من الكامل] :

ورجتها بصحائح إن تعتلل فلهن من ضرب الرقاب شفاء

وقال فى معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضة فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال فى معناه [من السريع] :

سيافها يضرب أعناقها وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدى نشوان من خمر الكرى أجر بردى عن برد أرى
والصبح حمل بين أحشاء الدجى »

وقال فى معناه [من الكامل] :

« والصبح حمل فى حشى الظلماء

وقال فى وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا ذادها مخطئاً أو مصيباً رسول نحوها داعيا أو مجيبا

وخـذ لهـا حربه فى غـد   إذا الحسر قارن يوما لميا

وقال فى معناه [من البسيط] :

هات التى هى يوم الحشر أوزار   كالنار فى الحسن عقبى شربها النار

وقال فى معناه [من الخفيف] :

هاتها لم نباشر النار واعلم   أنهـا فى المعاد للشرب نار

وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظر إلى الليل كيف تصدعه   راية صبح ميضنة العذب

كراهب حن للهوى طربا   فشق جلبابه من الطرب

وقال فى معناه [من السريع] :

والفجر كالراهب قد مزقت   من طرب عنه الجلابيب

وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضب الكف بالمدام وطورا   يخضب السيف من دم مهراق

وقال فى معناه [من المتقارب] :

ونخضب بالراح أيماننا   ونخضب بالدم أرماحنا

وقال فى الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفسى من أجود له بنفسى   ويبخـــل بالتحية والسلام

وحتفى كامن فى مقلتيه   كمون الموت فى حد الحسام

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأى حزم كامن   فيه كمون الموت فى حد العضب

وقال فى معناه [من المتقارب

أما للمحبين من حاكم   فينصفنى اليوم من ظالمى

حسامى فى طرفه كامن   كمون [illegible]

وقال فى معنى آخر [من البسيط] :

وفتية زهر الآداب بينهم   أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا   والراح تمشى بهم مشى الفرازين

وقال فى معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت   خيامها الصفر بقلع الأواخى
راحوا عن الراح وقد أبدلوا   مشى الفرازين بمشى الرخاخ

وقال فى قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يبدى لعينك كلما عاينته   قرنين جالا مقدما ومقاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما   وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض   ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسودا   فيجعله ذهباً أحمرا

وقال فى معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزهر غا   فقات حوله العذب
فما ينفك من سبج   يعود كأنه ذهب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجاب إلى مقام   توارى الشمس فيه بالحجاب
كأن سيوفه بين العوالى   جداول يطردن خلال غاب

وقال فى معناه [من الطويل] :

كأن سيوف [illegible]   جداول فى غاب [illegible] تناسبا(١)

---

(١) [illegible]

وقال فى معناه [من الكامل] :

أسد لها من بيضها وسمرها جـــداول مطردات وأجم

وقال فى وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتها عـــذراء تأوى حجاب القلب لاحجب القباب
أذبت لصوغهـا ذهب القوافى فأدت رونق الذهب المذاب

وقال فى معناه [من الوافر] :

وخذها كالتهاب الحلى تعنى عن المصباح فى الليل التهابا
مشعشعة كأن الطبع أجرى على صفحاتها الذهب المذابا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإن كاسرعليه فصلا ، افرط استحسانى جودة وصفه له ، وموافقته الموصوف :

قال فى وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

وما زالت رياح الشعر شتى فمن ريا الهبوب ومن سموم
تحيي الصاحب الطلق المحيا وتعلن شتم ذى الوجه التئيم (١)
منحتك من محاسنها ربيعاً مقيم الزهر سيار النسيم

وقال من أخرى [من الكامل]

قل للعدو إليك عن ذى عدة ما نار إلا نال أبعد ثأره
صل القريض إذا ارنوت أنيابه من سمه قطرت على أشعاره (٢)
لو أنه جارى عتيق طىء فى الحلبتين تبرقعا بغباره (٣)

---

١) التئيم . الكريه الوجه .
٢) الاصل : خية
(٣) يريد بعتيق طىء أبا تمام والبحترى

وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلتك عن حسن السماع مدائح حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجم منهن يخجلن النجوم طوالعا
زهر إذا صافحن سمع معاند خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى مازال فى صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضرا ومورّدا شرقا وأصفر فاقعا

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غب النوال تبسمت كما ابتسم النوار غب حيا أروى
وما ضر عقدا من تناه نظامه وفصلته أن لا يعيش له الأعشى

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لاتزرى بناظمها حسناً وتزرى بماقالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظلم وذا خضل وكالصوارم ذا ناب وذا خذم (١)
أو كالعرانين هذا حظه خنس مزرٍ عليه وهذا حظه شمم (٢)

وقال من المتقارب :

ونسكر خواطره ألست علاك من الحمد ثوبا خطيرا
محاسن لو علقت [illegible] لحسن عند الحسان القتيرا (٣)
إذا ما جمعت خلال المديح عليهن رقت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخاطره من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عسيها البدعا
[illegible] [illegible] فعسد [illegible] [illegible] مطمعا ومسمعا

---

(١) [illegible] [illegible] والسيف الذى لا يقطع .
(٢) [illegible] [illegible] [illegible] الأعلى من الوجه . والشمم
[illegible] [illegible]

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه ... إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب[١]
إن المدائح لا تهدى لناقدها ... ألا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر فيها روضة أنفا ... تفتح الزهر منها عن جنى الأدب
لفظ يروح له الريحان مطرحا ... إذا جعلناه ريحانا على النجب

وقال [من الطويل] :

أتتك يجول ماء الطبع فيها ... مجال الماء فى السيف الصقيل
قواف إن ثنت للمرء عطفاً ... ثنى الأعطاف فى برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى حلتها ... شرفت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت ... أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحة دبجتها ... فكأنما دبجت منها مطرفا
من كل بيت لو تجسم لفظه ... لرأيته وشياً عليك مفوفا

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدر فى أصدافه ... لا بل يزيد عليه فى لألائه
من كل رائقة الجمال كأنها ... جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحر ملت أصفى دره ... ونفائس الشعراء فى حصبائه

وقال [من الكامل] :

وغرائب مثل السيوف [illegible] ... [illegible] من الفكر [illegible]

(١) السبائب : جمع سبيبة ، وهى الشقة الرقيقة من [illegible]
[illegible]

فلو استعار الشيب بعض جمالها أضحى إلى البيض الحسان وسائلا
جاءتك بين رصينه ودقيقـــه تهدى إليك مطارفا وغلائلا

* * *

ما أخرج من غرره في الخالديين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالديين والتلعفرى إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبر مجد حين أدرع الصبرا وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا
تعيف شعرى يا ابن فهد مصالت عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى(١)
وفى كل يوم للغبيين غارة تروع ألفاظى المحجـــلة الغرا
إذا عن لى معنى يضاحك لفظه كما ضاحك النوار فى روضه الغدرا
غريب كشطر البرق لما تبسمت مخائله للفكـــر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر مــن الجهل معدم من الحلم معذور متى خلع العذرا
فبعد ما قربت منـه غبـاوة وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا
فهلا أبا عثمان مهلا فإنمـا يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها ودنستما تلك المطارف والأزرا
ويحكما هلا بشطر قنعتما وأبقيتما لى من محاسنه شطرا

وقال من قصيدة مدح بهـا أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالديين . وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبى وغيره [من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعد أبا هات المكارم آباء وآثار
أشكو إليك حديق غارة سبرا سعى الشقاق على ديباج أسكارى

---

(١) تعيف : اغتصب . والمصالت : تسارق

ذئبين لو ظفرا بالشمر فى حرم ... لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة ... فى جحفل من صنيع الظلم جرار
وأرخصاه فقل فى العطر ممتهناً ... لديهما يشترى من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحة ... منه ومنتخب الهندى والغار (١)
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شبابى فى محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفس الريحان يمزجه ... صبا الأصائل من أنفاس نوار
إن قلداك بدر فهو من لججى ... أو ختماك بياقوت فأحجارى
باعا عرائس شعرى بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عون وأبكار
مجهولة القدر مظلوم عقائلها ... مقسومة بين جهال وأغمار
ما كان ضرهما والدر ذو خطر ... لو حلياه ملوكا ذات أخطار
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما ... بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثيا ... ميتاً ولا افتخرا إلا بأشعارى
هذا وعندى من لفظ أشعشعه ... سلافة ذات أضواء وأنوار
كريمة ليس من كرم ولا التثمت ... عروسها بخمار عند خمار
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت ... ذات الحباب خلال الطين والقار
لم يبق لى من قريض كان لى وزرا ... على الشدائد إلا ثقل أوزارى (٢)
أراه قد هتكت أستار حرمته ... وسائر الشعر مستور بأستار
كأنه جنة راحت حدائقها ... من الغبين فى نار وإعصار (٣)

(١) اللطيمة : وعاء المسك
(٢) الوزر : الملجأ والمعين
(٣) الاعصار : ريح شديدة تصحب بنار أحيانا

عار من النسب الوضاح منتسب ... في الخالديين بين العر والعار

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالديين [من الطويل] :

ولا بد أن أشكو إليك ظلامة ... وغارة مغوار سجيته الغصب

يخيل شعرى أنه قوم صالح ... هلاكا وأن الخالدى له سقب(١)

رعى بين أعطان له ومسارح ... فلم ترع فيهن العشار ولا النجب

وكان رياضاً غضة فتكدرت ... مواردها واصفر في تربها العشب

يساق إلى الهجن المقارف حليه ... وتسلبه الغر المحجلة القب

غصبت على ديباجه وعقوده ... فديباجه غصب وجوهره نهب

وأبكاره شتى أذيل مصونها ... وريعت عذاراها كما روع السرب

وكنت إذا ماقلت شعراً حدت به ... حداة المطايا أو تغنى به الشرب

وقال في الخالدى الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثة مصدور ... فحاذروا صولة مخدور

قد أنست العالم غاراته ... في الشعر غارات المغاوير

أثكلني غيد هوف عدت ... أبهى من الغيد المعاطير

تضيب [illegible] من نسيم الصبا ... حالت بريا الورد من جور(٢)

من [illegible] فتحت أنوارها ... فاستمت [illegible] الأزاهير

وات فكري [illegible] بينها ... سقسب نقش الدنانير

[illegible] لأغفال [illegible] ... من الغواني والمشاهير(٣)

[illegible] [illegible] ... [illegible] منك مدحور

---

(١) السقب [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد، وذلك فى أيام المهلبي الوزير [من الكامل] :

بكرت عليك مغيرة الأعراب فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعه بن مكدم وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شــك بأنهما هما فى الفتك لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشــعراء فيها جهزا مقرونة بغرائب الـكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى قفره وحذار من حركات ليثي غاب
لا يسلبان أخا الثراء وإنمـا ينتاهبان نتائج الألباب
إن عز موجود الكلام عليهما فأنا الذى وقف الكلام ببابى
أو يهبطا من ذلة فأنا الذى ضربت على الشرف المطل قبابى
كم حاولا أمدى فطال عليهما أن يدركا إلا مثـــار ترابى
عجزا ولى تقف العبيد إذا جرت يوم الرهان مواقف الأرباب
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر ذم سوى الأسماء والألقاب
وضربت عنه المدعين وإنما عن حوزة الآداب كان ضرابى
فغدت نبيط الخالدية تدعى شعرى وترفل فى حبير ثيابى
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب نقضت عمائمهم على الأبواب
من كل كهل تستطير سباله لوثين بين أنامل البواب
مغض على ذل الحجاب يرده دامى الجبين تجهم الحجاب

ومفوفين معرضا لحرائق ... فتعرضت لهما صدور حراق
نظرا إلى شعر يروق فقربا ... منه خدود كواعب أتراب
شرباه فاعترفا له بعذوبة ... ولرب عذب عاد سوط عذاب
فى غارة لم تنتسلم فيها الظبا ... ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركت غرائب منطق فى غربة ... مسبية لاتهتــدى لإياب
جرحى وما ضربت بحد مهند ... أسرى وما حملت على الأقتاب
لفظ صقلت متونه فكأنه ... فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت فى صفحاته ... حر اللجين وخالص الزرياب(١)
أغربت فى تحبيره فرواته ... فى نزهة منه وفى استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل ... عن حسنه بصبا ولا بتصابى
وإذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه ... عبق النسيم فذاك ماء شبابى
يصغى اللبيب له فيقسم لبه ... بين التعجب منه والإعجاب
جد يطير شراره وفكاهة ... تستعطف الأحباب للأحباب
أعزز على بأن أرى أشلاءه ... تدمى بظفر للعدو وناب
أفمن رماه بغارة مأفونة ... شاعت ظباء الروم فى الأعراب
إنى أحذر من يقول قصيدة ... غراء حذرى غارة ونهاب
إنى نبذت على السواء إليكما ... فتأهبـــا للقادح المنتاب
وإذا نبذت إلى امرىء ميثاقه ... فليستعد اسطوتى وعقابى

وهى طويلة متناسبة فى الحسن والعذوبة

وقال من قصيدة فى أبى إسحاق الصابى . وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة من الخصيب] :

قد أظلتك يا أبا إسحاق ... غارة اللفظ والمعانى الدقاق

---

(١) الزرياب : الذهب .

فاتخذ معقلا لشعرك تحميــــه مروق الخوارج المراق
قبل رقراقه الحديد تريق الســم فى صفو مائه الرقراق
كان شن الغارات فى البلد القفـر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالى حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها على جلوساً لا أقلتهم ظهور العتاق
نجحت أنفس الملوك أبا الهيــجاء حربا بأنفس الأعلاق

يعنى أبا الهيجاء حرب بن سعيد أخا أبى فراس الحمدانى .

بقواف مثل الرياض تمشت بين أنوارها جياد السواق
بدع كالسيوف أرهفن حسنا وسقاهن رونق الطبع ساق
مشرقات تريك لفظا ومعنى حمرة الحلى فى بياض التراق
يالها غارة تفرق فى الحو مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس السميدع بالعا ر وبعض الإقدام عار باق
لو رأيت القريض يرعد منها بين ذاك الإرعاد والإبراق
وقلوب الكلام تخفق رعباً تحت نبى لوائها الخفاق
وسيوف الظلام تفتك فيها بعذارى الطروس والأوراق
والوجوه الرقاق دامية الأ شار فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمة للخدود الـ سمر منهن والقدود الرشاق
والرياض التى ألح عليها كاذب الودق صادق الإحراق(١)
والنجوم التى تظل نجوم الـ أرض حسادها على الإشراق
بعدما لحن فى سماء المعالى طلعا واقترن فى الآفاق
وتحيرت حليين لم تعـ ـد خيار النحور والأعناق

(١) الودق : المطر .

وقطعت الشباب فيه إلى أن   عم برد الشباب بالإخلاق
فهو مثل المدام بين صفاء   وبهاء ونفحة ومذاق
منطق يخجل الربيع إذا حـ   ـل عليه السحاب عقد النطاق
يا هلال الآداب يا ابن هلال   صرف الله عنك صرف المحاق
سوف أهدى إليك من خدم المـ   ـجد إماء تعاف قبح الإباق
كل مطبوعة على اسمك باد   وسمها في الجباه والآماق

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامى ، ويحكى أنه كان جزارا بالمدينة من الوافر] :

أرى الجزار هيجنى وولى   مكاشفنى وأسرع في انكشاف
ورقع شعره بعيون شعرى   فشاب الشهد بالسم الذعاف
لقد شقيت بمديتك الأضاحى   كما شقيت بغارتك القوافى
توعر نهجها بك وهو سهل   وكدر وردها بك وهو صاف
فتكت بها متقفة النواحى   على فكر أشد من الثقاف
لها أرج السوالف حين تجلى   على الأسماع أو أرج السلاف
جمعن الحسنيين فمن رياح   معبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمى   رقيق طباعها بطباع جاف
معان تستعار من الدياجى   وألفاظ تقد من الأثافى(١)
كأنك قاطف منها ثماراً   سبقت إليه إبان القطاف

(١) الأثافى : حجارة توضع عليها القدور ، واحدها أثفية بضم الهمزة وياؤها مشددة .

وشر الشعر ما أداه فكر تعثر بين ككد واعتساف
سأشق الشعر منك بنظم شعر نبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي فقف لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدب [من الطويل] :

يناسبني في الشعر والشعر كاسد حسود كبا عن غايتي ومعاند
وكل غبي لو يباشر برده لظى النار أضحى حرها وهو بارد
أفيقوا فلن يعطى القريض معلم وهل يتولى الأغبياء عطارد
ولا تنحوا منه الكرام قلائدا فليس من الحصباء تهدى القلائد

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحة فاليوم أضحت وهي سم خياط
أسخطتني وجناة عيشك حلوة فجنيت مر العيش من إسخاطي
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتي أن الرياح بعيدة الأشواط
أتروم شأوي وعلى السماك محلق شرفاً وبين الفرقدين صراطي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي فجلست بين مؤمل وسماط
وغدت صوارم منطقي مشهورة بين العراق تهز والفسطاط
وقد امتحنت دعاويا لك بينت عن بحر تمويه بعيد الشاطي
فرأيت عليك من حرا وخراطة ووجدت شعرك من فسا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤساً لعرس الخالدي بؤسا أكل يوم تغتدي عروسا
حلته واعتاضت فتى نفيساً وفارقت من بيته ناووسا
فصادفت ربع هوى مأنوساً وبدلت من زجر طاووسا
وكيف تهوى وجهه العبوسا وهي ترى الأقمار والشموسا

هذه ملح مما قاله في ابن المصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً نصابيا ، ويتعصب للخالديين على السرى ، وكان السرى يهجوه جاداً وهازلا ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجب أن الغبيين أبرقا ... مغيرين في أقطار شعري وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي ... إلى نسب في الخالدية أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى ... تجرد لي بالسب فيمن تجردا
وعندي له لو كان كفواً قوارص ... قوارص يبرن الدلاص المسردا
ومغموسة في الشرى والأرى هذه ... لبردى بها باغ وتلك لترتدى
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها ... وأطلقتها خزر النواظر سردا
ولست لجد القول أهلا وإنما ... أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبت لفتيان البطالة قبـــة ... يدحلها الفتيان كهلا وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم ... فسهلته حتى رأوه معبدا
وكم لذة لا من فيها ولا أذى ... هديت لها حذن الضلالة فاهتدى
قصدتهم وزناً فساويت بينهم ... ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وحتهم فسل ارتداد حفونهم ... بمائدة تكسى الشرائح والمدى
ومبيضة مما قراه محمد ... أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نثرت عليها البقل خضراً كأنما ... نثرت على حر اللجين الزبرجدا
ومصبوغة بالزعفران عريضة ... كأن على أعطافها منه مجسدا
مريك وقد غطت ساحة صدره ... مثالا من الكافور ألبس عسجدا
تحف بها منهم كهول وفتية ... كأنهم عقد يحف مقلدا
فلا حظ الداعي إلى الزاد كلهم ... لا لحظة المدعو ردت لهم يدا

ومِلت بهم من غير فضل عليهم ... إلى الورد عفناً والشراب موردا
مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهدا
معداً لهم فى كل يوم مجدد ... من الراح والريحان عيشاً مجددا
إذا وصلوا أضحى الخوان مديجاً ... وإن هجروا أضحى سليباً مجردا
وإن شرعوا فى لذة كنت بيعة ... وإن طمعوا فى مرفق كنت مسجدا
لك القبة العلياء أوضحت نهجها ... وأطلعت منها للفتوة فرقدا
يصادف منها الزور عيشاً مبردا ... وباطنه ملآى وظبياً مفردا
وقد فضلت شم القباب لأننى ... نصبت عليها بالقصائد مطردا

وقوله فيه [فى الطويل]

طوى وده الملحى عنى فاطوى ... وقد كان لى خلا فأعرض والنوى
دعانى فعادانى بإنشاد شعره ... ولولا انصرافى عنه مت من الطوى(١)
وقال أتاك الخبز قلت ممازحا ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى
وناولنى مسودة لو قرنتها ... إلى القار كانا فى سوادهما سوا
وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى
وفضل فى الشعر امرأ غير فاضل ... فقلت له أمسك نطقت عن الهوى
ولو أنى أحمى الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى(٢)

وقوله فيه [من الوافر]

سل الملحى كيف رأى عقابى ... وكيف وقد أثاب رأى ثوابى(٣)
سقانى لماتحى فسل صحبى ... وأعمد عنه أبيى وبابى

---

(١) الطوى — برزة الفتى — عدم الأكل
(٢) الثقاف — مكسر أولا برنة كتاب — ما تسوى به الرماح
(٣) أثاب استيقظ

أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق المهلبي ، ولهذا قال :

• سقاني الهاشمي فسل ضغني • إلخ

وقال أخو المودة والتصافي	وعون أخي الصبابة والتصابي
وشيخ طاب أخلاقا فأضحى	أحب إلى الشباب من الشباب
له قفص إذا استخفيت فيه	أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الثريا	يحط وفارس الظلماء كابي
فرحب واستمال وقال حطت	ركابكم بأفنيـــة رحاب
وحض على المناهدة اندماي	بألفاظ مهذبة عذاب
وقال تيمموا الأبواب منها	فكل جاء من تلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام	وهذا قال دن من شراب
وهذا قال ريحان ونقل	وثلج مثل رقراق السراب
وسح القوم من سمحت يداه	بقدر غريرة بكر كعاب
فتم لهم بذلك لهو يوم	غريب الحسن عذب مستطاب
إذا العبء الثقيل توزعته	أكف القوم خف على الرقاب

وقوله فيه من الرجز :

أقررت يا ابن العصب العيونا	ورحت حبلا لعنا متينا
علمت قوما كيف يقصمونا	فاطرحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آمنينا	فأكلوا يومهم سمينا
ولم يكن سرورهم ممنونا	يا من يرى نزف الدنان دينا
ومن يداري العيش كي يلينا	ما العيش إلا للمناهدينا
مقوية فصت على عشرينا	ولو نفردنا بها خربنا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحى إن بها ظبياً من الإنس مبذول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا فنهتدى لخليع منه ضليل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرق كأس الحياء بضم أو بتقبيل
فزدت إذ زرنه قنديل بيعته فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قد وهى ستر رفيق ومضى ود عليل
قصرت أيامنا البيـ ـض وفي يومك طول
دعوة بنسب القحـ ـط إليها والمحول
ليس إلا العطش القا تل والماء الثقيل
مجلس فيه لأربا ب الخنا قال وقيل
وضراط مثل ما انشـ ـق الدبيقي الصقيل[1]
فإذا اختالت خلال الـ ـشرب عذراء شمول
لعبت أيد لها أو فية القوم طبول
لست من شكلك والنا س ضروب وشكول
أنت للحاجة حتى يصدر الورد خليل
فاقطع الرسل فقد أر رى بنا منك الرسول

وقوله فيه من المنسرح :

شيخ لنا من شيوخ بغداد أغذ في القصف أي إغذاد[2]

(١) الدبيقي : المنسوب إلى دبيق بلد بمصر
(٢) أغذ : أسرع وأمعن

رق طباعا ومنطقا فغدا ... وراح في المستشف كاللاذ(١)
تظل تحت الأكف عامته ... إذا علتها طنين فولاد
قواد إخوانه فإن ظمئوا ... سقاهم الراح سق نباد
له على الشط غرفة جمعت ... كل خليع نشا ببغداذ
أعد فيها ابنة الشاك لهم ... مكورة الجنب في ابنة الداذى
ولذة من صباح قطربل ... وجؤذرا من ملاح كلواذ(٢)
يقول للزائر المسلم به ... أوصل هذا ألذ أم هذى؟
وشاعر جوهر الكلام له ... ملك فمن نارك وأخاذ
وخير ما فيه أنه رجل ... يخدمني الدهر وهو أستاذى
إذا انتشى أقبلت أنامله ... تنتر ميتاً خلال أفخاذى

وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة وسقاه نبيذ الدبس وماء بئر معروف بكرخايا(٣) [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحي راح بناصبا ... بأغضه عمداً ويوسعنا حبا
دعانا لستوفى البناء فأظلمت ... خلائق يستوفى لصاحبها السبا
تيمم كرخايا لجاد قليبها ... عليه وما سرب القليب لناشربا
وأحضر محبوسة طول ليلها ... معذبة بالنار مسعره كربا
تخير من رطب الذؤابة لحمها ... ومن ناس الحب التي لها حبا
وساهرها ليلا يضيق سحبها ... فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتها الريح راحت كأنها ... مسح موتى كشفت عنهم التربا

(١) اللاذ : حرير أحمر صيني
(٢) كلواذ قرية أسفل بغداد
(٣) كرخايا : مسيل فيض الماء من عمود على نهر عيسى ببغداد

ودانية تنهى الصباح إذا بدا ... وتقصد أنفاس النسيم إذا هبا
شراب يغض الطرف عنه وعمره ... ثلاثة أيام وقد شب لا شبا
يحد بأطراف النهار وما اقترى ... ولا كان خصدنا للجناة ولا تربا
فلما تراءت للجميع إزاءنا ... عجبت لمضروبين ما جنيا ذنبا

وقوله فيه أيضاً [من الخفيف] :

أربعاء حسامه مشهور ... حين يأتى وشره محذور
نتوقاه أول الشهر إن دا ... ر ونغشاه آخراً لا يدور
فاغد سراً بنا إلى قفص الملـ ... ـحى فالعيش فيه غض نضير
تتوارى من الحوادث والدهـ ... ـر خبير بمن توارى بصير
علس فى فناء دجلة يرتا ... ح إليه الخليع والمستور
طائر فى الهواء فالبرق يسرى ... دون أعلاه والغمام يطير
وإذا الغيم سار أسبل منه ... كلل دون خدره وستور
وإذا غارت الكواكب صبحاً ... فهو الكوكب الذى لا يغور
ليس فيه إلا خمار وخمر ... ونمات من نشوه ونشور
وحديث كأنه زهر المنـ ... ـثور حسناً أو لؤلؤ منثور
وجريح من الدنان تسيل الـ ... ـراح من جرحه وقدر تمور
وللك الظبية الغريرة إن تنـ ... ـت وإن عمتها فظبى غرير
ممتع بما شاء نهاراً ... تم ست معرس وأنت أمير
كل هذا بدرهمين فإن زد ... ت فأنت المحل المحور

وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

تقمصت فدان الخالدى بمطلق ... يتيق من الأعداء كل هدال
ونصاى منجى عنه فأصبحت ... جوارحه عوجه مال

وقد كان يخلي بيته لمآربي ... إذا زار إلف أو حبا بوصال
على أنه يكريه يوماً بخمسة ... موجهة بيض الوجوه ثقال
تحلت بذكر الله من كل جانب ... فهن بذكر الله خير حوالي
يبيح بها الملحي طوراً قذاله ... وطوراً حريمي منزل وعيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالة ... مهفهفة الكشحين أو بغزال
فقدم له الجدي الرضيع وثنه ... بعذراء من ماء الكروم زلال
ولا تلقه إلا بخمس وسله ... يلوح على وجهيه خير مقال
ساز إذا أرسلته صاد كل ما ... تروم به أو نال كل منال

وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحي ... يفي اليوم من أبي
على الجلد وإن صاد ... ف في عظمه وهيا
صحبنا عنده يوماً ... شديد الحسن فالتحـ
ـم يحنو به الأحـ ... ـوم نعدم به المسـ
ـحاعاً تصف الزيتو ... ن لو أمكن واخبـ
ونطرى السمك البنسى ... والجردق والسـ
وكنا نثر الدر من ... اللفظ خلطنـ
فهو طارب سا صحف ... صا لاعبه طرب
ولو أنا دعونا الله ... في دعوته فرز
إلى أن كبر العصر ... وهللنا فكبرنا
وبس السك المصنو ... بالقرب فسحب
وقلنا هنده أرحمه ... جاءت فأطلتنا
وطلب إذ رأينا الخبـ ... ـر يدنو فقال نسمى

إلى مائدة حفت بهـا أرغفة مثنى
عليها البقل لا نلحـــقه بالخل أو يفنى
ومنسوب إلى دجلـــة ما زال لها خدنا
جرى في مائها فبـل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمــــر أعلى صيدها سنا
طوى أقرانه الدهر فلم تبق له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعته لعنـا
حللنـا عقد الشوا ء عن جسم له مضنى
ومزقنـا له درعا يواري أعظما حجنا(١)
نرد اليـد بالخيبـــة عن أقربها مجنى
فما تم لنـــا الإفطا ر بالقوت ولا صحنا
وطاف الشيخ بالدن إلى أن نزف الدنا
فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى
مدام تجلب الهم ولا تطرده عنـا
فلا النفس بها سرت ولا القلب لها حنـا
كأن شرابه مطبوخ على راحته اليمنى
وفاح البخر القائـ ل منـه فتبخرنا
وقال اغتنموا وصل فتاة برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللدنا
وتصطاد قلوب السر ب أجفان لها وسنى

(١) الحجن : المعوجة ، وواحدها حجناء

فكدنا وأبى الله لنا والشيم الحسنى(١)
وقمنا نعطف الأزر على العفة إذ قمنا
وقلنا يا الحائك الله تزنى بعد ما شبنا !
فأبدى الأنس للقوم وأخفى الحقد والضغنا
هو الشن وما وافق منا طبق شنا

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحى عرض مستباح
وقفا فيه لأيدى الشرب جد ومزاح
هو للصفع قريح وهو للرحب قراح
وقريض مثلما تنطق بالعو الفقاح
لست أدرى أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السرى

وما أرانى أروى أحسن ولا أشرف ولا أعف ولا ألطف من قوله [من البسيط] :

قسمت قلبى بين الهم والكمد ومقلتى بين فيض الدمع والسهد
ورحت فى الحسن أشكالا مقسمة بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتنى مطرا ينهل ساكبه من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروى ماؤها ظمئى علا وقد لذعت نيرانها كبدى
فكيف أبقى على ماء الشئون وما أبقى الغرام على صبرى ولا جلدى

(١) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نعص ، وله نظائر فى العربية منها قول العرب : من تأنى نال أو كاد .

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلانى الحب منك بما بلانى فشأنى أن تفيض غروب شانى
أبيت الليل مرتفقاً أناجى بصدق الوجه كاذبة الأمانى
فتشهد لى على الأرق الثريا ويعلم ما أجن الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلا بذاك الخيم والخيم الدوانى
فبين سجوفها أقمار تم وبين عمادها أغصان بان
ومذهبة الخدود بجلنار مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من رياك ريا وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتى عمن نهانى دموع فيك تلحى من لحانى
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحب أحلى فى جنانى
فاولع العواذل حل عنى ويا كف الغرام خذى عنانى

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم تمس ضحى تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدوده خرطت أيدى الشباب لها حقين دون مجال العقد من عاج

عهدى بأبى بكر الخوارزمى يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدها بحمر لطاف نال منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العناب نور الأقاحى واشتكى الورد ناضر العناب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخوط البانه اا ميـاس فى أثوابها
ويهزها سكران سكـــر تـرابها وشـبابها
تسعى بصهباوين من ألحاظها وترابها
فكأن كأس مدامها نـا رشـفت حبابها

توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

وقال [من الكامل] :

لبست مصندلة الثياب فمن رأى صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكت من الظبي الغرير ثلاثة جيداً وطرفاً فاتراً وإهابا

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها وإن سفرت كان الحياء نقابها
حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى مشارب يهوى كل ظام سرابها
ألاحظها لحظ الطريد محله وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشح روضه بسلاسل
أذكرتنا النشوات في ظل الصبا والعيش في سنة الزمان الغافل
أيام أسفر صبوتي من كاشح عمد وأسرق لذتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تبى البرق يذكرني التنائي على أثناء دجلة والسحابا
وأياما عهدت بها التصابي وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاذتها وحل خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلة شمرت للراح رائداً وبت لغزلان الصريم مغازلا
وحلت كأسي والسماء بحليها فما عطلت حتى بدا الأفق عاطلا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أعلى صبوتنا دعاء مشوق ... يرتاح منك إلى الهوى الموموق
هل أطرقن العمر بين عصابة ... سلكوا إلى اللذات كل طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمماً ... برداء غيم كالرداء رقيق
وقلالي الدير التي لولا النوى ... لم أرمها بقلى ولا بعقوق
عمرة الجدران ينفح طيبها ... فكأنها مبنية بخلوق
وعلى خاشعة القلوب تفردوا ... بالذكر بين فروقه وفروق
أغشاه بين منافق متجمل ... ومناضل عن كفره زنديق
وأغن تحسب جيده إبريقه ... ما دام يسمح عبرة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً ... يحسبن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفكار وهي كأنها ... رزاق صادرة عن الراووق
دهر ترقق في فراقاً صرفه ... وسطا على فكان غير رفيق
فمتى أزور قباب مترفة الذرى ... فأرود بين السر والعبروق
وأرى الصوامع في غوارب أكمها ... مثل الهوادج في غوارب نوق

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته

حمراً تلوح خلالها بيض كما ... فصلت بالكافور سمط عقيق
كلف تذكر هل ناهيه النهى ... ظلين ظل هوى وظل حديق
فتعرفت عبراته في خده ... إذ لا يحس له من التفريق

حسن الخروج والتخلص

فنه قوله من قصيدة فى الوزير المهلبي [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلي بشموله وظلاله بمروجه تشماله
حتى حسبت الورد من أشجاره يجنى أو الريحان من آصاله
وكأنى لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدى بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكنى عن البلد البعيد بغيره وأرد عنه عنان قلب مائل
وأود لو فعل الحيا بسهوله وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مروقا
والصبح مصقول الرداء كأنه جلباب خود أشربته خلوقا
أغمامة بالشام شمن بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جنتها الجنوب حسدت العشار يوم العشار
ترى البرق يبسم سراً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا
إذا ما تنمر وسميها تعصفر بارقها فاستطارا
يعارضها فى الهواء النسيم فينثر فى الأرض دراً صغارا
فطوراً يشق جيوب الحيا وطوراً يسح الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الربا سماله فاشتملن المعارا

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحبا الحسود وليس من أحبابه

فالغيث يخجل أن يلم بأرضه ... والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للبتغى إدراك سودده ... حقض عليك أليس النجم مطلوبا
إن تطلب السلم تسلم من صوارمه ... أو توقد الحرب ترجع عنه محروبا
كم من جبين أزار السيف صفحته ... فعاد طرساً بحد السيف مكتوبا
وكم له فى الوغى من طعنة نظمت ... عداه أو نثرت رمحاً أنابيبا

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيى إن همى والسيل ير ... دى إن طما والدهر يصمى إن رمى
شتى الخلال يروح إما سائلاً ... نعم العدى قسراً وإما منعما
مثل الشهاب أصاب فجاً معشباً ... بحريقه وأضاء فجاً مظلما
أو كالغمام الجون إن بعث الحيا ... أحيا وإن بعث الصواعق ضرما
أو كالحسام إذا تبسم متنه ... عبس الردى فى حده فتجهما
كلف بدر الحمد ينظم سلكه ... حتى ترى عقداً عليه منظما
ويلم من شعث العلا بشمائل ... أحلى من اللعس الممنع واللمى

ومن أخرى [من الكامل] :

خلق سهول المكرمات سهوله ... وتوعر الأيام من أوعاره
إن لاح فهو الصبح فى أنواره ... أو فاح فهو الروض فى نواره

ومن أخرى [من الوافر] :

لقد شرفت بسوددك القوافى ... وفاز بمجدك الشرف التليد
فيوم الحرب تطربك المذاكى ... ويوم السلم تطربك النشيد

ومن أخرى من المتقارب

ومقبل النس بين الندى ... فأعطى القسوة حق الصفاء

بكف ترقرق ماء الحياة وروجه ترقرق ماء الحياء

ومن أخرى [من الكامل] :

أما السماح فقد تبسم نوره بعد الذبول وعاد نور ذباله
أطلقت من أغلاله وشفيت من أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى [من الكامل] :

تسب أضاء عموده فى رفعة كالصبح فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العداة بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقة الألفاظ منطقه شر العقود غدت محلولة العقد
حملته جنة من كل نائبة ورحت من جوده فى جنة الخلد

* * *

المدح بالبأس ، ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطر الإحسان ممطور ومرتجيك بعمر الجود معمور
والبيض ظل عليك الدهر منتشر والنقع جيب عليك الدهر مزرور
والترك قد هتكت أستار بيضه بحد سيفك والإسلام مستور
كم وقعة لك سنت فى الضلال بها ـر فأشرق منها فى الهدى نور
ونهضة حر فسطاط الكفر لها حوها وأدعى الفسطاط كافور

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيف نمى السيف شيمته وشوله حسنتها فخرها الدول
وعاشق حيلاء الجيش مبتذل نفساً تصون المعالى حين تبتذل
أتم بدى الخصوص الشمر جامعة حوى وسهم من فيها ورعل

تشوقه ورماح الخط مشرعة تجلى الجراح بها لا الأعين النجل
كأنه ومجر الروع يلفحـــه نشوان مد عليه ظله الأسل
فالصافنات حشاياه وإن قلقت والسابغات وإن أوهت له حلل
لما تمرقت الأغماد عن شعل تعزفت عن سنا أقمارها الكلل
أكرم بسيفك فيها صائلا غزلا يفري الشؤون وشى غربه المقل

ومن أخرى [من الكامل] :

ولرب يوم لا تزال جياده تطأ الوشيج غضاً وعظماً
معقودة غرر الجياد بنقعـــه وحجولها مما تخوض من الدما
يلقاك من وضح الحديد موضحاً طوراً ومن رهج السنابك أدهما
أقدمت تفترس الفوارس جرأة فيه وقد هاب الردى أن يقدما
والندب من لقي الأسنة سافراً وثنى الأعنة بالعجاج ملثما

ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلب عامه في السلم يوم ولكن يومه في الحرب عام
بهجر والرماح عليه ظل ويسمر والعجاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيش إذا لاقى العدو صدوره لم يلق للأعجاز منه لحوقا
حجبت له شمس النهار وأشرقت شمس الحديد بجانبيه شروقا

ومن أخرى [من الكامل]

كم معرك عرك القنا أبطاله فسمام في النقع سما ناقعاً
هبت رياحك في ذراه سمائماً وغدت سماؤك تستهل نجائعا
فتركت من حر الحديد مصارعاً فيه ومن محض الدماء مراتعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحى أدهم بالنقع فإن ضحكت فيه الظبا كان أغر
موقف لو لم يكن ناراً إذن لم تكن زرق عواليه شرر
ينظم الطعن كلى أعدائه وعقود الهام فيه تنتثر

* * *

العتاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلى كم أحبر فيك المديح ويلق سواى لديك الحبورا
لهمت عرائسه أن تصد وهمت كواكبه أن تغورا
أيسمنى بعد أن رحت لى على نوب الدهر جاراً مجيرا
وأسفر حظى لما رأ ئت بيى وبين الليالى سفيرا
سأهدى إليك نسيم العتاب وأصمر من حر عتب سعيرا

وقال فى معناه [من الوافر] :

أبا الهيجاء أصبحت القوافى تحب إليك حجا واعتمارا
عتاباً كالنسيم جرى لعتب بضرم فى الحشى منى استعارا

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً [من الطويل] :

رأيتك تجرى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ مابيى وبينك صائناً عهودك إن الحر للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهناً فى مثلك خل ماعرفت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطن

وقال فى مثل ذلك [من الوافر] :

ثنتى عنك فاستشعرت هجراً   خلال فيك لست لها براض
وأنك كلما استودعت سراً   أنم من النسيم على الرياض

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لايخفى له أثر   وأنت كالصل لاتبقى ولا تذر
سرى لديك كأسرار الزجاجة لا   يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشمر كسراً لا انجبار له   فللزجاجة كسر ليس ينجبر

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيها   وأرتجى الحال قد حلت أواخيها
أستودع الله خلا منك أوسعه   وداً ويوسعنى غشاً وتمويها
كأن سرى فى أحشائه لهب   فما تطيق له طياً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلة   ضنينة بالذى تخفى نواحيها
فصار من بعدما استودعت جوهرة   رقيقة تستشف العين مافيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأمنن من العتاب وقرصه   فالمسك يسحق كى يزيد فضائلا
ما أحرق العود الذى أشممته   خطأ ولا غم البنفسج باطلا

هذا مما أخرج له فى الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الجو يجلى فى عساكره   والأرض تختال فى أبرادها القشب
إذا أنتضى حسام البرق مؤتلقاً   فى الومض جد خطيب الرعد فى الخطب
والريح وسمى حلال الروض وابله   فما يراع لها مستيقظ الترب

وقال من أخرى [من الرمل] :

شاقني مستشرف الدير وقد راح صوب المزن فيه وبكر
أهواء رق في أرجائه أم هوى راق فما فيه كدر
أم خدود سفرت عن وردها أم ربيع عن جنى الورد سفر
مجلس ينصرف الشرب وما طويت من بسطه تلك الحبر
وكأن الشمس فيه نثرت ورقاً مابين أوراق الشجر
بين غدر تقع الطير بها فتراءى رياضاً في غدر
ونسيم وكره الروض فإن طار في الصبح ارتديناه عطر
وثرى يشهد بالطيب له عبق خالف أطراف الأزر
وغيوم نشرت أعلامها فلها ظل علينا منتشر

ومن أخرى [من الكامل] .

وحدائق يسبيك وشي برودها حتى تشبهها سبائب عبقر
يجرى النسيم خلالها وكأنما غمست فضول ردائه في العنبر
باتت قلوب المحل تخفق بينها بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائي الحجرتين مولع بالبرق داني الظلتين مشهر
تحدى بألسنة الرعود عشاره فيسير بين معرد ومزمجر
طارت عقيقة برقه فكأنما صدعت بمسك غيمه بمعصفر

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحك الروض على المنزل سبط هبوب الريح جعد المنهل
موشح بالنور أو مكلل مفروحة حلته عن جدول
أقبل هد غصن بعد مقبل والطير ينقض عليه من عل
تساقط الوشي على المصندل .

وقال فى الورد [من السريع] :

لو رحبت كأس بذى زورة ... لرحبت بالورد إذ زارها
جاء فقلناه خدوداً بدت ... مضرمة من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابت به ... لا عدمت دنياه عطارها

وقال فى وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عن لهو أو سنح ... فاغد إلى الراح ورح
رضيت أن أحظى بعز ... الكأس والحظ منح
وصاحب يقدح لى ... نار السرور بالقدح
فى روضة قد لبست ... من لؤلؤ الطل سبح
يألفنى حمامها ... مغتبقاً ومصطبح
أوقظه بالعزف أو ... يوقظنى إذا صدح
والجو فى ممسك ... طرازه قوس قزح
يبكى بلا حزن كما ... يضحك من غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هما طرباً فى أوان الطرب ... فأعجب أقداحه كالنخب
وغنى ارتياحاً إلى عارض ... يغنى وعبرته تنسكب
غيوم تمسك أفق السماء ... وبرق يكتبه بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى ... فريد بدى ما له من ثقب
فأنوارها مثل نظم الحلى ... وأنهارها مثل بيض القضب
حللت بها مع ندامى سلوا ... عن الجد واشتهروا باللعب
وأغنتهم عن بديع السماع ... بدائع ما ضمنته الكتب
وأحسن شىء ربيع الحيا ... أضيف إليه ربيع الأدب

وقال في وصف البرد [من الكامل]

يوم خلعت به عـــذاري / عريت من حلل الوقار
وضحكت فيـــه إلى الصبا / والشيب يضحك في عذاري
متلون يـــبدي لنا / طرفا بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا / ء وغيمه حاف الإزار
يبكي بمجمد دمعـــه / والبرق يكحله بنـــار

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب
من الطويل :

أعاذل إن النائبات بمرصـــد / وإن سرور المرء غـــير مخلد
إذا ما مضى يوم من العيش صالح / فصله بيوم صالح العيش من غد
وجاريـــة من حسنها وجمالها / وإن رزئت عطل الشوى والمقلد[1]
سأعطيك كأساً غير ملأى كأنما / قوامها أحـــداق درع مسرد
كأن أعاليها بياض سوالف / يلوح على توريد خد مورد

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها / على وجه صفراء الغلائل غضة
بدت وفضاء الكأس يليع فوقها / كأترجة زينت بأكليل فضة

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانا إلى اللهو داعي السرور / فبتنا نبوح بما في الصدور
وطافت علينا بشمس الدنا / ن في غسق الليل شمس الخدور

(١) الشوى من الإنسان : أطرافه . والمقلد : موضع القلادة

كأن الكؤوس وقد كللت بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشى مزرورة يلوح عليها بياض النحور

وقال [من المنسرح] :

وفتية دارت السعود لهم مدار للراح بينهم فلك
مننا وضوء الكؤوس يهتك بالإ إشراق ستر الدجى فينهتك
ترى الثريا والبدر فى قرن كما يحيا بنرجس ملك

وقال وقد شرب ليلة فى زورق [من الطويل] :

ومعتدل يسعى إلى بكأسه وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك
وقد حجب الغيم السماء كأنما يزر عليها منه ثوب ممسك
ظللنا بست الوجد والكأس دائر وتهتك أستار الهوى فتهتك
وجلسنا فى الماء يهوى ويرتقى وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وساق يقابل إبريقه كما قابل الظبى ظبياً ربيبا
يطوف علينا بشمسيه تروع بها الشمس حتى تغيبا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

وملآن من عبرات الكروم كأن على فمه عصفرا
إذا قرنته أكف السقاة من الكأس قهقه واستعبرا
تروحه عذبات الفدام برما النسيم إذا ما جرى (١)
وريم إذا رام حث الكؤو س قطب للتيه واستكبرا
وجرد من طرفه خنجراً ومن نون طرته خنجرا
ترى ورد وجنته أحمرا وريحان شاربه أخضرا

---

(١) الفدام : المصفاة توضع على الأباريق

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشرب فقد ترد صو ء الصبح عنا الظلما
وابسط النور على وجه الثرى ما نسما
كأنما أطلع ما ء المزن فيه أنجما
وصوت الإبريق في الـ كأس مداماً عندما
كأنه إذ مجها مقهقه يبكي دما

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستك الشبيبة ريعانها وأهدت لك الراح ريحانها
فدم للنديم على عهده وعاد المدام وندمانها
فقد خلع الأفق ثوب الدجى كما نضت البيض أجفانها
وساق تواجهني وجهه فتجعله العين بستانها
يبوح بالكأس كف النديم إذا لطم الماء تيجانها
فطوراً يوشح ياقوتها وطوراً يرصع عقيانها
رميت أعراسها حلبة من اللهو ترهج ميدانها
وديرا شهدت بمولاه فكذب أمن صلبانها
فلما دجى الليل فرجته بروح خفيف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح وسرج دراها وألوانها
غصون من التبر قد أزهرت لهيبا يزين أفنانها
فما حسن أرواحها في الدجى وقد أكلت منه أبدانها
سكرت بقطربل ليلة هويت فغازلت غزلانها
وأي ليالي الهوى أحسنت بي فأسكرت إحسانها

وقال [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الصبح قد قامت عساكره فى الشرق ينشر أعلاما من الذهب
والجو يختال فى حجب ممسكة كأنما البرق فيها قلب ذى رعب
وجانبتك صروف الدهر فانصرفت وقابلتك سعود العيش عن كثب
فاخلع عذارك واشرب قهوة مزجت بقهوة الفلج المعشوق والشنب
فالعيش فى ظل أيام الصبا فإذا ودعت طيب الشباب الغض لم يطب
جريت فى حلبة الأهواء مجتهدا وكيف أقصر والأيام فى طلبى
توج بكأسك قبل الحادثات يدى فالكأس تاج يد المثرى من الأدب

وقال [من البسيط]

خذوا من العيش فالأيام فاسدة والدهر منصرف والعيش منعرض
فى حامل الكأس من بدر الدجى خلف وفى المدامة من شمس الضحى عوض
كأن نجم الثريا كف ذى كرم مبسوطة بالعطايا ليس تنقبض
دارت علينا كؤوس الراح مترعة وللدجى عارض فى الجو معترض
حتى رأيت نجوم الليل غائرة كأنهن عيون حشوها مرض

وقال يصف ظل كرم [من الطويل]

أدرها فعقد اللوم إحدى العنائم ولا عيش إلا ما نسيت فيها ناعم
ولا عيش إلا فى اغتنام قهوة يروح الفتى منها خصيب المناسم
ولا ظل إلا ظل كرم معرش يحييك فى قضبه ورق الحمائم
سماء غصون تحجب الشمس أن ترى على الأرض إلا مثل نثر الدراهم

وقال [من البسيط]

اليوم يحسن ورد فيه نكسير ويستفاد من فجر له سحور

حث الكئوس فهذا يوم به قصر وما به عن تمام الحسن تقصير
صحو وغيم يروق العين حسنهما فالصحو فيروزج والغيم سمور(١)

وقال [من الطويل] :

وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا وردا إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها توهمته يسعى بكم مورد

* * *

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسن إن وجه الربيع جميل يزان بحسن العقار
فإن الربيع نهار السرو ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردت وإن لم ترد غربت في استتار
فأجر إلى بحار العقار من فيض كفيك فيض البحار
وقد عبأ الهم لي جيشه وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم قصده إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ألوذ به ومعتصمي
ويا سيفي أصول به ويا حلى ويا حرمي
أرقت دمي وأعوزني سليل الكرم والكرم
وبين يدي مخجلة سواد القار والظلم
نرى الشهوات تحجبها إذا وقعت حبال فمي
ولست أسيغها إلا كلون الورد والعنم
فشيئا من دم العنقو د أجعله مكان دمي

(١) السمور : حيوان يصنع جلده فراء

وكتب إلى أبي الهيجاء الحداني [من الطويل] :

تجنبني حسن المـــدام وطيبها فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها
وعندي ظروف لو تظرف دهرها لما بات مغرى بالكآبة كوبها
وشعث دنان خاويات كأنهـا صدور رجال فارقتها قلوبهـا
فسقياك لا سقيا السحاب فإنما في العلة الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعت نفسي أمانيها إلى يد منك مشكور أياديها
تصرم الصوم عنا بعد ما ظمئت له النفوس وفقد الراح يظميها
جد بعذراء مثل الشمس تعذرها إن أظهرت صلفاً للحسن أوتيها
واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت عند الهدية أبدت ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقتك عتاحا ولبس نطارف يرومك من وقع الضريب طريق[١]
جنوب تحث المزن حثاً وشمأل تعبس منه الوجه وهو طليق
وصوء حريق ألبس الأرض ثوبه يخاف على الإقدام منه حريق
نثير الصبا في الجو منه عجاجة كما انتثر الكافور وهو سحيق
وما انحل حد القر إلا بقهوة ترقرق في كاساتها فتروق
إذا لبست أثوابهـا فعقيقة وإن نشرت أنفاسها فخلوق
تدور علينا كأسها في غلائل رقاق ترد العيش وهو رقيق
فألبس منها جبة حين أنتشى وأخلعها بالسكر حين أفيق
وإني خليق من نداك بمثلها وأنت بما أملت منك خليق

---

(١) المعتاح : المطالب ، والضريب : الجليد .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلاتها

قال يدعو صديقاً له . ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الأسفل والنهر . ويصف ما عنده من قدر وكانون ونار وشراب [من المتقارب] .

لنا غرفة حسنت منظراً وطابت لساكنها مخبرا
ترى العين من تحتها روضة ومن فوقها عارضاً ممطرا
وينساب قدامها جدول كما ذعر الأيم أو نفرا
وراح كأن نسيم الصبا تحمل من نشرها العنبرا
وعندي علق قليل المكاس وندمان صدق قليل المرا(١)
ودهماء تهدر هدر الفنيق إذا ما امتطت لهباً مسعرا(٢)
تجيش بأوصال وحشية رعت زهرات الربا أشهرا
كأن على النار زنجية تفرج ثوبا لها أصفرا
وذو أربع لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسودا فيجعله دهماً أحمرا
وقد سكر العبد من عندنا يزف لك الطرف والممطرا
فشمر إلى روضه ترتضى فإن أخا الجد من شمرا

وقوله [من المنسرح] :

لم ألق ريحانة ولا راحا إلا تثنى إليك مرتاحا
وعندنا ظبية مهفهفة ترأم ريما يجن صداحا
تفسد على إن أصلحته ولا أرى لنا أفسدته إصلاحا
وفتيه إن تذاكروا ذكروا من الكلام المليح أرواحا

---

(١) المكاس : المماكسة ، والمراء : المجادلة ، وقد قصره مضطر .
(٢) الفنيق : الفحل المكرم .

وقد أضاءت نجوم مجلسنا ... حتى اكتسى غرة وأوضاحا
إن جمدت راحنا غدت ذهبا ... أو ذاب تفاحنا غدا راحا
عصابة إن شهدت مجلسهم ... كنت شهاباً له ومصباحا
أغلق باب السرور دونهم ... فكن لباب السرور مفتاحا

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقا [من المنسرح] :

يوم رذاذ مسك الحجب ... يضحك فيه السرور عن كثب
ومجلس أسبلت ستائره ... على شموس البهاء والحسب
وقد جرت خيل راحنا خبباً ... في جريها أو همن بالخبب
والتهبت نارنا فمنظرها ... يغنيك عن كل منظر عجب
إذا ارتمت بالشرار واطردت ... على ذراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة ... تطير عنها فراخة الذهب
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت ... فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفسي فداؤك كيف تصبر طائعاً ... عن فتية مثل البدور صباح
حنت نفوسهم إليك فأعانوا ... نفسا بغل مسالك الأرواح
وغدوا لراحهم وذكرك بينهم ... أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خبباً على أيديهم ... جعلوه ريحانا على الأقداح

وقال [من الطويل] :

لنا روضة في الدار صيغ لزهرها ... قلائد من حلي الندى وشنوف
يطوف بنا منها إذا ما تنسمت ... نسيم كعقل الخالدي ضعيف
وندمان صدق نثره ونظامه ... ربيع إذا فارضته وخريف
وقد رق ثوب الغيم حتى كأنما ... ستر دون الأفق منه شفوف

فزر مجلساً قد شرف الله أهله ... وفضلهم ، إن الأديب شريف
ولا تعد أفعال الظريف ، فإنه ... زمان رقيق الحلبتين ظريف(١)

وقال [من الوافر] :

هواء كالهوى حسنا وظرفاً ... وعيش ليس يترك أن يجفا
وفتيان كرام باكروه ... وبهم صباحهم يبدو ويخفى
فإن بادرتهم جسلوك بدراً ... وإن خالفتهم جعلوك خلفا

* * *

أوصاف شتى

قال فى وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلى بباطية وكأس ... ودع همى بإبريق وطاس
وذاكرنى بشعر أبى فراس ... على روض كشعر أبى نواس
وغيم مرهفات البرق فيه ... عوار . والرياض به كواسى
وقد سلت جيوش الفطر فيه ... على شهر الصيام سيوف باس
ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لبات زرقاء اللباس

وقال [من المنسرح] :

جاءك شهر السرور شوال ... وغال شهر الصيام مغتال
أما رأيت الهلال يرمقه ... قوم هم إن رأوه إهلال
كأنه قيد فضة حرج ... فض عن الصائمين فاختالوا

وقال فى وصف الريحان [من الكامل] :

وبساط ريحان كأنه زبرجد ... عبثت بصفحته الجنوب فأرعدا
يشتاقه الشرب الكرام فكلما ... مرض النسيم سعوا إليه عودا

وقال فى وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيد الطرفين يطـــرب عند تضييق القيود
ولقد يلطم خـده فى حال ترفيه الخدود
وكأنمـــا زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً مع رعود

وقال فى وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلة من نقمات الدهر قطعتها نزر الكرى والصبر
مكلم الظهر جريح الصدر مقسما بين أعاد خزر
كنت إذا عاينتها وشقر كأنها آثارها فى الأزر

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثة فى كل شرق ومغرب لها أمهات بالعراق قواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها كأن نسيم الريح فيهن كامن

وصف منثور [من الكامل] :

ومجرد كالسيف أسلم نفسه لمجرد يكسوه ما لا ينسج
ثوب تمزقه الأنامل رقة ويصيبه الماء القراح فيبهج
فكأنه لما استوى فى خصره نصفان ذا عاج وذا فيروزج

وصف الديك [من الكامل] :

كشف الصباح قناعه فتألقا وسطا على الليل البهيم فأطرقا
وعلا فلاح على الجدار موشحا بالوشى توج بالعقيق وطوقا
مرخ فضول التاج فى لباته ومشمر وشياً عليه منمقا

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بها مجنوبة فى اغتدائها ملاق الوحوش الحين عند لقائها

لهن شيات كالزواج أصبحت مولعة ظلماؤها بضيائها
وأيد إذا سلت صوالج فضة على الوحش يوماذهبت بدمائها

وفى مثله [من الطويل] :

إذا مادعونا لاحقا ومعانقا وقيد لدينا واثب وعنالس
فذلك يوم جانب السعد سربه وقوبل بالنحس الظباء الكوانس
كأن جلود الوحش بين كلابها وقد دميت أجيادها والمعاطس
مصندلة القمصان شقت جيوبها ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال فى وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام ولم ترم ساحة الكرام
كأنما تحتها ثلاث مقترنات من الحمام
تلعب فى جسمها لهيب لعب سنا البرق فى الظلام
لها كلام إذا تناهت غير فصيح من الكلام
وهى وإن لم تذق طعاماً مملوءة الجسم من طعام
لم يخل من رفدها نديمى يوم خمار ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى مصرع حولها سوامى
عظيمة إن غلت أدامت نعليها لابس العظام
كأنما الجن ركبتها على ثلاث من الأكام
لها دخان تعشى فيه عجاجة الجحفل اللهام
كأنما النار ألبستها معصفرات من الضرام
ولم يزل مالنا مباحاً من غير ذل ولا اهتضام
تأخذ للقوت منه سهماً وللندى سائر السهام

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أنعته معصفر البردين   أبيض صافى حمرة الجنبين
حلب شهرين على الخلفين   ثم رعى بعدهما شهرين[1]
بجسمه شبران فى شبرين   ياحسنه وهو صريع الحين
بين ذراعين مفصلين   كسارق حد من اليدين
وطرف يستوقف الطرفين   كمثل مرآة من اللجين
مدهنة المقبض والوجهين   تعرفه مرهفة الحدين
بكف طاه عطر الكفين   شق حشاه عن شقيقتين
أخبن فى القد شبيهتين   كما قرنت بين كأسين

« أو كرتى مسك لطفلتين »

وقال يصف جام فالوذج ويعبث بأبى بكر الخالدى ، ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل[2] [من الطويل] :

إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطل   وتعرق خصما كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكا   إلى ظلمات الظلم كل طريق
ولاطفه بالتبهد المخلق وجهه   وإن كان بالألطاف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه   رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه   وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته   كواكب لاحت فى سماء عقيق

وصف الصماع من المسرح

است نبات حمار محسور   إلا تصاق السراب مهرور

---

(١) شاة ذات خلفين : ولدت سنة ذكرا وسنة أنثى .
(٢) البرطيل : الرشوة .

يطير عن رأسه الفقاع إذا نفست عنه خناق مزرور
رام بسهم كأنه خصرا وطيب نشر نسيم كافور
يميل أعلاه وهو منتصب كأنه صولجان بلور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

برز إبراهيم فى علمه فراح يدعى وارث العلم
أوضح نهج الطب فى معشر ما زال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف أفكاره يجول بين الدم واللحم
إن غضبت روح على جسمها أصلح بين الروح والجسم

وفى مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قرة شافى بعد الإله وهل له من كافى
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذى أودى وأوضح رسم طب عافى
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا يهب الحياة بأيسر الأوصاف
مثلت له قارورتى فرأى بها ما اكتن بين جوانحى وشغافى
يبدو له الداء الخفى كما بدا للعين رضراض الغدير الصافى

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلا لعبد الكريم حوى فضله حادثا عن قديم
إذا لمع البرق فى كفه أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه يروح ويغدو بكفى حليم
له راحة سيرها راحة تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخدمته مذ نشا فنحن به فى نعيم مقيم

أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان . وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما فى الموافقة والمساعدة . يحييان بروح واحدة . ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ، ولا يكادان فى الحضر والسفر يفترقان . وكانا فى التساوى والتشابك . والتشاكل والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعى لبان شريكى عنان عتيقى رهان حليفى صفاء

بل كما قال البحترى [من الكامل] :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد

بل كما قال أبو إسحاق الصابى فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالديين سيرا قصائد يفنى الدهر وهى تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقـــدم وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمى فأصلحت بينهم وما قلت إلا بالتى هى أرشد
هما فى اجتماع الفضل زوج مؤلف ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد
فزوجهما ماثلـــــه فى اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوحد
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد

وما أعدل هذه الحكومة من أبى إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم فى سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق وقد ذكرت ما عن لى منهما ومن السرى فى شأن مخاصاته والمسارقه

وما أقدم عليه السرى من دس أحسن أشعارهما فى شعر كشاجم . وكان أفاضل الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما — وهى فى شق الرجحان — تتعصب عليه لهما . لفضل مارزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما وقد بدأت بملح شعر أبى بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السرى أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قام مثل الغصن الميــاد فى غض الشباب
يمزج الخمر لنا بالصفو من ماء الشراب
فكأن الكأس لما ضحكت تحت الحباب
وجنة حمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السرى [من الكامل] :

وكأن كأس مدامها لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

وقال أبو بكر [من الطويل] :

ألا فاسقنى والليل قد غاب نوره لغيبة بدر فى الغمام غريق
وقد فضح الظلماء برق كأنه فؤاد مشوق مولع بخفوق

وإنما سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أتتك سرى يا سر طيف كأنه فؤاد مشوق مولع بخفوق

رجع :

مداماً كأن المسك من طيب نشرها وصفرتها قد خلقت بخلوق
نعاينها نوراً جلاه تجسد ونشربها ناراً بغير حريق
كأن حباب الكأس فى جنباتها كواكب در فى سماء عقيق

وقد مر مثله للسرى فى وصف الفالودج

وقال أبو بكر [من المنسرح]

مطرب الصبح هيج الطربا   لما قضى الليل عصبه انتحبا
معرد رابع الصباح فما   يدرى رضا كان ذاك أم غضبا
ماتنكر الطير أنه ملك   لما فالتاج راح معتصبا
طوى الظلام السود مصرفا   حين رأى الفجر ينشر العذبا
والليل من فتكة الصباح به   كراهب شق جيبه طربا

وللسرى فى مثله [من المنسرح]

كراهب جن للهوى طربا   فشق جلبابه من الطرب

قال أبو بكر [من المنسرح]

وباكر حمرة التى تركت   ... كف المدير مختضبا
كأنما صب فى الزجاجة من   ... ومن رقة نسيم صبا
وليس نار الهموم خامدة   إلا بنور الكؤوس ملتهبا
يطلع ... المدام عليها   سحراً وذيل الغيوم منسحبا

ومنها فى وصف كانون نار :

ومقعد لا حراك ...   وهو على أربع قد انتصبا
مصفر ...   تخاله العين عاشقاً وصبا
إذا ... فى ...   صيره ... ساعة ذهبا

ومثله للسرى [من المتقارب]

وذو أربع لا ...   ولا ... امرؤ قيس مرد
...   ... أحمر

رجع :

فما خبت نارنا ولا وقفت خيول لهو جرت بنا خببا
وساحر الطرف لانقاب له إذ كان بالجلنار منتقبا
تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرة عجبا
شقائقاً منهما يرى خجلا وأقحوانا مفضضاً شنبا

ومثله للسرى [من الطويل] :

سفرن فلاح الأقحوان مفضضا على القرب منا والشقيق مذهبا

رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صحبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا ؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرا كأن فيه الضريب والضربا(١)

* * *

١٠ أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم

[غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامر بالنفس في هوى قمر ونال وصل البدور بالبدر
وافتض أبكار لهو ضر إلى عشايا المدام والبكر(٢)
مسرة كلها بلا حشف ولذة صفوها بلا كدر
قد ضربت خيمة الغمام لنا ورش حبتي النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشـــمس وأخرى صفراء كالقمر

---

(١) الضريب والضرب : العسل الأبيض .
(٢) العشايا : جمع عشية ، والبكر . جمع بكرة .

مدامة كان من تقادمها عاصرها آدم أبو البشر
وبنت خدر تريك صورتها بدر الدجى فى ردائها العطر
حنت على عودها وقد تركت مدامنا جمرة بلا شرر
يسعى علينا بها الوصائف غلمان جونا قلائد الزهر
باتاركاً طيب يومه لغد تبيع عين السرور بالأثر !
إن وترت قلبك الهموم فما مثل انتصار بالناى والوتر

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجى وطاب الهواء وتدلت للغرب الجوزاء
والصباح المنير قد نشرت منه على الأرض ريطة بيضاء
فاسقنيها حتى ترى الشمس فى الغرب عليها غلالة صفراء
قهوة بابلية كدم الشادن بكراً لكنها شمطاء
قد كستها الدهور أرديه الرقة حتى حفا لديها الهواء
فهى فى خد كأسها صفرة التبر وفى الخد وردة حمراء
عجباً ما رأيت من أعجب الأشياء تقدير من له الأشياء
سبج يستحيل منه عقيق وظلام يسل منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الطويل] :

خليلى إنى للثريا لحاسد وإنى على ريب الزمان لواجد
أيبقى جميعاً شملها وهى ستة وأفقد من أحببته وهو واحد

وقوله من قصيدة فى مرثيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما [من المنسرح] :

إذا تفكرت فى مصابهم أتعب زند الهموم قادحه
فبعضهم قربت مصارعه وبعضهم بعدت مطارحه
أظل فى كربلاء يومهم ثم تجلى وهم ذبائحه

لا برح الغيث كل شارقة تهمي غواديه أو روائحه
على ثرى حله ابن بنت رسو ل الله مجروحة جوارحه
ذل حماه وقل ناصره ونال أقصى مناه كاشحه
عفرتم بالثرى جبين فتى جبريل بعد النبي ماسحه !
يطل ما بينكم دم ابن رسو ل الله وابن السفاح سافحه !
سيان عند الأنام كلهم حاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

مجالس الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدجى صبحي ومصباحي
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنه راحت خلائقهم أصفى من الراح
قد عدلوا نقل أديان ومعرفة فيهم عفة أبدان وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة وحكمة بعلوم ذات إيضاح
في طب بقراط لحن الموصلي وفي نحو المبرد أشعار الطرماح
ومنشد حين يبديه المزاج لنا ألمع برق سرى أم ضوء مصباح
وكم حننت إلى حاناته وغدا شوقي يكاثر أصواتاً بأقداح
حتى تحسر حساري عمرتي وحيرته ملحي في السكر ملاحي
ياديرمران لاتعدم ضحى ودجى سجال غيث مثل الودق سحاح
إن نمر كأسك أكياسي فإن بها يفل جيش همومي جيش أفراحي
وإن أقر سوق أطرافي فلا عجب هدا بذاك إذا ما قام نواحي

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتي فقد حد الأسى موتي ما كنت أول صب غير ممحوت
كي إلى عداة الدين حين رأى دمعي يفيض وحالي حال مبهوت

مدمعى ذوب ياقوت على ذهب ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وقوله [من البسيط] :

أنباك شاهد أمرى عن مغيبه وجد جد الهوى بى فى تلعبه
يانازحاً نزحت دمعى قطيعته هبل من الدمع ماأبكى عليك به

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبن ببكاء النوء والطنب ولا تحي كثيب الحي من كتب
ولا تحد بعمام للغميم ولا تسمح لسرب المها بالواكف السرب
ربع تعق فأعق من جوى وأسى قلبي وكان إلى اللذات منقلبي
سيان بان خليط أو أقام به فإنما عامر البيداء كالخرب
أبهى وأجمل من وصف الخال ومن إدمان ذكر هوى يهوى على قتب
مد البنان إلى كأس على سكر ورفع صوت بتطريب على طرب
حمراء حين جلتها الكأس نقطها مزاجها بدنانير من الحبب
كانت لها أرجل الأعلاج واترة بالدوس فانتصفت من أرؤس العرب
يسقيكها من بنى الكفار بدر دجى ألحاظه للمعاصى أوكد السبب
يومى إليك بأطراف مطرفه بها خضابان للعناب والعنب

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيده مطلعها [من البسيط

ماراره أطعم بعد البين مغتمداً إلا ليذق له الشوق الذى بعدا

بهم

كأنما ... ت ها و ... قته أيدى الغمام سرقن الورد والرند

وقال وهو فى نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأرتك سالفتى غزال أدعج

ومنها :

أرعى النجوم كأنما فى أفقها زهر الأقاحى فى رياض بنفسج
والمشترى وسط السماء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبر أصفر ركبته فى فص خاتم فضة فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكى فى الدجى ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه . وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجر فى الأرض ذيلى مطرف زره على الأرض زرا
برقه لمحة ولكن له رعـــد بطيء يكسو المسامع وقرا
كحلى منافق للذى يهـــواه يبكى جهراً ويضحك سرا

وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك مهوه لم يبق منها تقادم عهدها إلا الأقلا
بزلنا دنها والليـل داج فصيرت الدجى شمساً وظلا

وقال [من الخفيف] :

يا معيرى بالصد ثوب السقام أنت همى فى يقظتى ومنامى
أنت أمنيتى فإن رمت عصاً سمتك المنى إلى الأحلام

وقال [من الكامل] :

حور شغلن قلوبنا بمرائع ورسائل قصرت عن الإبلاغ

ومنهن ورد خدودهن فلم نطق قطفاً له لتقارب الأصداغ

وقال [من الكامل] :

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم أنسى وأفسد في القلوب وعاثا

فليقض عدته السرور فإنني طلقت بعدهم السرور ثلاثا

أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة . وهو قوله [من الكامل] :

لله خلعت اللهو خلعي خاتمي فيه وطلقت السرور ثلاثا

وقال [من المنسرح] :

في كنف الله ظاعن ظعنا أودع قلبي وداعه حزنا

لا أبصرت مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

وقال [من البسيط] :

أهلا لشمس مدام من يدي قمر تكامل الحسن فيه فهو تياه

كأن خمرته إذ قام يمزجها من خده اعتصرت أومن ثناياه

إذا سقتك من الممزوج راحته كأساً سقتك كؤوس الصرف عيناه

في وجهه كل ريحان تراح له منا قلوب وأبصار وتهواه

النرجس الغض عيناه ، وطرته بنفسج ، وجنى الورد خداه

وقال [من الخفيف] :

قلت لما بدا الهلال لعيني صعتها من السكرى عيناكا

يا هلال السماء لولا هلال ! أرض ما بت ساهراً أرعاكا

وقال [من الطويل] :

وبدر دجى يمشي به غصن رطب د. ورده أشكى دونه صعب

إذا ما بدا أغرى به كل ناظر كأن قلوب الناس في حبه قلب

وقال [من البسيط] :

لا تحسبوا أنني باغ بكم بدلا ولو تمكنت من صبري ومن جلدي
فلي رقيب على قلبي لكم أبداً والعين عين عليه آخر الأبد

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعت في القلب لحظته صبابة وسقى بالدمع ما زرعا
لو أن قلبي وفاه حبه أحبه قلوب العالمين معا

وقال [من المنسرح] :

كأنما أنجم الثريا لمن يرمقها والظلام منطبق
مال بخيل يظل يجمعه من كل وجه وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليلي من عذيري من الدنـيا ومن جورها على وصبري
عجباً أنني أنافس في عمـران أيامها وتخرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هو الفجر فابدأ بابتسام لتصرف عنا عبوس الظلام
ولاح فخل كأس الشمول صرفاً وحرم كأس المنام
ظللنا على سم ورد الخدود ومسك النحور وبقل اللثام
نعين الصباح على كشفه قناع الظلام بضوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خانك الدهر فكن عائذاً بالبيض والطلمات والعيس
ولا تكن عبد المنى فالمنى رؤوس أموال المفاليس

وقال [من الكامل] :

حور حملن وقد رحلن وداعنا عدامع نطقت وهن سكوت

فعيونها سبج وثغر دموعها   در وحمرة خدها ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنا فى حبسنا الأكوابا   سقط الندى وصفا الهواء وطابا
ودعا بـ« حى على الصبوح » مغرداً   ديك الصباح فهيج الأطرابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا   باز أطار من الظلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنا بمدامة   زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت فصار حبابها من لحظنا   فعلا محاسنها وصار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

فلأشكرن لدير قنا ليلة   أشرقت ظلمتها ببدر مشرق
بتنا نوفى اللهو فيها حقه   بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه   ثوباً يرش بطله المترقرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره   هرما وأثر فيه شيب المفرق
وكأن ضوء الفجر فى باقى الدجى   سيف جلاه من اللجين المحرق
ياطيبها من ليلة لولم تكن   قصرت فريع تجمع متفرق

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً   وضياء ومنالا
وشبيه الغصن ليناً   وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً   ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما   سرنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

[illegible]   [illegible] ح حتى تركته كالـ[illegible]

فى سماء كخرم ونجوم مشرقات كنرجس وبهار (١)
وهلال يلوح فى ساعد الغر ب كدملوج فضة أو سوار
بت أجلو فيه شموس وجوه حملت فى الدجا شموس عقار

وقال — وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين لتناظروا بحضرته فى يوم دجن — [من مجزوء الخفيف] :

هو يوم كما ترا ه مليح الشمائل
هاج نوح الحمام فيـ ـه غناء البلابل
وترى السحاب فى الـ ـجو حق كباطل
مثلما تاه فى المهنـ ـد بعض الصياقل
حليت شمسه لرقـ ـته فى غلائل
وعمود الزمان معـ ـتدل غير مائل
حين ساوى حر الهوا ء برد الأصائل
وغدا الروض فى قلا ئده والخلاخل
فى المحر أن ترى فيـ ـه طوع العواذل
يا لهذا أتى الهديـ ـل وتوصيل واصل
ومـلاحاه عاقل ومقاساه جاهل
وخصوم يكابرو ن وضوح الدلائل
امض كيد الحذاق عنـ ـك بصيد الأحادل (٢)
كل صلب العظام والـ ـلحم رخص المفاصل
وهو أهدى من الردى فى طريق المقاتل

(١) الخرم : نبات بنفسجى اللون
(٢) الأحادل : جمع أحدل ، وهو الصقر

كم غدونا به لطيـــر التلاع السوابل
ماتبرى أخرس الجنا ح صحوب الجلاجل
وتعامى عن الشوى واهتدى للشواكل
سكاكينه التى نبتت فى الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهى مثل المناجل(١)
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فغدى رداء لحـــو إلى الليل شامل
ثم انثنى جذلان بيــــن القنا والقنابل
نحو ربع من المكا رم والجد آهل
فترى الأنس فى عبيـــدك عذب المناهل
من عقول قد سلبتـــهن صهباء بابل
فإذا الليل كف كـــــل رقيب وعاذل
صرت العرش تحت قو م صرير المحامل

وقال [من الطويل] :

وأغيد روته المدامه فانثنى كما ينثنى من ريه الغصن الغض
دعوت إليها وهو فى دعوة الكرى وقد أخذت فى خلع أسودها الأرض(٢)
فقام وفى أعطافه فضل سكرة وفى عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامه صفراء فى قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب والكف قطب والإناء سماء

(١) عقفت ... (٢) ... أسود الارض ... الليل

وقال [من المجتث] :

راح كضوء الشهاب سلافة الأعناب
والمزج ماء غدير صاف كماء الشباب
لو لم يكن ماء مزن لكان لمع سراب
كأنه جسم در عليه درع حباب
يجرى خلال حصى أبـيض كقطر السحاب
كأنه الريق يجرى على الثنايا العذاب

وقال في عتذة [من الكامل] :

بأبي التي كتمت محاسنها حوف العيون وليس تكتم
لبست سواداً كي تعاب به والبدر ليس يشينه الظلم

وقال من قصيدة في المهلبي الوزير استهلالها [من المتقارب] :

مهاة توهمها أم غزالا وشمساً تشبهها أم هلالا
معممة أطلقت لحظها فكان لعقل المعنى عقالا
وتمس ترجل في مجلس ندمانها وتمس ارتجالا
ولا تعرف اللحن ألحانها إذا ما الخفاف تسمى الثقالا
شدت رملا في مديح الوزير فظلنا من السكر نحكي الرمالا (١)
وهل ثمل مسكر عند أن تكون له راحتاه ثمالا ؟ (٢)

ومنها في التهنئة بعيد الفطر

هنيئاً مريئاً لأجر أقامه وصوم ترحل عنك ارتحالا
وفطر تواصل إقباله لأن له بالسعود اتصالا

(١) الرمل : ضرب من أوزان الشعر ، والشدو : الغناء
(٢) الثمل : السكران ، والثمال : الغياث الناصر

رأى العيد مثلك عبداً له ... وإن كان زاد عليه جمالا
وكبر حين رآك الهلال ... كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته ... هلالا أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إله السماء ... بعز معالى ويمن توالى
ولقيت سعداً إذا العيد عاد ... ولقيت رشداً إذا الحول حالا
وإن رمضان أطاح الكئوس ... فشوال يأذن فى أن تمالا
مواصل يمن كؤوس الشمول ... يميناً مقبلة أو شمالا
ولا زلت عن رتب نلتها ... ومن ذا رأى جبلا قط زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضا [من الكامل] :

أبدت ملك معز دولة هاشم ... فزمانه عرس من الأعراس
وتيقن الشعراء أن رجاءهم ... فى مأمن بك من وقوع الباس
ما صح علم الكيمياء لغيرهم ... ممن عرفنا من جميع الناس
تعظيهم الأموال فى بدر إذا ... حملوا الكلام إليك فى قرطاس

وقد ألم فى هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبى دلف [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء ونفعه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن فى الأرض إلا درهم ... ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

ولكنه لطفه وزاد فيه وقال [من الكامل] :

وأخ جفا ظلماً، ومن ،وطالما ... فقنا الأنام موده ووداما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر ... للدهر أن يجعل الكرام لئاما
فالخمر وهى الراح ربتما غدت ... خلا وكانت قبل ذاك مداما

وقال فى معناه أيضا [من الطويل]

وكم من عدو صار بعد عداوة ... صديقاً علا فى الخلائق معظما

ولا غرو فالعنقود فى عود كرمه يرى عنباً من بعد ما كان حصرما

وقال فى استهداء نبيذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعلا والمجد منفردا وواحد الأرض لا مستثنيا أحدا
لقاك أوجدت الآمال ما فقدت وقربت لمنى الراجين ما بعدا
هذا زمان علاج يتقى ضرر ال أخلاط فيه لأن الفصل قد وفدا
فلست تبصر إلا شارباً قدحا مرا وإلا نزيف الجسم مفتصدا
وقدعصيت الهوى مذ أمس محتمياً لما عزمت على إصلاح ما فسدا
وروقوا لى رطلا لست أذكره إلا عدمت لديه الصبر والجلدا
مناكر لطباعى غير أن له عقبى تمازج محموداتها الجسدا
وليس لى قهوة أطفى بجمرتها عن مهجتى شره الماء الذى بردا
فامنن بدستيجةالمشروبيومكذا فقد عزمت علىشرب الدواء غدا(١)

وقال فى العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصت عليه حتى ملنى والشيء علوق إذا ما يرخص
ياليته إذ باع ودى باعه فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما فى زمانك ما يعز وجوده إن رمته إلا صديق مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا فى القرب ثم نأى فشكا الهوى بالكتب والرسل
مهلا فإنك فى فعالك ذى مثل الذى قد قيل فى المثل
« ترك الزيارة وهى ممكنة وأتاك من مصر على جمل ! »

وقال فى وصف سيف [من الكامل] :

متوقد . مترقرق . عجباً له ! نار وماء كيف يجتمعان ؟

(١) الدستيجة : آنية صغيرة

وكأنما أبواه صرفا دهرنا أو كان يرضع درة الحدثان
تجرى مضاربه دما يوم الوغى فكأنما حداه مفتصدان

وقال فى هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدى الكوفى ينشدنا قلنا له : طعنة وطاعونا
تجمع يا أحمق البلاد لنا شعرك فى برده وكانونا ؟

وقال فى مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن فى فه جمراً وأنشدنا شعراً لحاضره من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان

سعيد بن هاشم الخالدى

وهو منسوب فى بعض النسخ إلى كشاجم تسبب الذى تقدم ذكره ، وما وقع لأبى عثمان فيه التوارد مع السرى أو السارق

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادن من الدن بى فداك أبى واشرب وسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل كيف يلمع فى عيون نور تدعو إلى الطرب ؟
فى كل عين للطل لؤلؤة كدمعة فى جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد هم منه بالهرب
والجو فى حلة ممسكة قد كتبتها البروق بالذهب

وللسرى فى مثله [من المنسرح] :

غيوم تمسك أفق السماء وبرق يكتبها بالذهب(١)
فهاتها كالعروس محمرة ال خدين فى معجز من الحبب
كادت تكون الهواء فى أرج(٢) عنبر لو لا تكن من العنب

(١) هكذا ، والشطر الأول لا يوافق بقية الأبيات فى الوزن

من كف راض عن الصدود وقد غضبت فى حبه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها الزجاج يلهبها !! ماء ودر يدور فى اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقر غير صافيـــة تدفع ماليس يدفع الدلق
درياق أفعى الشتاء وهو إذا سل علينا سيوفه درق

وقال يدعو صديقاً له فى يوم شك [من الكامل] .

هو يوم شك ياعلـــى وشره مذ كان يحذر
والجو حلته ممـــسكة ومطرفه معنـبر
والماء عودى القميـ ص وطيلسان الأرض أخضر
ولنا فضيلات تكو ن ليومنا قوتاً مقدر
ومدامة صفراء أد رك عمرها كسرى وقيصر
وحديثنا ماقد علـــمت وشعرنا ما أنت أبصر
فانشط لنا لنحث من كاساتنا ما كان أكبر
أو لا فإنك جاهل إن قلت إنك سوف تعذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبى [من المتقارب] :

فديتك ما شبت من كبرة وهذى سنى وهذا الحساب
ولكن هجرت فحل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليت بأحسن الثقليـــن إقبالا ومنصرفا
فمثل الحشف ملتفتا ومثل الغصن منعطفا
يسوفنى نائله وقد أهدى لى الأسفا

وآخذ وصله عدة ويأخذ مهجتي سلفا

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الوافر] :

دموعي فيك أنواء غزار وقلبي مايقر له قرار
وكل فتى علاه ثوب سقم فذاك الثوب مني مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتني مابين هم وبوس وثنت بعد ضحكة بعبوس
ورأتني مشطت عاجا بعاج وهي الآبنوس بالآبنوس

وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيبا يضاحكها فصدت وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للشط فيه سواداً لا يشاكله نفيسا
تلق العاج منك بمشط عاج ودع للآبنوس الآبنوسا

وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف]

هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاج فامشط الآبنوس بالآبنوس

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب]

كأن الرعود خلال البرو ق والريح يكثر تحريضها
[illegible] إذا خفقت بينها [illegible] حردت [illegible]

وقوله [من الكامل]

[illegible] محاسنة [illegible] ورأى [illegible] [illegible]
ورأت ثيابي قد عدت وكأنها [illegible] قصر

ياهذه إن رحت في خلق ما في ذاك عار
هذى المدام هى الحيا ة قميصها خزف وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه ردىء وبحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف وخريف وشتوه وربيع

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يامن قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوى في القلب مني وريح مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجـــر فما للكأس حبس
قهوة نعطيكها قبـــل طلوع الشمس شمس
وهى كالمريخ لكن هى سعد وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

ياقضيباً يميس تحت هلال وهلالا يرنو بعيني غزال
ملك ياشمسنا علمت الشمـ س دنو السنا وبعد المنال

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر في الـ حسن وفي بعد المنال

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنت بعودها شغف جاء سرور يفوق كل منى
واحدة الحدق لا نظير لها كالمسك لوناً وبهجة وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

ركبتنا بطيبها إذ تغنت شغف بين أنة وغنيب

طيبة بالغناء مهى لأسقا ... م الندامى لطافة كالطبيب
ألفتها القلوب لما رأتها ... صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومى [من المنسرح] :

أكسبها الحب أنها صبغت ... صبغة حب القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

ياراقداً عارياً من ثوب أسقامى ... هب الرقاد لعين جفنها دامى
لاخلص الله قلبي من يدى رشأ ... رؤيا رجائى له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسننا نحن فى لهو . وليلتنا ... بزهر أنجمها ترمى العفاريت
وقد تضايق فى السكر العناق بنا ... كما تضايق فى النظم اليواقيت

وقوله [من الكامل] :

متبرم بعتابه ... مستعذب لعذابه
هجر العميد تعمداً ... فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيبه ... فى عنفوان شبابه
فتراه يؤذن فى أوا ... ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها ... قهوة تترك الحليم سفيها
لست تدرى لرقة وصفاء ... هى فى كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] .

ظالم فى ولايته الـ ... ـدهر يبى ويطغى
بوصف خده ويـ ... ـكى حفاه حبنم

ورضاه وسخطه الـ دهر عرس ومأتم

وقوله من الخفيف] :

إن شهر الصيام إذ جاء فى فصـ ل ربيع أودى بحسن وطيب
فكأن الورد المضعف فى الصو م حبيب يمشى بجنب رقيب

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلة ليلاء فى الـــلون كلون المفرق
كأنما نجومها فى مغرب ومشرق
دراهم منثورة على بساط أزرق

وقوله فى معنى متداول [من الطويل] :

بنفسى حبيب بان صبرى لبينه وأودعنى الأحزان ساعة ودعا
وأنحلنى بالهجر حتى لو أننى قـذى بين جفنى أرمد ما توجعا

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

صغير صرفت إليه الهوى وهل خاتم فى سوى خنصر
فإن شئت فاعـذر ولا تلحنى وإن شئت فالح ولا تعـذر

وقوله [من السريع] :

همته خمر وماخور وهمه عود وطنبور
وليس دنياه ولا دينه إلا مهى مثل الدمى حور
ذيل الصبا فى الغى مجرور والعمر باللذات معمور
وليلة الهيكل كم أنفدت فيها دنان ودنانير
أقبلن كالروض تغشاه من در وياقوت أزاهير
على خصور أرهفت دقة فى الزنانير زنانير
فما درينا أوجوه الدمى أحسن أم تلك التصاوير

وعندنا صفراء من قامرت بالمسكر منا فهو مقمور
سلاف أعناب معقودها من قبل أن يعصر معصور
زاد على المصباح إشراقها فهو ظلام وهي النور
حتى إذا ما انحل جيب الدجى فينا وجيب الصبح مزرور
جرت هناة لي أجلتها فهل لها عندك تفسير ؟

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمر . وأنفاسه مسك . وذاك الثغر كافور
أخرجه رضوان من داره مخافة تفتتن الحور
يلومه الناس على تيهه والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحل بالدعج مقبب بالغنج
معصفر التفاح في حد مليح الضرج
حشه الشعر وما ذاك لطول الحجج
وإنما عارضه شنعه بالسبج

وقوله من البسيط :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به والأرض والروض في وشي وديباج
فما ترى غصناً إلا وزهرته تجلوه في جبة منها ودواج
وللحمائم ألحان تذكرنا أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفه زورها فتلقاه بأمواج
والخمر تحلى على خطابها فترى عرائس الكرم قد زفت لأزواج
وكلنا من أكاليل البهار على رؤوسنا كأنو شروان في التاج
وعن في فلك اللهو المحيط به كأنه في سماء ذات أبراج

ولست أنسى نداى وسط هيكله حتى الصباح غزالا طرفه ساجى
أمر عطفى قضيب البان معتنقاً منه وألثم عينى لعبة العاج
وقولتى والتفاتى عند منصرفى والشوق يزعج قلبى أى إزعاج
يا دير ياليت دارى فى فنائك أو يا ليت أنك لى فى درب دراج

وقوله [من الكامل] :

قمر بدير الموصل الأعلى أنا عبده وهواه لى مولى
لثم الصليب فقلت من حسد قبل الحبيب فمى بها أولى
جدلى بإحداهن كى يحيابها قلبى فخته على المقلى
فاحمر من خجل وكم قطفت عينى شقائق وجنة خجلى
وثكلت صبرى عند فرقته فعرفت كيف تحرق الثكلى

وقوله من قصيدة فى المهلبى الوزير وقد عزم على الرجوع إلى وطنه [من البسيط] :

إنا لنرحل والأهواء أجمعها لديك مستوطنات ليس ترتحل
لهن من خلقك الروض الأريض ومن نداك يمطرهن العارض الهطل
لكن كل فقير يستفيد غنى دعاه شوق إلى أوطانه عجل
وكل غاز إذا حلت غنيمته فإن آثر شىء عنده القفل

وقوله [من الطويل] :

وكنت أرى فى اليوم هجرك ساعة فأحسو لذيذ النوم حولا تطيرا
وتأمرنى بالصبر والقلب كلما تقاضيته صبراً تقاضيت معسرا
فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى غدير التصافى بيننا متكدرا
فوالله ما أهواك إلا تكلفاً ولا أشتكى الهجران إلا تخمرا

وقوله فى إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحل به الرزيه وأعاد نعمته بليه

حظى الردى بك إذ غدت ... لك بنت عمار حظيه
قل لى وكيف تنيكها ... مع دل قامتك القميه ؟
أنت البعوضة قلة ... وكأنها جمل الضحيه
نبئتها قالت وقد ... بصرت بأيرك كالشظية !
من ليس تشبعه المرئ ... سة كيف تشبعه القليه ؟
فلو اطلعت عليهما ... عند ارتكابهما البليه
لذكرت فى شخصيهما الـ ... عنقاء قد خطفت صبيه !

وقوله [من الخفيف] :

هل لمن يشتهى المديح ولكن ... دون معروفه مطال ولى
سوف أهجوك بعد مدح وتحريـ ... ـك وعتب ، وآخر الداء كى

وقوله [من المنسرح] :

بغداد قد صار خيرها شرا ... صيرها الله مثل سامرا
اطلب وفتش واحرص فلست ترى ... فى أهلها حرة ولا حرا

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيل المطالب بالهندية البتر ... لا بالأمانى والتأميل للقدر
فإن عفا طلل أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين الست والفكر
فى حمك المسك شغل عن مذاقته ... وفى سنا الشمس ما يغنى عن القمر
لو لم أكن مشبهاً للناس فى خلق ... لقلت إنى من جيل سوى البشر
أو لم يكن ماء علمى قاهراً فكرى ... لأحرقتنى فى نيرانها فكرى
تزيدنى قسوة الأيام طيب ثنا ... كأننى المسك بين الفهر والحجر
ألفت من حادثات الدهر أكبرها ... فما أعوج على أطفاله الأخر
لا شيء يعجب عندى فى تنايه ... إذ ذممته من هذه الصور

أرى ثياباً وفى أثنائها بقر بلا قرون ، وذا عيب على البقر !
قالت رقدت فقلت الهم أرقدنى والهم يمنع أحيانا من السهر
كم قد وقعت وقوع الطير فى شرك ضعضعت منى منه قوى المرر
أصفو وأكدر أحيانا لمختبرى وليس مستحسناً صفو بلا كدر
إنى لأسير فى الآفاق من مثل فرد وأملأ للآفاق من قمر
إذا تشككت فيما أنت مبصره فلا تقل إننى فى الناس ذو بصر
وكيف يفرح إنسان بعقلته إذا نضاها فلم تصدقه فى النظر !
لقد فرحت بما عاينت من عدم خوف القبيح بمن كبر ومن بطر
وربما ابتهج الأعمى بحالته لأنه قد عفا من طيرة العور
ولست أبكى لشيب قد منيت به يبكى على الشيب من يأسى على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذراً إن كان يحميك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى خلق فأخبره إلا تكشف لى عن لؤم مختبر
وقد طرت إلى الدنيا بمقلتها فما سفرت بها خوفى عاقبة السفر
وما سكرت زمانى وهو مصطفى فكيف أشكره فى حال منحدر
لا عار يلحقنى إنى بلا نشب وأى عار على عين بلا حور
فإن بلغت الذى أهوى فعن قدر وإن حرمت الذى أهوى فعن قدر

أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان

المعروف بالخباز البلدى

هو من بلده يقال لها بلد من بلاد الجزيرة التى فيها الموصل وأبو بكر من حسناتها

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً . وشعره كله ملح وتحف . وغرر وطرف

ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر، وهو القائل [من السريع]:

بالغت فى شتمى وفى ذمى   وما خشيت الشاعر الأمى
جربت فى نفسك سما فما   أحدثت تجريبك للسم

وكان حافظاً للقرآن مقتبسا منه فى شعره، كقوله [من الطويل] :

الا إن إخوانى الذين عهدتهم   أفاعى رمال لا تقصر فى لسعى
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم   نزلت بواد منهم غير ذى زرع

وقوله [من الطويل] :

كأن يمينى حين حاولت بسطها   لتوديع إلفى والهوى يذرف الدمعا
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم   فقلت لها لا والذى أخرج المرعى
يمين ابن عمران وقد حاول العصا   وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

وقوله [من الخفيف] :

أترى الجيرة الذين تداعوا   بكرة للرحيل قبل الزوال
علموا أننى مقيم وقلبى   راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القو   م ولا يعلمون ما فى الرحال

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيب وخلف القلبا   يبدى العزاء ويضمر الكربا
قد قلت إذ سار السفين بهم   والشوق ينهب مهجتى نهبا
لو أن لى عزاً أصول به   لأخذت كل سفينة غصبا

وكان يتشيع، ويتمثل فى شعره بما يدل على مذهبه، كقوله [من الكامل] :

وحمائم   تبهى والليل داجى المشرقين
شبيتهن وقد بكين   وما ذرفن دموع عين
نسـ... آل   محمد لم يبكين على الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحدت ولاء مولانا على وقدمت الدعى على الوصى
متى ماقلت إن السيف أمضى من اللحظات فى قلب الشجى
لقد فعلت جفونك فى البرايا كفعل يزيد فى آل النبي

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنا إن رمت سلوا عنك ياقرة عينى
كنت فى الإثم كمن شا رك فى قتل الحسين
لك صولات على قلـبي بقد كالرديني
مثل صولات على يوم بدر وحنين

وكقوله [من الخفيف] :

أنا فى قبضة الغرام رهين بين سيفين أرهفا ورديني
فكأن الهوى فتى علوى ظن أنى وليت قتل الحسين
وكأنى يزيد بين يديه فهو يختار أوجع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظر إلىبعين الصفح عن زللى لاتتركنى من ذنبي على وجل
موتى وهجرك مقرونان فى قرن فكيف أهجر من فى هجره أجلى
وليس لى أمل إلا وصالكم فكيف أقطع من فى وصله أملى
هذا فؤادى لم يملكه غيركم إلا الوصى أمير المؤمنين على

وكقوله [من الوافر] :

ظن بأنى أهوى حبيبا سواك على القطيعه والبعاد
جحدت إذن موالاتى عليا وقلت أبى مولى زياد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فنها قوله [من الوافر]

إذا استثقلت أو أبغضت خلقاً   وسرك بعده حتى التنادى
فشرده بقرض دريهمات   فإن القرض داعية البعاد

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتانى   حبيب فى مصارمتى لجوج
أيا ليلى الذى ما كنت تفنى   قصرت وكنت قدما ما تروج !
أيأجوج إذا نحن التقينا   وأيام التهاجر أنت عوج

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر   كأن صنوف النور فيه جواهر
كأنـــ نسيم الروض فى جنباته   خلاخل فيما بيننا وزرائر
كأن القمارى والبلابل حولها   قيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة   كأن على حافاتها الدر دائر

وقوله . وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضة بات طل الغيث ينسجها   حتى إذا نجمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه   إلف فيضحكها طوراً ويبهجها
إذا تنفس فيها ريح نرجسها   ناغى جنى خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده   كأس كشعلة نار إذ يؤججها
لا تمزجنها بغير الريق منك وإن   تبخل بذاك فدمعى سوف يمزجها
قل مالى من حبك أن يدى   إذا دنت من فؤادى كاد ينضجها

وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومدام كست الكأ   س من النور وشاحا

ظهرت فى جنح ليل   فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح   فحسبناه صباحا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلت والليل له الوي   ل مقيم غير سارى
أعظم الخالق أجر ال   خلق فى شمس النهار
فلقد ماتت كما ما   ت عزائى واصطبارى

وقوله [من الخفيف] :

أنا أخفى من أن يحس بجسمى   أحد حيث كنت لولا الأنين
فكأنى الهلال فى ليلة الشـ   ـك نحولا فما ترانى العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدنى عن حلاوة التشييع   اجتنابى مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا   فرأيت الصواب ترك الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الذى أصبح لا والد   على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم   فأى نفس بعده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم   عور فغمض عينك الواحده

وقوله [من السريع] :

نكبت فى شعرى ونثرى وما   نفسى فى صبرى بمنكوبه
إذا دنت بغضاء مكروهه   منى نأت بغضاء محبوبه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكهل من هوي   ت فقلت نعم قد دثر
عانت من ظلائه   زمراً مواصله زهر

وكذاك أصحاب الحديـ ـث نفاقهم عند الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحاب إلى أن جرى الماء حولى وساحا
ولو لم أكن رجلا سابحاً غرقت وأزهقت نفسى الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطوى جوانبه مشمر الذيل منسوب إلى القصر
ماذاك إلا لأن الصبح نم بنا فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خده ورد صوالج صدغه سبج
إذا اتصلت محاسنه تقطع دونها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خانتى القسم ما أنت متهم قل لى من اتهم ؟
إن كان نجمى نحساً أنت خالقه فأنت فى الحالتين الخصم والحكم !

وقوله فى أمرد التحى [من السريع] :

انظر إلى ميت ولكنه خلو من الأكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزك لا أنى عرفتك ناسياً لوعد ولا أنى أردت تقضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضيا

أحسن . وأبلغ منه فى معناه قول محمد بن أبى زرعة الدمشقى من الخفيف :

لا لقوم مستقصر أنت فى السـ ـير ولكن مستعطف مستزيد
مثل هز الهندى وهو حسام ويحك جود الهز حده

عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر، وكان قد عاشره واستكثر منه، فحكى لي أنه كان أعور، فاعتلت عينه الصحيحة، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني بأن رب الورى المسيح
أراك تعمى وذاك يبرى فهو إذاً عنـــدي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود تشهد أنا له عبيـــد
كأنمـا خده وصـال وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرم أقصر فقد نلت ما تريد
إن كان قد رق ثوب صبري عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي في خده جيشان من زنج وروم
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إني وقفت من الهوى في موقف صعب عظيم
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضا لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيق نشرب على روض الشقيق
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق

آخر القسم الاول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى
ويتلوه القسم الثاني . وهو في « أخبار دولة آل بويه »

القسم الثانى

من يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر

وهو فى أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ — بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله — بباب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب

الباب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحهم وأشعارهم

عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان — على ما مكن له في الأرض وجعل إليه من أزمة البسط والقبض وخص به من رفعة الشأن ، وأوتي من سعة السلطان — يتفرغ للأدب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ماهو منتخب [illegible] والنكت . وما أدري كم فصل بارع ، ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة

فمن ذلك : وأما قصده مولانا فقصد [illegible] عزة الملك ، وعسها [illegible] الصدق . وفيها سيما العلم . وعنده [illegible] المجد وفيها صيال الحق

ومنه لا عرو [illegible] على لسان السحر . أن يتيح مالا عين وقعت على مثله . ولا أذن سمعت بشبهه

[illegible]

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو يكتب فى غرة الدهر ، ويشدخ جبهتى الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر فى أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجى ، من تأليف أبى إسحاق الصابى ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولاينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شىء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً . فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بطة (١) فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بطة عجز عن وصفها   يا مدعى الأوصاف بالزور
كأنها فى الجسام مجلوة   لآلىء فى ماء كافور

وأنشدنى محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدنى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، قال : أنشدنى عضد الدولة لنفسه فى أبى تغلب ، عند اعتذاره إليه من معاودة بختيار عنه ، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أفاق حين وطئت ضيق خناقه   يبغى الأمان وكان يبغى صدره
فلأركبن عزيمة عضدية   تاجية تدع الأنوف رواغما

ومما نسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات تداولها القوالون وهى [من الوافر] :

ضربت إلى الصبوح مع الصباح   [illegible]
وكان الثلج كالكافور [illegible]   [illegible]

---

(١) البطة : الإناء يطلق [illegible]

مشموم ومشروب ونار وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب فى لهيب فى لهيب صباح فى صباح فى صباح

وأنشدنى أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله فى الخيرى [من البسيط] :

يا طيب رائحة من نفحة الخيرى إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد أو عبقت فيه دواخن ند عند تبخير
كأن أوراقه فى القد أجنحة صفر وحمر وبيض من دنانير

واخترت من قصيدته التى فيها البيت الذى لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :

ليس شرب الكأس إلا فى المطر وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى ناغمات فى تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيته فى ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير فى أولاده ليساس الملك منه بالغرر

فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى (ما أغنى عنى ماليه. هلك عنى سلطانيه) (١) .

* * *

عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمرى، ورأيته متصلا بالأمير أبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى . فعرض على كتابه المترجم بحديقة الحدق . وفيه أنشدنى بعض إخوانى قال : أنشدنى القاضى أبو بكر بن

---

(١) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة

فريسة ، قال : أنشدنى عز الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضنا نرجس   تحيي الندامى بريحانها
شربنا عليهـا كأحداقنا   عقاراً بكأس كأجفانها
ومسنا من السكر مابيننا   نجرر ريطاً كقضبانها

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر   فى صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولة أبدى المزاج بكأسها   درا نثيراً بين نظم جواهر
من كف أغيد يستبيك إذا مشى   بدلال معشوق ونخوة شاطر
والماء مابين الغصون مصفق   مثل القيان رقصن حول الزامر

وأنشدنى أبو سعيد(١) قال : أنشدنى أبو جعفر الطبرى طبيب آل بويه ، قال : أنشدنى بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفاؤك لازم مكنون سرى   وحبك غايتى والشوق زادى
وخالك فى عذارك فى الليالى   سواد فى سواد فى سواد

* * *

تاج الدولة أبو الحسين(٢) أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلى الأهواز . فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت إلى النكبة والحبس من جهة أخيه أبى الفوارس . فلست أدرى مافعل به الدهر الآن .

أنشدنى أبو سعد بن دوست . قال : أنشدنى أبو الحسن محمد بن المظفر العلوى النيسابورى . قال : أنشدنى أبو العباس الملحى القواس بسوق الأهواز ، قال :

(١) فى إحدى نسخ « أبو سعد » محرفة

(٢) وفيها « أبو الحسن » .

أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلام على طيف ألم فسلما وأبدى شعاع الشمس لما تكلما
بدا فبدا من وجهه البدر طالعاً لدى الروض يستعلى قضيباً منعما
وقد أرسلت أيدى العذارى بخده عذاراً من الكافور والمسك أسحما
وأحسب هاروتا أطاف بطرفه فعلمه من سحره فتعلما
ألم بنا في دامس الليل فانجلى فلما انثنى عنا وودع أظلما

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر
فمن لى بأيام الشباب التى مضت ومن لى بما أنفقت فى الحبس من عمرى؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن على بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى فى أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علتى من العداة بآلتى
وصارم مهند ماض رقيق الشفرة
ونبلة أحببتها منوطة بليلة
كأنما نجم الثريا فى الدجى ومقلتى
جوهرتا عقد على نحر فتاة طفلة
فكر فى بنى أبى وعد بعض إخوتى
ظن أنى أحمد تستنيم فأين همتى
تقنع بالأهواز فى واسط والبصرة
ست بتاج الدولة سمين تاج ملة
إن لم أزر بغداد فى عما قليل كرتى
وعسكر عرمرم يملأ كل بلدة

حشو الجبال والفلا مواكب من غلق
نصرتهم منى ومن رب السماء نصرق

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنا ابن تاج الملة المنصورتا ج الدولة الموجود ذو المناقب
أسماؤنا فى وجه كل درهم وفوق كل منبر لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنا التاج المرصع فى جبين الـــممالك سالك سبل الصلاح
كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرق بالنجاح
تكاد ممالك الآفاق شرقاً تسير إلى من كل النواحى
ألا لله عرض لى مصون مقام المجد بالماء المباح

وقوله من طردية [الرجز] :

صرنا مع الصباح بالفهود مردفة فوق متون القود
قد وطئت توطئة المهود بالقطف والجلال واللبود[1]
فهى كقوم فوقها قعود قد ألبست وشياً على الجلود
تخالها الناظر كالأسود تبكى لشبل ضائع فقيد
بأدمع على الخدود سود فقابلت مرادها فى البيد
وقطعت حبائل المسود تفوت لحظ الناظر الحديد[2]
ركضا إلى اقتناص كل رود فكم بها من هالك شهيد
منعفر الخد على الصعيد ينحسب ظل فى السعود
جدنا بها ، والجود بالموجود عسكرت ولاثم الجنود
وشاب التبر ت بالوقود

---

(١) القطف : جمع قطيفة .
(٢) المسود : جمع مسد ، وهو حبل من ليف مضفور .

واخترت منه قوله فى الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

سقانى سحراً خمره وقد لاحت لى الثره(١)
غزال فاتن الطرف مليح الوجه والطره
أنا مالك وقد ملكـ ت قلبى صاحب الوفره(٢)
وقد زرفن صدغيه على أبهى من الزهره
فمن أسود فى أبيـ ض فى أحمر فى صفره
إذا حاول أن يجهـ ل أو يبدو له نفره
أعان الشيخ إبليس عليه فأتى مكره

وله فى النكبة (٣) [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدنى لا أستريح من الأحزان والفكر
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رمانى الدهر بالغير
حسبي الله فى كل الأمور فقد بدلت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة
رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرنى إلا هذه من مجزوء الرمل :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب
من شمول مثل شمس فى فم الندمان تغرب
فحكت حين تجلت قمراً يلثم كوكب
ورد خديه جنى تحرس الناطور عقرب
فإذا ما لدغت فالـ ـريق درياق مجرب

(١) الثره : كوكبان متقاربان بينهما بياض .
(٢) وفرة — بفتح فسكون — الشعر المجتمع على الرأس .
(٣) هذه القطعة ليست فى ب

البـاب الثانى

فى ذكر المهلبى الوزير وملح أخباره ، وفصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة . كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة فى وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده فى الأموال ، مع كونه غاية فى الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلا مليحاً . ويقول الشعر قولا لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى معه العسل . يغذى الروح ، ويجلب الروح . كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبى من إذا أراد سرارى عبرت لى أنفاسه عن عبير
وسبانى ثغر كدر نظيم تحته منطق كدر نثير
وله طلعة كنيل الأمانى أو كشعر المهلبى الوزير

حدثنى أبو بكر الخوارزمى وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصى . فدخل حديث بعضهم فى بعض فزاد ونقص . قالوا : كانت حالة المهلبى الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسى منها قذى عينه ، وشجى صدره فبينما هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب . إذ لقى فى سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه . فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى يخلصنى من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو اننى مما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه (١) وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرقي

وأنالني ما أرتجي وأجار مما أتقي

فلأصفحن عما أتا ه من الذنوب السبق

حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه[٢] وهاضه عركه[٣] فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فدته نفسي مقالاً مذكراً ما قد نسيه :

أتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فأشتريه ؟

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم ، للحنين إليه ، ورعاية حق الصحبة فيه ، وأخذ على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه

(١) القرم – بفتحتين – شدة الشهوة إلى اللحم .
(٢) البرك : البروك ، وهو الصدر .
(٣) عركه : عفاه دلكه دلكا وحك عليه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته   أذكرتنا أدمنا ، والخبز خشكار
إذ ليس في الباب بواب لدولتكم   ولا حمار ولا في الشط طيار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد ، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو . ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبي يرق الماء في   وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا   رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره   سيفاً ومنطقة تؤوده(١)
جعلوه قائد عسكر   ضاع الرعيل ومن يقوده !(٢)

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلبي

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً   ينوء بخصر في القباء هضيم(٣)
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا   بخد كعاب أو بمقلة ريم

وذكر الصابي أن أبا عيينة المهلبي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبته دنيا

(١) تؤوده : تثقله وتتعبه .
(٢) الرعيل هنا : الجيش .
(٣) المقرطق : اللابس لنوع من الثياب اسمه القرطق .

من عمومة الوزير ، وكان المهلبي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على مافاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنى وصلت مفاخرى بأب ... حار الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلقى وحديثه ... فكأنما يحيا
وتلوت عمى فى تغزله ... وسربت ريا من هوى ريا
فكأننى هو فى صبابته ... وكأنه فى حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتى ... بما كنت أهوى فى الجبارة والنجوى
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته ... من الأرض واستقررت فى الرتبة العليا
وعاينت من شعر العيبى حسله ... تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
فحركنى عرق الوشيجة والهوى ... لعمى وأطت بى إلى الرحم القربى
فيا حسرتى أن فات وقتى وقته ... ويا حسرة تمضى ونتبعها أخرى
ويا فوز نفسى لو لحقت زمانه ... ونعمته دنيا وفى يدى الدنيا
فكنته من أهل دنيا وأرضها ... فصار بما يهوى وفوق الذى يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبى

فصل : وردت أدام الله عز مولاى ... فكنت ... متمتعا مولاى الأستاذ أبى محمد أيده الله ... فصل وهو ... كان لدى كتبه ... سمعت فى كلامه حيث تعرف بالقاضى ... فى مسائل حفظها ... من ذكرها ... إلى ... شرفت قوله فى حشو كلامه هذا الذى أورده الصاحب عن صاحبه والكاتب ... عن الحاله . وله نوادر غريبة وملح عجيبة

ومنها أن كيلا تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانك ، ومازحك فيه إخوانك ، وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة

فانصرفت وقد ورد الخبر بمعنى أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه ورحمه وأنسأ أجل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجباً وبر راح وهو جفاء

فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته عذري وحبسته بعيني ، فعاودني بمن استحضرني فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهني عليه ، ثم قال : أتعرف أحسن صنعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واحرباه إلى واطرباه . وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويغني ويحسن . وفيه يقول وقد شربنا عنده سلافا [من الخفيف] :

قد جمعنا وقد شربنا سلافا وجمعنا بلطفه أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما طاب به الوقت ورهتست له النفس ، وتشاكل [illegible] ذلك الهوى . وعدو [illegible] ذلك الذي

وكان مما أنشدني لنفسه [illegible] في بعض غلمانه [من الكامل]

حظظ [illegible] ومعرق [illegible] فكأن [illegible] رحمه [illegible]

ورنت في كتبه الذي [illegible] معطن [illegible] والمعاني

فانصرفت عنه وجعلت [illegible] في [illegible] الأسرة ، وهو على حنه من أثر والشكر منه ، حتى عرفت [illegible] وحملي [illegible] أحسن منه ولا أصب [illegible]

[illegible]

شعراً [من الكامل] :

قل للوزير أبي محمد الذي ... من دون محتده السهى والفرقد
من إن سما حط الزمان وريبه ... أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقيتني مشمولة ذهبية ... كالنار في نور الزجاجة توقد
لما تخون صرف دهر عارض ... صبري وقلبي مستهام مكمد
وفطمتني من بعدها عنها فقد ... أصبحت ذا حزن يقيم ويقعد
من أين لي مهما أردت الشرب عنـ ... ـدك يا أخا العلياء صبر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به . واستدعاني من غده . فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فنعمها من النشيد لأحضره . فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم

* *

فصل من كتاب الروزنامجه أيضا

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصب إليه الماء من دجلة بالدواليب . وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من الوافر] :

سلام أيها الملك اليماني ... لقد غلب البعاد على التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها . واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهي من الكامل :

تطوي المنازل عن حبيبك دائما ... وتظل تبكيه بدمع ساجم
هلا أقمت ولو على جمر الغضا ... قامت أو حد الحسام الصارم

ونعتها جارية ابن مقلة . ولاغناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا من له رتب محـ ... ـكمة القواعد في الفؤاد

أعلل أخذ الماء من متلهب الأحشاء صادى

فغنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب ، واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذاكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، ورنجاساً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ، وأخذنا في فن من الانخلاع عجب ، بطريق من الاسترسال رحيب ، ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدى صورتها ، ولولا حذرى من وبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لساقي الريح بابة عرعرا ... وررت لصافي الراح حانة عكبرا

وقلت لعلج يعبد الخمر زعها ... مشعشعة قد شاهدت عصر قيصرا

فناولنيها لو تفرق نورهـــا ... على الدهر نال الليل منها تحيرا

وأوسعني آسا ووردا ونرجسا ... وأحضرني نايا وطبلا ومزهرا

هنالك أعطيت البطالة حقها ... وأنقيت هتك الستر عمدا ومفخرا

كأني الصبا جريا إلى حومة الصبا ... أباغي صديّ من جلنده مزنرا

فما تته والراح قد عقرت بنا ... فكررته تقبيلا وقد أقبل السكرى

وصد عن المعنى النعاس وصادنى ... إلى أن صدى أصبح بالسح مسفرا

وهبت سهال بضمت ثمن بغيتى ... فطارت بها عن الشمون بطيرا

وكان الذى لولا الحياء أدعته ... ولا حرج فى عشق أبى أن تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى فى منظرة له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا فى الوقت وغنى بهما ، وهما [من المجتث] :

لئن عرفت جريرا أو اعتمدت قطيعا
فلا ظفرت بعاص ولا أطعت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطيع قطيعه وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعانى . وقاد دابة نوبته كى لا أتأخر انتظاراً لدابتى . فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة. فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع خدمه: أبى الكأس، وسلاف، وأبى المدام، وشراب، وخندريس وشمول، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة فى أصول تلك الميادين صغيره وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمى لم يمم ايلى ولم أنم
غنى من شعر ذى حكم ياشقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره . وقام كل منا يتعثر فى سكره

ما أخرج من شعره فى وصف كتب ابن العميد

فن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب مبشر ... فى ضعاف السرور
ففضضته ... على صفحات ...

مثل السوالف والخدو ... د البيض ربيت بالشعور
بنظام لفظ كالثغو ... ر وكالعقود على النحور
أنزلته في القلب منــــزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندي ... في اللقاء يبـــدو الصباح
ذاك إن تم لي فقد عذب العيـ ... ـش ونيل المنى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعة الوصل ... بمراتب الإفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا ... أغناه رب المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد ... ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل]

ورد الكتاب فدته من وارد ... فله علي من حالي مورد
فرأيت درا عقـــده منتظم ... في كل فصل منه فصل مفرد

* * *

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

فصل : رأيته فصيح الإشارة لطيف العبارة [من الطويل] :

إذا اختصر المعنى فسر به خاتم ... وإن رام إسهابا أتى الفيض بالمد

فصل : قد نظرته فرأيته حسنا معتدلا وفهما مشتعلا [من المتقارب]

وعينا تغض كغيض الغمام ... وطرفا يناسب صفو المدام

فصل [illegible] وعرفته [illegible] [من الكامل]

[illegible]

فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :

وكأن فطنته شهاب ثاقب ‏ ‏ ‏ ‏ وكأن نقد الحدس منه يقين

فصل : قد لاقت مناجحه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :

وقصر يوم الصيف عندي وليلة الـ ‏ ‏ ‏ ‏ شتاء سرور منه رفرف طائره

فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيح عرينه [من المتقارب] :

ودارت عليه رحى وقعة ‏ ‏ ‏ ‏ تظل الحجارة فيها طحينا

فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبته بهجرك [من الطويل] :

وإن لمست منه بعاد معاده ‏ ‏ ‏ ‏ وعصر جفاه الشرب أن يتمهدا

فصل : قد ضيعه الجلة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :

وأصلاه حر جحيم الحديـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـد تحت دخان من القسطل

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه ‏ ‏ ‏ ‏ نزول على حكم النوى والتودع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليتثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهم يملك نفسه ‏ ‏ ‏ ‏ فأولى به ترك العلا والجسائم

فصل : وصلة متينة ، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ود دونها لرحم التي ‏ ‏ ‏ ‏ تدانت وجلت أن يطول بها الظن

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حتفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ‏ ‏ ‏ ‏ ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وقات مداواة التلافي فساده ‏ ‏ ‏ ‏ وأعيت دلالات الخبير مكامله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ثبوره إلى جناب عدوه ‏ ‏ ‏ ‏ وتقصمت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفى حنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافى جميل جزائه   وللناصح الهافى جميل التجاوز

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبره   ملك   ماهر   بهضم القوى وجبر الضعيف

فصل : لئن نخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فإن عصير الثمار النجير   وإن نفى الحديد الخبث (١)

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبدى الجور فى حالة   ويبذل الإنصاف فى أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعشة نضرة [من الكامل] :

وغدا ابن دأية عندهم كابا   وابن سوف صاحه خرس (٢)

فصل . عادل المكيال . وازن المثقال [من الطويل] :

يجير على سلطانه حكم دينه   ويبعد فى حق البعيد أقاربه

فصل . فاتهم بشدة تجهمهم ، وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تركوا المكيدة والكمين لجهرهم   والنبل والأرماح للأسياف

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلب شديد لا يلين لخلة   ولا بتلافاء الرقى والتنطس

فصل : أوحشت عنى إبعادا لك . وانعطفا عنك [من البسيط] :

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص   أو [illegible] عن لذيذ الزاد منهوم

* * *

(١) النجير . الشعر . [illegible]

(٢) ابن دأية : الغراب [illegible]

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر

وانخرط بعضه فى سلك كتابى المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة . ولا يدرك بالمجادلة . له أنعام كثيرة الشهود ، وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم فى أى حتف تورط . وأى شر تأبط . محامد أقر بها الراضى والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ، حسن الأخذ والعطاء . يؤذى صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح فى رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر له . وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظا . ويتميز حقدا ، ويتلظى غضبا ، ويزيد حنقا . قد قام بينى وبين وصلك حاجز من فعلك . قد ابتذلت جديد وده ، واستحللت حرام صده . من حنث فى أيمانه . وأخل بأماناته . فإنما ينكث على نفسه حلف يمين بر شهد بها تصديق ، واستيقنتها نفسى . قد ترامت به البلدان والأسفار . وبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاقت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه طائحا بوجده . ودمعه سائحا على خده . لو ساله الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه الضر طالب سلمه [1] قد أمرته أن يجعل رأيك سراجه ، ورسمك منهاجه . قد شربت وشلا من وده ، ولبست سملا من عهده . لأكشفنه لكل ليل بارد . ونهار وافد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه . ثمل من عناه . طرقنى ثناء ما تلق شفتاى ذكره . ولا يثبت بالى خطره ! . استغفلا عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقا له فتندفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ، وشذبت الحوادث هواه . تندى وجه المضايق والموافق . وتخفق نفس المسارق والمنافق . لو أن البرق قطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاه حسبى ، واستخرجه طلبى ، وخذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه . وقعدت عنه أشياعه . أولته من حمايتى

(١) [illegible]

عضدا ، ومن عنايتي مددا . وجدته أمديداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه. مكن موضع رجلك قبل مشيك ، وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب . قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء . كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الضجس . في حكمه صارم فصل ، وفي يده خاتم عدل . سديد المذاهب ، سعيد المناقب . نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه للمغيب لا تنزلت في إقامة عهدة الحشايا ، وحركة وطيئة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خاليا ، واستدنى مجلسي مكرما ، واستوفى مقالي مصغيا ، وأعطاني معروفه مسمحا ، ونزل على مسألتي مسهلا ، وقضى حاجتي مجملا ، وصرفني بالنجاح مجللا طيب المغرس ، زاكي المنبت . نضير المنشأ ، رهيع الفرع ، لذيذ الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال ، وشرخ قصف ، وفتاء ظرف. وجدت فيه مصطنعا ، وبه مستمتعا ، قد وفر همه على مطعم يجوده ، ومرقد يمهده . أنا أتذمم من استئصال مثالك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد فراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره . وجدت فيه مع علو سنه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة ، ومتعة حلوة . التصرف أسنى وأعلى . والنسيم أعق وأصفى . ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه . لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبين عجز التدبير الأوحد . إلا أن الاستلقاح ــ وهو أصل كل شيء ــ لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

[illegible]

تلك تجنى التى جنيت بها أعاذنى الله من تجنيها

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل لبست فيه التصابى وخلعت العذار والعذل عنى
فى محل يحله لذة العيـ ـش ويجنى سروره من تجنى

وقوله [من الخفيف] :

لى صديق فى وده لى صدوق وبرعى الحقوق منى حقيق
يا أخى كنت ثم بدا لى أنت ذاك الصديق لى والرفيق
كلما سرت من فراقك ميلا مال من مهجتى إليك فريق
لحياتى مصروفة فى طريق المنايا على فيها طروق

وقوله [من الخفيف]

منية سابقت ورود البشير ومواف أوفى على التقدير
يا عروسا زفت إلى فأهديـ ـت إليها رق مكان المهور
بالتملى وبالرجا والسرور يا حياتى والمنزل المعمور
فلعمرى وفيت لى وسأجزيـ ـك وفاء بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل]

لقد واظبت نفسى على حب واحد بإنسانة رعى الهوى وتواظب
صفالى منها الناس والشيب شامل كما كان يصفو والشباب مصاحب

ما أخرج من شعره فى الغزل وغيره

من ذلك قوله [من الوافر] :

[illegible] الله وجهك كل يوم صباحا [illegible] والسرور
[illegible] صحيفته لأمر أحسن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منى نفسى ويا حسـ ـبى من حسن وطيب
سابق بالوصل موتى أو مشيبى ومغيبى
فهو للفتيان فى الدنـ ـيا بمرصاد قريب

وله فى غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعى الرحمن قوماً ملكونى رشا قصر بلغت به المرادا
وسموه مع القربى غريباً كنور العين سموه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعت فيه خمارى بغزال كأنه مخمور
ومصاد سرحت فيه ونصر بازيازى مظفر منصور
بصقور مثل النجوم إذا انقضـ ـت وعصف كأنهن صقور

وقوله [من الكامل] :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلل ومتوج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا نلتذ بابنة كرمه لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائق وبدت سطور الورد تلو بنفسج
فكأن يومك فى غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يوم كأن سماءه شبه الحصان الأبرش
وكأن زهره روضه فرشت بأحسن مفرش
فسماؤه دكن الخزو ر وأرضه حضر الوشى

كأنه أخذه من عون ابن الرومى [من الخفيف] :

ويوم لنسيم يوم مرير والمذاذ ونعمه واتباع

ذو سماء كأذكى الخز قد غيـ ـمت وأرض كأخضر الديباج(١)

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالا يبدو فيزداد شوقي وغزالا يرنو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رقك ملكي كذب الناس أنت مالك رقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منى نفسي وإن كنت حتفها ومعناي في سري ومعزاي في جهري
تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلا على عبرة تجري

وقوله [من السريع] :

يا شادناً حسدد حتى له من بعد حب سالف ساحي(٢)
ملحه قد أوصلت حبه مثل اتصال الطوق بالتاج

وله في غلام ناله من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حيـ ـن بدا كغصن مائل
طلع الهلال لليلة نصبا بدر كامل

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحب والبين قد جد دمعي مواصلا للشهيق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسلي بالتأسي في الحب والقرب والتلاقي
ودمعي ... الأماني ... روحي مع الفراق

---

(١) الأذكى ...
(٢) ... ساحي ...

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتط وأنوى له — تنقص الداني على النائي
حتى إذا أبصرته ذبت في — يديه ذوب الملح في الماء

وقوله [من المنسرح]

ولي حبيب ألود منه بأو — صاف وحواه هوى ما أصف
كالبدر يعلو والشمس شرق وال — غزال يعطو والغصن ينعطف(١)

وقوله [من مجزوء الكامل]

إن كنت أزمعت الرحيـ — ـل فإن عزمي في الرحيل
أو كنت قاطنة أقمـ — ـت وإن منعت لذيذ سولي
كالنجم يصحب في المسيـ — ـر ولا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل]

كالنجم إن سافرت كان مواكبا — وإذا حططت الرحل كان جليسا

وقوله [من الكامل]

عزمي وعزم عصابة ركاضة — موصولة الإخمام بالإسراج
كالسيل عاقبه إلى أهدافها — والصبر قاصده إلى الإنجاح

وقوله [من الطويل]

وذي حسد لو حل في [illegible] — [illegible]
ولم أعطه حولا ولكن سجيتي — [illegible] الإخلاص [illegible]

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط]

[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]

وقوله [من الطويل] :

أرق كلا وقتى فسط تأله وفسط هوى لا يستمر لمحرم
ولذة وجدى من لذاذة مطربى أسر إلى نفسى وأعذب فى فمى

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطــــرح السؤال عن الدواء
العلم عنـــدى كالغذا ء فهل تعيش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسطت إذاً لم تترك وكففت القلب عن بعض الأرب
كان أرجى لك فى العقبى من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب(١)

وقوله [من المتقارب] :

هب البعث لم يأتنا نذره وجاحمة النار لم تضرم
أليس بكاف لذى فكرة حياء المسىء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسر بلذة الدنيا ويظنها خلقت لما يهوى
لا تكذبن فإنها خلقت ليثاب زاهدها بها الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثت إلى رب البرايا رسالة توصل لى منها دعاء مناصح
فجاء جوابى بالإجابة وانجلت بها كرب ضاقت بهن الجوانح

(١) عجز هذا البيت من قول اللهبى :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

الباب الثالث

فى ذكر أبى إسحاق الصابى ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابى الحرانى .

أوحد العراق فى البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر فى الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البراعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين فى خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء . وتقلد الأعمال الجلائل . مع ديوان الرسائل . وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولابس خيره ، ومارس شره . ورئس ورأس ، وخدم وخدم . ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء وسار ذكره فى الآفاق ، ودون له من الكلام البهى النقى ما تتناثر درره . وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحت مشتاقا حليف صبابة ... برسائل الصابى أبى إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق
طوراً كما رق النسيم وتارة ... يحكى لنا الأطواق فى الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ... كتبت بدائعه على الأحداق

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابى وشعر كشاجم

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام . وأداروه بكل حيلة . وتمنية جليلة . حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه وزارته إن أسلم . فلم يهده الله تعالى للإسلام . كما هداه لمحاسن الكلام . وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة . ويخدم الأكابر أرفع خدمة . ويساعدهم على صيام شهر رمضان . ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن

قلبه . وبرهان ذلك ما أوردته فى كتاب الاقتباس من فصوله التى أحسن فيها كل الإحسان . وحلاها بآى من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدى ببخارى يقول : إن أبا اسحاق الصابى ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين فى ديانته ،وفى محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتنى لذتى رتب المعالى وضنى بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكى لخوف عقوبة وحذار نار
فواشوقا إلى خلع العذار وفعلى ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفى على حل الإزار صريعاً بين سكر أو خمار

وحدثنى أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغنى أن الصابى حضر يوماً مائدة المهلبى ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة كيفما كان مع السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبى : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصى الله فى مأكول ، فاستحسن ذلك منه

وكان أبو إسحاق فى أيام شبابه واقتباله أحسن حالا ، وأرخى بالا منه فى أيام استكماله وزمن اكتهاله ، وأورى زندا وأسعد جدا منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفى ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظى إذ أراه مصالحى عصر الشباب ، وفى المشيب مغاضبى
أمن الغوانى كان حتى ملنى شيخا وكان على صباى مصاحبى؟
أمع التضعضع ملنى متجنبا ومع الترعرع كان غير مجانبى
يا ليت صبوته إلى تأخرت حتى تكون ذخيرة لعواقبى

من قصيدة فى فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه

ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء ،

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا . ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه . فلما توفى المهلبي وأبو إسحاق يلى ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل فى جملة عمال المهلبى ، فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادم	أوفت رسائله على التعديد
أيجوز فى حكم المروءة عندكم	حبسى وطول تهددى ووعيدى ؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا :	أعدلت فى لفظى عن التسديد ؟
أعلى رفع حسام ما أنشأته	فأقيم فيه أدلتى وشهودى ؟
أنسيتم كتباً شحنت فصولها	بفصول در عندكم منضود ؟
ورسائلا نفذت إلى أطرافكم	عبد الحميد بهن غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما	هز النديم سماع ضرب العود
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا	بسلاسل وجوامع وقيود
وموكلين بنا نذل لعزهم	فكأننا لهم عبيد عبيد
والله ما سمع الأنام ولا رأوا	نقدا توكل قبلهم بأسود
من كل حر ماجد صنديد	فى كل وغد عاجز رعديد
فصرت خطاه خلاخل من قيده	فتراه عيها كالفتاة الرود
يمشى الهوينا ذلة لا عزة	مشى الزيف الخائف المزءود
فتفضلوا وتعطفوا وهبوا لنا	عفواً قديم حفائظ وحقود
وتعلموا أن الولاية عندكم	عارية ليست بذات خلود

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله فى هذا الاعتقال وغيره فصلا فى جملة الفصول ، من غرر شعره

ولما حلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يضر ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن

دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى ، إذ كانت في صدره حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نقمها منه ، واحتقدها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب ، قالا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وحنته به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي السوامق التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه . ورفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبييض ، فسأله عما يعمله من ذلك فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها . فانصرف ، وأخبر بهذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في نفسه من أبي إسحاق ، وحركت من ضغنه الساكن ، وأثارت من غيظه الكامن ، فأمر بأن يلقى تحت أرجل الفيلة ، فأكب نصر بن هرون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقبلونها بين يديه ، ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب ذنبه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه واستصفاء أمواله . فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رثت حاله وتهتك ستره . وكان الصاحب بعده يتفقده ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح . وأبو إسحاق يخدم حضرته بالمدح

وقرأت له فصلا من كتاب فى ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ، وهو :

ورد ـ أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا ـ أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد جعفر بن شعيب حاجين . فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين . فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان ابن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة منى بصلته ، وتشوقا إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقنا أن خطورى بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لى مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائما . وقبلت الأرض ساجدا ، وكررت الدعاء والثناء مجتهدا . وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء . ويمد له فى العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد من مشيخة الكتاب ، ومنتحلى الآداب ، ما كنفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداه . وأسامهم فيه من مراتعه، وأعذب لهم من شرائعه ، التى هم محلئون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطه منها

وبلغنى أن الصاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدومه إلى حضرته . ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقا أو تموقا . وكان أبو إسحق يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه .

وأخبرنى ثقات منهم أبو القاسم على بن محمد الكرخى . وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيرا ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع يعنى نفسه . وأما الترجيح بين هذين الصدرين ففى

الصاحب والصابى ـ فى الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب فيه المخبون ومن أشفى ما سمعته فى ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر، وبين الحالين بون بعيد. وكيف جرى الأمر فيهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجا من فصوص فصول الصابى وفرائد قلائده ، ومعقب على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلا لديه ، مادا يدى إليه . أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات، وبالزائدات العامرات. ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفيا على المتقدم له ، قاصرا عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزا منصورا محميا موفورا باسطا يده فلا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، ساميا طرفه . فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد مسريحه ركابه ولا يعملها إلا لاستضافه عز وملك فائزة قداحه فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك . حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحا . وتسمو له همته طامحا

فصل من كتاب عن بختيار إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبى الفتح بن العميد ذى الكفايتين . فى الشفاعة له

وهذا غلام أفسده سجيه ركن الدولة السريعة فى شدة الاحتمال . والصبر على الإدلال واجتمع له إلى ذلك التقلب فى نعمه حازها حيازة وارث لها . لم يكدح فى أنيلها . ولا مسه النصب فى ثمرها ولا اهتدى إلى طريق سعاتها . ولا يحذر من طرق دواعى انتقالها . ومن ألزم اللوازم فى حكم [illegible] أن حفظه من مكر نعمة نحن سقيناه بكأسها . وأن نعذره عند هفوة

قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله بعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدى الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم فى التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبى تغلب ، فى الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمرى من ذوى الأرحام الشابكة ، والقرابات الدانية ، من يتمادى فى العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع . فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك عن يستعمله أكثر من مضرته بمن يعمل معه . وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان . هذا فى الأتباع والأصحاب ، فكيف فى الأقران والأتراب .

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها ، وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها فى متضمناتها ، ويتشفع لها فى ملتمساتها ، ويعتمد عرضها فى أوقات الفراغ والنشاط ، وأحيان الخلوة والانبساط .

فصل عن بختيار إلى أبى تغلب ، فى ذكر فرس أهداه إليه

أما الفرس الذى سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه ، وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأمانى صدق سده ، وفتح الفتوح غاية شأوه وسلامته أبعد أقصى مدى عمره

فصل عن نفسه إلى صديق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالى حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ؛ وبالحكم على السنة المستقبلة التى تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصيا له ومدققا فيه ومتوفرا عليه ، ومتوصلا إلى استنباط دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق فى تفخيم مايلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولامقتصرا فى الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هى تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولاأقول إن ذلك يؤدى إلى دفع مقدور نازل . ولامعارضة محتوم حاصل . ولكنى أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة مايحب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه ، الذى لايرى فيتحفظ ، ولايسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسى إن تعداك كتابى إلى غيرك ، ممن لايهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعروتين . فيظن أن المراعى لأحدهما مخل بالآخر ، وعندى أن الفاصل بينهما لايخلو من أن يكون ناقص الحظوظ فى أدبه ، أوناقص اليقين فى دينه . وأنت ولى ما تفضل به فى ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيره ، إذ للنفس راحة فى تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة فى أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظنى بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له فى الخطبة

ولو لم يكن سخ صب إلى مخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة . بالنفس المتشاكلة ورضاه به شريكا معوضا فى الولد والنعمة والحال والنعمة

لكفاه وأجزاه . وأغناه عن كل ما سواه حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد . لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقـــابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعى الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدى أيدهما الله تعالى يسومانى التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسى على التقاعس عما آثراه مع ما افترض على من طاعتهما اشتطاطاً منى فى شرائط أحببت أن تجتمع لى فى الخبيئة التى أواصلها . وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله . وقد دعانى بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوى الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطى عنهم . حتى إذا أوجدنيها الله فى جهتك الجليلة . وجمعها لى فى منازلك المصونة . بعثنى البواعث وحفزتنى الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل . فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقى لمقلته . والصدر الحاوى لمهجته ولك كالولد المطيع لأبيه ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه . فإن رأيت ياسيدى أن تتأمل ما كتبت به من هذه الحالة ، وتسمع من موصلها ما يحمله عنى من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتى إلى ما سألت تحقيق ظنى . وتصديق أملى . فعلت إن شاء الله

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس لخصومه . وقد نال من المطعم والمشرب طرفا يقف به عند أول حد من الكفاية . ولا يمتد منه إلى آخر النهاية وأن يعرض نفسه على أسباب حاجة كلها . وعوارض البشرية بأسرها . لئلا يلم به من ذلك ملم ويطيف به طائف . فيحولانه عن رشده . ويحولان بينه وبين سداده

فصل فى ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار فى السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن يقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناض إليه ، والمسلم عليه

فصل عن مختيار إلى عضد الدولة فى التأليف

وإن من أعظم عن هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله ، وأن توقى مراسي أوتاده من ذوائب عروشه وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسرى إليهم أراقم المناقشة ، وتنش الدواهى فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، فى الشكوى والاستماحة

ولما صارت صروف الدهر بنوء على بعد الطريف ، وبجحف بى بعد الحبيب وصادف ما يجدد على فى هذا الوقت منها أشلاء منى منهوكة ، وأعظما مبريه ، وحشاشة مشفيه ، وبقية مودية جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنات ، لأعو منها مالا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل وكان سيدى أولها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابى هذا بيد يكاد وجهى يتطلم منها إذ تخطه ، إشفاقا على مائه عما يريقه ، لولا الثقة أنه يحقن ماء الوجوه ويحميها ، ويحمها ولا يقذيها .

فصل فى مثله

ولما أناخت النكبة بى حاى على طلل قفر ، وبلقع صفر وعون المغارم

أثقل وطأة من أبكارها ، وأبلغ تأثيرا فى ثلبها وإضرارها . فقد اضطرنى إلى تجشم ما كنت أجمه من نداه ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة . وتضايق الخطه

فصل فى ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها ، لا يرد شىء منها عن متأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهى كالسهام التى لا تثبت فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض. والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها

فصل فى ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما فقد وكثير ما تسكر الواردين حياضها ، وتعشى عيون المقتبس إيماضها . فيذهلون عن لامتراء لدرتها ، ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن أطار طائرها لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن تمروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها . ويعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزنى

ليت شعرى بأى عدم توافقنا وراءيا سا حاعه على رأسك ، ومماليكنا عن تينك وسمالك ، وخيلنا موسومة أسيافنا تحتك . وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك . وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا فى يدك

فصل نه إليه أيضا

م بدر فى حلمه أن من إحسانه حيث يكفر . ومن مجره حيث يخسر

.. حرب ضمك من يتصرح لا تق اعتمد . ثق من سبب لآخر ، تعمده

فصل إليه أيضا

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة . وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار

فصل في ذكره

هو أرق دينا وأمانة ، وأخفض قدرا ومكانة ، وأتم ذلا ومهانة ، وأظهر عجزا ورمانة ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا . وهو في نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشوده ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة

فصل في مثله أيضا

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ، وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ماعودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناصبة عضد الدوله من أن أصيب الغرض منه . كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي . وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض على ساقي

فصل في ذكره أيضا

إن [illegible] المطاع إذ بدا والعداوة [illegible] لم يقف عند الحد الذي يقدر [illegible] أن يقف عنده . ولم يخصص [illegible] الذي نص أنه لحقه وحده . لم [illegible] في الجسم [illegible] في الأدب وكثيراً ماتعدى

الصحاح مبارك الجرب . ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل فى ذكره أيضاً

قد لحقنى من مولانا مايلحق الرجل تذوى يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويالها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أحرجها وأضيقها . وبين أن يغضى عليها فيرى إلى ماهو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل فى ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها . والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها والسهام إلى كنائنها

فصل عن الخليفة فى رعاية حقوق الآباء فى الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاة المجتهدين فى إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصحائهم ، إذ كان لابد للأسلاف أن تمضى . وللأخلاف أن تنمو . كالشجر الذى يغرس لدنا فيصير عصيا . والنبات الذى ينجم رطبا فيعود هشيما فالمصيب من تخير الغرس من حيث يستحب الشجر . واستحلى الثمر ، وتعهد العرق من طاب عنه الخبر . وحسن منه الأثر :

فصل من رسالة فى وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المندفقة والأطواد المرتفعة [illegible] . [illegible] تشتاق الصيد وهى لا تطعمه [illegible] [illegible]

[illegible]

الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامى والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس . سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال ، تزيد إذا طعمت شرها وقرما . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفى الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقاجمامه، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه . ويلوح فى قراره حصباؤه . وأفانين الطير به محدقة . وغرائبه عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمياً ولم نر إلا مذكيا . وعدنا اشأتنا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصـــــل منها

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام . نستقرى ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة فى أكلائها ومعنا فهود أخطف من البروق . وأثقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب . وأنزل من الجنادب ، خمص الخصور قب البطون ، رقش المتون ، حمر الآماق . خزر الأحداق . هرت الأشداق ، عراض الجباه . غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبر أطلقنا عليه بازياً فعرج إلى السماء عروجا ، ولجج فى أثره تلجيجا . فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكأن هذا يستطعمه من خالق . حتى غابا عن النظار ، واحتجبا عن الأبصار . وصارا كالغيب المرجم ، والظن المتوهم ، ثم خصفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما. وأطربنا منظرهما

فصل من رسالة فى وصف الرمى عن قسى البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعبا ، والعامة حرفة ومكتسبا ، الصيد الذى فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقة فى استجماله ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله . ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو رائض الأبدان ، وجامع شمل الإخوان ، وداع إلى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والمحبة .

فصل إلى بعض الوزراء ، فى إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوى مرض عفاته ، وتدوى قلوب عداته . على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب . وأنا أود أن سواد عينى مداده ، وبياضها طرسه . شوقاً إلا لألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظمأ إلى ارتشاف بساطه

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ فى شكر سيدنا وحمده . على ما أهلنى له من بر د ورفده . وجهدى يقصر عن عفوه وإسهابى يعجز عن وصمه . ومن أنا فى

ذلك لو فعلته إلا كمن جارى الحصان بالأتان ، وواجه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورد دمعي إذ جرى ومدامتي   فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت   جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي   شوقاً إلى من لج في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوة   يبكي دماً وتشاكل اللونان
فكأن ما في الجفن من كأسي جرى   وكأن ما في الكأس من أجفاني

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يامن هواه   كل يوم يروعني منه خطب
مر ما مر بي من أحبابك حلو   وعذابي في مثل حبك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيق صدري   لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوم حجة عشق   [illegible] إسار في حب عذري

وقوله [من الكامل] :

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى   ما [illegible] بالنزاع مروعا
فأطاعني لا تحسبن حسبه   أمست من شرك الغرام وقوعا
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى   أصغى إليه سامعاً ومطيعاً

كذبالة أخمدتهـا فـلما دنا ... منها الضرام تعلقته سريعا

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما ... بدا ما بى لإخوانى الحضور
تـكنفنى ذوو الإشـفاق منهم ... ولاذوا بالدعاء وبالنـذور
وقالوا للطبيب أشر فإنا ... نعدك للمهم من الأمور
فقال شـفاؤه الرمان مما ... تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير عمد ... ولـكن ذاك رمان الصدور

وقوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بهـا القلب يلهج
إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا ... توهمت أن الروح بالروح تمزج
كأنى وقد قبلتها بعد هجعـــة ... ووجدى ما بين الجوانح يلعج
أضفت إلى النفس التى بين أضلعى ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإن قيل لى اختر أيما شئت منهما ... فإنى إلى النفس الجديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتها بالعتب عند لقائها ... فتلثمت من شدة استحيائها
واستكملت صفحة خدود ناعمة ... وجنة صبغت بلون سمائهـا
فبقيت أنظر من خلال جفونها ... متحير في لازوردتهـا

وقوله [من المجتث] :

هيفاء تحكى قضيباً ... [illegible] حسنته الريح
[illegible] على [illegible] در ... عنبه مسك وراح
جردتهـــا واعتنقـــا ... كل لشكل وشاح
بانت وكل مصون ... لى من حماها مباح

في ليلة لم يعبها   في الدهر إلا الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفاء كالغصن في رشاقته   لفاء كالدعص في كثافته
تبخترت والشأن يكنفها   فكانت البدر وسط هالته

وقوله [من الطويل] :

أقول وقد جردتها من ثيابها   وعانقتها كالبدر في ليلة التم
لئن آلمت صدرى لشدة ضمها   لقدجبرت قلبي وإن أوهنت عظمى

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد   خمنا عليك إذاً ظلما وعدوانا
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسياً   وأنت أحسن ما نلقاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانة   فرأيت كل الحسن منها
كانت ثيابك عورة   فسترت بالتجريد عنها

وقوله [من السريع] :

يا قمراً كالشمس في [illegible]   وكالقضيب اللدن في خطرته
خلتك صيداً صار في قبضتي   فصرت من صيدي في قبضته
قدت من لا تحظى طرفها   من حفة الناس بسلمته
[illegible]   وعاص [illegible] من [illegible]
[illegible]   [illegible]

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس [illegible]   [illegible]
قلت [illegible]   تجمع [illegible]
كأن مجرى سواكه برد   وريقه دون ذلك البرد

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشي في عناقك   ووفاتي في فراقك
أنت لي بدر فلا عشـــت إلى يوم محاقك
فاسقني الصهباء صرفا   أو بمزج من رياقك
لا أريد المـــاء إلا   عند غسلي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

كل الورى من مسلم ومعاهد   للدين منه فيك أعدل شاهد
فإذا رآك المسلمون تيقنوا   حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظبـه   بعطو سدر فوق غصن مائد
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا   بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً   قالوا لدامغ دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أتاه   لكليمه موسى النبي العـــابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه   مسود فرع كالظلام الراكد
فيقوم من ظلام ذاك ونور ذا   حجج أعدوها لكل معاند
أصبحت تحسبهم فكم لك شبه   من راكع عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنك [illegible]   في حسن [illegible] فرد [illegible]
كالزهرة [illegible]   مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى [illegible]   [illegible]
أصلحتهم [illegible]   [illegible]

ما أخرج من شعره فى الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحا   طالعاً والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ   سو من الهم جراحا
ذات نشر كنسيم الـ   ـروض غب القطر فاحا
يا غلامى ما أرى فيـ   ـها ولا فيك جناحا
حرم المـاء وأبعد   ه وإن كان مباحا
أفراح أنا حتى   أشرب المـاء القراحا

وقوله فى نبيذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التى تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة ، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسى مقبلا يهدى فنونا   إلى الشرب الكرام بحسن قده
وفى يده من التمرى كأس   كسوداء العروس أمام خده

وقوله [من المنسرح] :

صـفراء كالتبر جامها يقق   شعاعها كالذبال يأتلق
كأن فى كف من أتاك بهـا   ضحى نهـار فى وسطه شفق

وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاق هوى فى جحفل   ـه من مقامى فيه قرار
دبدبة من صوان نغما   ت ولدى بوق به مستعار
ومجلسنا حومة أرهجت   يحث الساقى إليها بدار
كأن فكاهتهم إذ عنت   تمائم لحرب لها شعار
كأن الكئوس بأيدى السقاة   سيوف لها بالدماء احمرار

كأن مناديل أكتافهم حمائلها إذ عليهم تدار
كأن رجوم تحاياهم سهام على الجيش منها تثار
كأن المجامر خيل جرت وقد ثار للتسد منها غبار
كأن السكارى رجال الوغى وقد عقرتهم هناك العقار
وقد جدلتهم جروح بهم وجرح المدامة فيها جبار
كأن تسكابها فى الزجاج حريق له من حباب شرار
فيالك من مأقط لى به بلاء وقول إليه يشار
ولما برزت إلى الهم فيه ولى بالسرور عليه اقتدار
جرى الضرب مختلفاً بيننا فمات وعشت وفد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء زوجتنى من الرا ح بعذراء نطرد الهم طردا
خندريس إذا المزاج علاها نظمت بالحباب للكأس عقدا
نترك البال ناعماً وأخا الشجـ ـو خلياً وطائر اللهو سعدا
عقتنى بكأسها ذات دل دل قلبى إلى الهوى فتعدى

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفستق للنقل والمطرب الممتع . فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانع رءوسا يسقط فى طيبها الخلاف
مبيضة كالمجين لوناً شبيبة كلها نظاف
وأخذه فى الرقاق يحكى صريع حى له لحاف
من بين عجل إلى خروف تزهى بتنضيدها الصحاف
مختلفات القدود لكن لها بأسنانها ائتلاف
وكلها راضع صغير له على ضرعه عكاف

قد أسمنتهن أمهات ... من طول إرضاعها عجاف
نسق على ذاك روح دن ... أرق أسمائها السلاف
عروس دن صفت وطابت ... لوناً وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا ... ناكس رأس به رعاف
والنقل من فستق جنى ... رطب حديث به القطاف
لى فيه تشبيه فيلسوف ... ألفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حرير ... فى حق عاج له غلاف
ومسمع مطرب مليح ... يحرم عن مثله العفاف
يظلنى صاحياً ولكن ... فى سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليل ... أعديك من كل ما يخاف
فأنت أصل السرور عندى ... وكل ما بعده مضاف

* * *

ما أخرج من شعره فى الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله فى الورد [من الوافر]:

وزائرة لنا فى كل حول ... لها حظان من حسن وطيب
تنال النفس حين تشم منها ... مثال العين من [illegible]
كأن [illegible] تعاطى [illegible] ... إذا طلعت [illegible] من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط]

أما ترى الورد قد حيتك زائره ... [illegible] فرجت عن كل مصدور
كأن أوراقه أنفاس عاشقه ... معسوفة [illegible] أنفاس مخمور
تفتحت وجنات فى جوانبه ... كأنما انتزعت من أوجه الحور

وقال فى النرجس [من الخفيف] :

رب يوم نقعت فيه غليلي ... وهوى بين الضلوع كمين
بوجوه مجلوة بعيون ... وعيون تخشى عليها العيون
تلك من نرجس نضير وهذي ... من غوان وجدي بهن جنون

وقال فى وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كافورة جعلتها ... لأسود العين عرض
حتى وددت أنها ... من أبيض العين عوض

وقال فيها [من الطويل] :

وشمامة كالبدر عند اعتراضه ... وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
يود سواد العين من شغف بها ... لو اعتاضها مستبدلا من بياضه

وقال فى النافجة [من مجزوء الكامل] :

ومشيمة من نسل ظبـ ... ـي لم تكن من ظهر فحل
أهدت إليك جنينها ... من غير طرق بحمل
ل باقتناص حائل ... نتت لها وبرشق نبل
فغدت بضاعة تاجر ... لا تشترى إلا ببذل
فيها لنفس قوتها ... تشكى بسم لا بأكل
حلت محلا لا ترى ... إلا لذى الخطر الأجل

وقال فى عتيدة الطيب (1) [من الكامل] :

وعتيدة للطيب إن تستدعها ... بعثت إليك أمينها بسميرها
افناك قبل عيانها أرج لها ... فكأنه مستأذن لحضورها
فتحاتها لم تدر من كافورها ... أتتك أم من مسكها وعبيرها

---

(1) عتيدة : حقة يكون فيها طيب

مزجت ببعض بعضها فتوحدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لاعيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سر ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها
إذا روحت عن نفسها بخروجها فللنفس مني راحة في ولوجها

وقال فيها [من الطويل] :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها متيمة تشكو من الحب تبريحا
تناجيك بجوى يسمع الأنف وحيها وتجهله الأذن السميعة إذ يوحى
إذا استودعت سرا من الطيب مجملا أشاعته مفصلا وأفشته مشروحا
وإن حاولت إخفاءه في ضميرها أبى عرفها إلا اعترافا وتصريحا
يحرق فيها العود عوداً وبدأة فتأخذه جسما وتنحه روحا

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

وحامل حشاؤه من النجوم عائمه
في جوه سحابة لها الأنوف شائمه
وشابه مدحنة خاصرة حادمه
داخلها مجمرة مثل القطاة الجاثمه
كأنها طارمة فيها مشتاق نائمه
يهدى لنا روحها من الحزن عادمه
يا عابها خلع من الهول دائمه
أبكمنا عارة تخرج منها ... شمه

وقال في سال مدخنة عوده رأس مقتدر بها [من مخلع البسيط]

... حتى وعرق ... حسن وزن ...

أدخل في الذيل من محب   طورا وفي الكم من حبيب
فكم ترددت بين هذا   وذا برغم من الرقيب

وقال في الغالية [من مخلع البسيط] :

غاليه تنتمي لحام   قد استعارت لباس قار
في قدح ينتمي لسام   من سنة البدر مستعار
جامع ما بين ذا وهذا   قد أولج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غالية صرح عطارها   في عجنها عن خالص التيه
تعزى إلى تبت من مسكها   وهي من العنبر تحريه
منشورة الطيب على أنها   في قدح البلور مطويه
كأنها فيه وقد حررها   رومية حبلى بزنجيه

وقال في غلام له أسود يسمى برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشد وقد أحببته   رشدي . ولم أحفل بمن قد ينكر
يا لائمي أعلى السواد تلومني   من لونه وبه عليك المفخر
دع لي السواد وخذ بياضك إنني   أدري بما آتي وما أتخير
مثوى البصيرة في الفؤاد سواده   والعين بالمسود منها تبصر
والدين أنت مناظر فيه بذا   وكذاك في الدنيا بهذي تنظر
لسواد ذنبك تستحي ولو انها   بيضاء هتكت الظلام لأكدر
فقد بياضك وهو دليل مشيب   وعمى سوادي وهو خط نور

وقال فيه [من الكامل]

[illegible]
ما نظر حدثك [illegible]   [illegible] قد أفدت به [illegible]

ولو أن مني فيه خالا زانه   ولو أن منه في خالا شانني

وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجه كأن يمناك خطتــــه   بلفظ تمـله آمالي
فيه معنى من البدور ولـكن   نفخت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسناً   إنمـــا يلبس السواد الموالي
فبمالي أفديك إن لم تـكن لي   وبروحي أفديك إن كنت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلة من محاق الشهر مدجنة   لا النجم يهدى السرى فيها ولا القمر
كلفت نفسي بها الإدلاج ممتطياً   عزماً هو الصارم الصمصامة الذكر
إلى حبيب له في القلب منزلة   ما حلها قبله سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة   تهدى الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الإبريز أثمر في   أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
فأتيك ليلا كما يأتي المريب فإن   لاح الصباح طواها دونك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج الببغاء(١) [من الرجز] :

أنعت طارونية الثياب   لابسة خزاً على الإهاب(٢)
صبغت تصبيغ التصابي   وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب   مكحولة العينين كالكعاب(٣)
مغموسة المخلب بالخضاب   منقارها أحمر كالعناب
كأنما تسقى دم الرقاب   مخدورة محمـــرة الخناب

---

(١) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل
(٢) الطارونية : المنسوبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز .
(٣) الكعاب ـ بفتح الكاف بزنة سحاب ـ الجارية الناهدة

لها على الأرجل والأعقاب   حلات ليث من ليوث غاب
أقفاصها كحبس الحجاب   مدورات الشكل كالقباب
تسمعنا منها وراء الباب   تمتمة بالقاف فى الخطاب
كأنما تقرأ من كتاب   مكروزة زادت على الحساب
قهقهة الإبريق بالشراب   ملآن منكباً على الأكواب
أهلا بصياد لها جلاب   جاء بها كريمة النصاب
ربيبة الجبال والهضاب   كريمة الأعراق والأنساب
لم تدر ما بادية الأعراب   غريبة صارت من الأحباب
دونك ياذا المفخر اللباب   أرجوزة من صنعة الكتاب
باكورة من ثمر الألباب   وتحفة من تحف الآداب
هدية الأتراب للأتراب   قل ما ترى فيها ولا تحابى
هل خلصت من هجنة وعاب   وسلمت من عيبه العياب
أم خلتها أشبه بالصواب   فهات ماعنــدك من جواب

وقال فى الخطاطيف [من الطويل] :

وهندية الأوطان زنجية الخلق   مسودة الأثواب محمرة الحدق
كأن بها حزناً وقد لبست له   حداداً وأذرت من مدامعها العلق
إذا صرصرت صرت بآخر صوتها   كما صر ملوى العود بالوتر الحرق
نصيف لدينا ثم تشتو بأرضها   فنى كل عام نلتقى ثم نفترق

وقال فى البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما جمعت فى معناه [من البسيط] :

وليلة لم أذق من حرها وسناً   كأن من جوها النيران تشتعل
أحاط بى عسكر للبق ذو لجب   ما فيه إلا شجاع فاتك بطل

من كل سائلة الخرطوم طاعنة — لاتحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا — حتى إذا طبخت أجسامنا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله فى البصرة

وكان خرج إليها فى صباه ليستوفى مالا على ضامنها ، من ذلك قوله [من الخفيف] :

ليس يغنيك فى الطهارة بالبصـ — ـرة إن حانت الصلاة اجتهاد
إن تطهرت فالميـــاه سلاح — أو تيممت فالصعيـــد سماد

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسى على المقام ببغدا — د وشربى من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الذميمـة نسقى — شر سقيا من مائها الأترجى
أصفر منكر ثقيل غليظ — خاثر مثـــل حقنة القولنج
كيف نرضى بشربه وبخير — منه فى كنف أرضنا نستنجى

وقال فى قصر روح بها [من الكامل] :

أحبب إلى بقصر روح منزلا — شهدت بحسنه بفضل البانى
سور علا ونمنمت شرفاته — وكأن إحداهن هضب أبان
وكأنما يشكو إلى زواره — بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يبدو لهم عن نفسه — إطراق محزون الحشى حران

وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :

توجهت عن أرض البصرة راحلا — وأفئدة الفتيان حشو حقائب
منازل قرى ضيفها كل أسلة — أمثال غزلان الصريم الربائب
أقمت بها سوق الصبا وتندى به — لعاشقة حرى وحيران لاعب
فـ نشر الأشواق إلا صبابتى — ولا تستر الجدران إلا حبائبى

ما أخرج من شعره فى والدته وأولاده

قال [من الخفيف] :

أسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب
فإذا ماطواهما الموت عنه فهو فى الناس أجنبى غريب

وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط] :

أرضى على ابنى إذا ماعقنى حذرا عليه أن يغضب الرحمن من غضبى
ولست أدرى بم استحققت من ولدى إقذاء عينى وقد أقررت عين أبى ؟

وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده [من الطويل] :

وما أنا إلا دوحة قد غرستها وسقيتها حتى تراخى بها المدى
فلما اقشعر الجلد منها وصوحت أتتك بأغصان لها تطلب الندى(١)

وكتب إلى بعض الرؤساء قصيدة فى إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليك ابنى وبالله إنه لأحلى من النفس المقيمة فى جنبى
وهل أنا إلا نسخة هى أصله وهل هو إلا كالمحرر فى الكتب
وفى النسخة السوداء ما أنت عارف من المحو والإصلاح والحك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومى [من البسيط] :

فقال لاتلحينا فى تفاوتنا فإننا كتب آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذى يرضيك مرأى ومخبرا وبعض مضاء السهم والصارم العضب
وشتان بين العود أيبس وانحنى وبين النبات الغض والغصن الرطب
فدونك فافسله وثق منه بالذى يراد من العبد المناصح للرب
وحرده من عمد التقبض باسطا وحرب فالتجريب عن رشده ينبى

(١) صوح الزرع : جف ويبس .

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعرعا ناشئا [من المنسرح] :

أبو على غصن من كبدى   وقد نشا من قناه لى خلب
كأن هذا وذاك إذ نسبا   منى سواد يضمه قلب
لازلت ألقى الخطوب دونهما   حتى كأنى عليهما حجب

وقال يرثى أبا سعيد سنانا ابنه [من الخفيف] :

أسعدانى بالدمعة الحمراء   جل ما حل فى عن البيضاء
يؤلم القلب كل فقد ولا مثـ   ـل افتقاد الآباء للأبناء
هد ركنى مثوى سنان وقد كا   ن يهد الأركان من أعداقى
عكست فيك دعوتى إذ أقدبـ   ـك برغمى فصرت أنت فداقى
إنما كنت فلذة من فؤادى   خطفتها المنون من أحشاقى
كنت منى وكنت منك اتفاقا   والتئاما مثل العصا واللحاء
كنت فى اليتم فى أجل منى   فلك الثكل فى أوان فناقى
ولئن كان فى أخيك وأولا   دكما ما يغض من برحاقى
فلعمرى لربما صحوا الشو   ق فزادوا فى لوعتى وبكاقى

ألم فيه بقول ابن الرومى . ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنى وإن متعت بابنى بعده   لذاكره ما حنت النيب فى نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيما   فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لا يسد اختلاله   مكان أخيه من جزوع ومن جلد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه   أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

وكتب إليه ولده أبو على يحسن نفسه فى بعض نكباته [من البسيط] :

لا آس [illegible] عاقله   فى حياتك من فقد النهى عوض
[illegible] وقد جمعت   يداك من [illegible] أو [illegible]

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يادرة أنا من دون الردى صدف ... لها أقيها المنايا حين تعترض
قد قلت للدهر قولا كان مصدره ... عن نية لم يشب إخلاصها مرض
دع المحسن يحيا فهو جوهرة ... جواهر الأرض طرا عندها عرض
فالنفس لى عوض عما أصبت به ... وإن أصبت بنفسى فهولى عوض
اتركه لى وأخاه ثم خذ سلبى ... ومهجتى فهما مغزاى والغرض

* * *

ما أخرج من شعره فى الفخر

قال [من السريع]

أبسر جودى أننى كلما ... أسرفت فى السكر ولا أدرى
ندمت فى صحوى على كل ما ... أنفيت من مالى فى سكرى

وقال فى صباه [من المتقارب]

لقد علمت خيل هذى الخيام ... ونسوانها القاصرات الغوانى
بأنى شفاء صدور الجميع ... وأكرم من ضمه الخافقان
أسر القرينة [illegible] العناق ... وأفتك بالقرن يوم الطعان
فبيض الحصان وطير الحصان ... على [illegible]

وقال من قصيدة [من الطويل]

[illegible] السلطان أنى [illegible] ... وكاتبه [illegible]
[illegible] عن عرضى [illegible] ... رأى [illegible] شمس وإنما أغسق
[illegible] الهدى وهو [illegible] ... [illegible] وهو [illegible]
فيماى [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

أرد بها رأس الجموح فينثنى ... وأجعلها سوط الحرون فيعنق
فإن حاولت لطفاً فماء مروق ... وإن حاولت عنفاً فنار تألق
يسلم لى قس وسحبان وائل ... ويرضى جرير مذهبي والفرزدق
فيقضى لنثرى خاطب وهو مصقع ... ويعنو لنظمى شاعر وهو مفلق
معال لو الأعشى رآهن لم يقل ... « وبات على النار الندى والمحلق »

وله من قصيدة قالها فى الحبس [من الطويل] :

يعيرنى بالحبس من لو يحله ... حلولى لطالت واشمخرت مراكبه
ورب طليق أطلق الذل رقه ... ومعتقل عان وقد عز جانبه
وإنى لقرن الدهر يوماً تنوبنى ... سطاه ويوماً تنجلى فى نوائبه
ومن مد نحو النجم كيما يناله ... يداً كيدى لاقته أيد تجاذبه
ولا بد للساعى إلى نيل غاية ... من المجد من ساع تدب عقاربه
وإنى وإن أودت بمالى نكبة ... نظيرى فيها كل قرم أناسبه
فما كنت كالقسطار يثرى بكيسه ... ويملق إن أخنى على الكيس سالبه
ولكن كابت العاب إن رام ثروة ... حوتها له أنيابه ومخالبه
يبيت خميصاً طاويا ثم يغتدى ... مباحا له من كل طعم أطايبه
كذلك مثلى نفسه رأس ماله ... بها يدرك الربح الذى هو طالبه
وللمال آفات بها ربه ... بها إن تخطته إليه مصائبه
ومن يكن السلطان فيه خصيمه ... فلا عار فى الغصب الذى هو غاصبه
وماصرى إن تماصر ممسكت يدى ... وفى فضل جاهى أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالى من صرف ونائله ... عتيد لدى فضلى فمنه جالبه
وفى ... قولى ونى رمغنى ... عى ... يكو لخصاصة صاحبه

ما أخرج من شعره فى المدح

قال فى المهلبى الوزير [من الكامل] :

قل للوزير أبى محمد الذى … قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى … ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل … وكأنما آذاننا أصدافه

وقال فيه من قصيدة [من الطويل] :

وكم من يد بيضاء حازت جمالها … يد لك لا تسود إلا من النقس
إذا رقشت بيض الصحائف خلتها … تطرز بالظلماء أردية الشمس

وله من قصيدة فيه [من الخفيف] :

وتعلقت بالرئيس الذى صر … ت رئيساً مذ عدنى فى العبيد
والوزير الذى غدا ووراء الـ … ـملك ركنا لعزه الموطود
أريحى مهلبى سعيد الـ … ـجد صافى الجدوى كريم الجدود
وإذا استطلق الأنامل جادت … ببيان كالجوهر المنضود
فى سطور كأنما نسرت يمـ … ـناه منها عصابنا من برود
فقر لم يزل مصيبا إليها … كل مسدى بلاغة ومعيد
يقتدى البارع المصيب بها لا … حقة بالمقصد المستقيد
ببيان شاف ولفظ مصيب … ومختصر كاف ومعنى سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجه إلى عمان [من الطويل] :

لقد كنت منك السعود موفقا … مصادره محمودة والموارد
كأنى بالبحر الذى خيف هوله … وقد خف حتى ساورته الجلامد
ترى منك بحراً زاخراً فوق متنه … فيصبح جارى موجه وهو راكد
كأن عصا موسى بكفك فوقه … وقد حز بعضاً منه وهو منضد

ستمشو لما تبغى ظهور صفاته وتبلغ ما تهوى وجدك صاعد
فلا تخش من صرف النوائب نبوة فنصرك محتوم عليه شواهد
إذا عادة الله التى أنت عارف تذكرتها هانت عليك الشدائد

وقال فى فاصد من غير علة [من الطويل] :

تتبع جود لا دم من يمينه فأضحى نكى يعطى الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصد العرق حاجة ولكنه ينحو المحامد قاصدا
بسبب أسباب الندى لعفاته ويرفبها مستفرصاً ومراصدا

وقوله فى معناه [من الكامل] :

لهجت يمينك بالندى فبنانها أبدا يفيض على العفاة عطاء
حتى فصدت وما بجسمك حاجة كيما تسبب للطبيب حباء
ولقد أرقت دماً زكياً من يد حقنت بتدبير الأمور دماء
تجرى العلا فى عرقه جرى الندى فى عوده فهو الماء صفاء
لو يقدر الأحرار حين أرقته حملوا له حب القلوب وعاء
فانعم وعش فى صحة وسلامة تحيى الولى وتكبت الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل] :

أهلا بأشرف أوبة وأجلها لأجل ذى قدم يلاذ بنعلها
فرشت لك الترب التى باشرتها تشفاهها من كحلها أو طفلها
لم تخط فيها خطوة إلا وقد وضعت لرجلك قبلة من قبلها
وإذا تذللت الرقاب تقربا منا إليك فعزها فى ذلها

وله من قصيدة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته يمضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالدوح فى أفق السماء فروعه وعروقه متوشحات فى الندى

في كل عام تستجد شبيبة فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة فلكية في منتهاها المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل] :

تناقي لو طولته لك قاصر وطولك لو قصرته لي باهر
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى بجهدي وعفو الجود لي منك غامر
وما زلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي إذ أنت تاه وآمر
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فلغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري لقد نلت المنى بك كلها وطرف إلى نيل المنى بك ناظر[1]

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبي [من الطويل] :

بلغت الذي قد كنت آمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمل

وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل] :

لما وضعت صحيفتي في طي كف رسولها
فلتهب لتسبها بمناك عند وصولها
وتود عيني أنها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك الـ ميمون غاية سولها

وله من قصيدة من الخفيف :

نعم الله كالوحوش وما تأ لف إلا الأحرار النساكا
نفرتها آثار قوم وصير ت لها البر والتقى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :

أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف عليه من العلياء عين تراقبه
روي ورعي لما روى قول قائل وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

---

(١) أحسبه : وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر .

وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنت الوزير الذى الدنيا تناط به   وأهلها نبع من دونه خول
تظل بالعز ملء الأرض أجمعها   كأنك النصل والدنيا لك الخلل

* * *

ما أخرج من شعره فى التهانى والتهادى

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لم أطول فى دعوتى لمليك   طول الله فى السلامة عمره
بل تلطفت باختصار محيط   بالمعانى لمن تأمل أمره
فهى مثل الحروف من عدد الهنـ   ـد قليل قد انطوت فيه كثره
جمع الله كل دعوة داع   مستجاب دعاؤه فيك صبره
وأعاد العيد الذى زاره العا   م بأمر يحوزه ومسره
وأراه الآمال فيه ولقا   ه سعاداته ووفاه أجره

وله من قصيدة يهنيه بالفطر منها [من البسيط] :

يا ماجدا يده بالجود مفطرة   وعوده من كل هجر صائم أبدا
اسعد بصومك إذ قضيت واجبه   نسكا ووفيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالا تجدده   واستقبل العيش فى إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماض قررت به   عينا ومنتظر يفضى إليك غدا
وعش بعمرك ممدودا وملكك مو   طودا ونل منهما الحد الذى بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة فى   يمناك علوه أرجاؤها رشدا
وحولك الفلك الدوار منتصب   أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا

وله فى الوزير المهلبى قصيدة عيدية [من الطويل] :

أسيدنا هنئت نعماك بالفطر   ووقيت ما تخشاه من نوب الدهر

مضى الصوم قد وفيته حق نسكه ... ووفاك مكتوب المثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزل ... من الله فيما ترتجيه على ذكر
هجرت هجود الليل فيه تهجداً ... وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامنا باعتقادها ... لناجتك لفظاً بالدعاء وبالشكر
وللفطر رسم للسرور وسنة ... ومثلك من أحيا لنا سنة الفطر
ولابد فيه من سماع وقهوة ... نقضى بها الأوطار من لذة السكر
وواصل قصفاً بين يوم وليلة ... دراكا فنستوفى الذى فات فى الشهر
فمر بالذى تبغى وكن عند ظننا ... فلا زلت فينا نافذ النهى والأمر
وعاد إليك العيد حتى تمله ... بأقصر يوم طاب فى أطيب العمر

أخذه من قول ابن الرومى [من مجزوء الرمل] :

وليطل عمرك مسرو ... راً بأيام قصار

وله فى بعض الوزراء [من الطويل] :

يصوم الوزير الدهر عن كل منكر ... وليس لهذا الصوم عيد ولا فطر
ويفطر بالمعروف والجود والندى ... وليس لهذا الفطر صوم ولا حظر
فأكرم به من صائم مفطر معاً ... توافى لديه الأجر والحمد والشكر

وله [من البسيط] :

إذا دعا الناس فى ذا العيد بعضهم ... لبعضهم وتعادى القول واتسعا
فصير الله ما من فضله سألوا ... فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
حتى يكون دعائى قد أحاط له ... بكل ذلك مرفوعاً ومستمعا

وله فى المطهر بن عبد الله [من الكامل] :

عيد إليك بمثله تعود ... وطوالع أوقاتهن سعود
متباركات كل صابح ساعة ... توفى على ما قبله وتزيد

يأتيك من ثمر المنى بغرائب معدومها لك حاصل موجود
قضيت شهر الصوم بالنسك الذى هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع ما يطمئن بمقلتيه هجود
فاشرب وسق عصابة قد مسها عطش وجهد فى الصيام جهيد
أرويتها جوداً فروّ مشاشها راحا فنك الجود والتاجود
وتمل عيشك فى سرور دائم سرباله أبداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ياسيداً أضحى الزما ن بأسره منه ربيعاً
أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعاً
حتى لأوشك بينها عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقت شمس على أفق طلوعا
واسعد بعيد ما يزا ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة فى عضد الدولة [من الكامل

اسلم ودم للرتبة العلياء وعلى ملكك فى أمد بقاء
واستقبل العيد الجديد بغبطة وبسرء وزيادة ونماء
وكفاك من نحر الأضاحى فيهما نحر بسيفك من طلا الأعداء
بهم تعمر كالبهائم جمجمت أشلاؤها فى حومة الهيجاء
حرمت ما كلها علينا واغتدت حلا لوحش القفر والبيداء
هذى مناسكك التى قضيتها بالسيف أو بالصعدة السمراء
ووراء ذلك للعفاة منائح عطلت هطول الديمة الوطفاء
وسواهب ومناقب ومفاخر ومآثر أوفت على الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

صل ياذا العلا لربك وانحر كل ضد وشانئ لك أبتر
أنت أعلى من [أن] تكون أضاحيـــك قروماً من الجمال معفر
بل قروما من الملوك ذوى السؤ دد تيجانها أمامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس منهم قال سيفك الله أكبر

وكتب إلى الشريف الموسوى فى الأضحى [من الهزج] :

مرجيك وصايك بذا الأضحى يهنيكا
ويدعو لك والله مجيب ما دعا فيكا
وقد أوجز إذ قال مقالا وهو يكفيكا
أرانى الله أعداء لك فى حال أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط] :

ياسنة البدر فى الدياجى وغرة الشمس فى الصباح
صمصام حرب وغيث سلم ناهيك فى البأس والسماح
اسعد بفطر مضى وأضحى وافاك باليمن والنجاح
وانحر أعادى بنى بويه بالسيف فى جملة الأضاحى
فالكل منهم دوو قرون يصلح للذبح والنطاح

وكتب فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة [من البسيط] :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا فى مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى علو قدرك عن شىء يدانيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وكتب إليه مع زيج أهداه [من البسيط] :

أهديت عملا زيجاً جداوله مثل المكاييل يستوفى بها العمر

فقس به الفلك الدوار واجركا يجرى بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه فى يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الذى ليس بينه وبين مليك العرش مثل يقارنه
رأيت ذوى الآمال أهدوا لك الذى تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكننى أهديت علماً مهذباً يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذى إن قبلته فليس سوى تامور قلبك خازنه

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك فى دفترين [من مجزوء الكامل] :

أهدى إليك بحسب حا لى فى الخصاصة درهمين
وبحسب قدرك دفتريـن هما جميع الخافقين
فإذا فتحتهما رأيـت بأن ذاك ملحظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسروانى وجزء من كتاب [من الطويل] :

تصبح بعز واعتلاء جدود وأبشر بخير واطراد سعود
وقل مرحباً بالمهرجان وحيه طلعة بسام أغر مجيد
له زورة فى العام ما زال يوما كفيلا بحظى سيد ومسود
فيحظى بفخر من علاك مجدد وتعظى بعمر فى مداه مديد
تراه إذا ما جاء طاح مقبلة اليك وإن ولى فتأتى جديد
أتتك الهدايا فيه بين موفر على قدر المهدى وبين زهيد
فبان على يمناك حين مددتها تكلف فيض اليدين معيد
تقاعس عن بسط القبول ولم تكن لها عادة إلا ببسطة جود
ولكن إذا أهدى لك الله نعمة مددت لها كفيك مد رشيد

وقد نزلت منه إليك هدية ... بجرجان ما عصوها سعيد
وما بيننا إلا المسافة فانتظر ... ورود بشير فوق ظهر بريد
ولما رأيت الله يهدى وخلقه ... تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالى فى الهدية درهما ... يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءا لطيفاً ذرعه ذرع محبسى ... وتقييده بالشكل مثل قيودى
ألاطف مولانا وكالماء طبعه ... تسلسل من عذب النطاف برود(١)
زلالا على المستعطفين وجلداً ... على كل عريض ألد مريد(٢)

وكتب إليه فى يوم نيروز [من الطويل] :

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره ... وكن أبداً بالعود منه على وعد
أرى الناس يهدون الهدايا نفيسه ... إليك ولم يترك لى الدهر ما أهدى
سوى سكر يحلو لك العيش مثله ... ومن أجل عمر كعمرك ممتد
وبينهما من ضرب قومك درهم ... وأبيات شعر من نتاق ومن جهدى
فإن كنت ترضى ما به انبسطت يدى ... وتقبله من هذا الذى عندى

وكتب إليه [من الطويل] :

تعذر دينارى على ودرهمى ... فلاطفت مولانا ببيتين من شعرى
وكم بيت شعر زاد بالشكر قدره ... على بيت مال من لجين ومن تبر

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع] :

دامت لمولانا سعاداته ... موصوله دائمه تترى
ونال ما أمل من ربه ... فى هذه الدار وفى الأخرى
وزاده النيروز فى ملكه ... عزاً وفى دولته نصرا

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى ، والبرود ــ بفتح الباء ــ البارد
(٢) العريض : الذى يتعرض للناس بالشر ، والألد : الخصم الشديد ، والمريد : العاتى

لما رأيت الناس لم يتركوا ... شيئاً ادعوا نظماً ولا نثرا
أعملت فكري في دعاء له ... يجمع ما جاءوا به طرا
فقلت بيتاً واحداً كافياً ... لم يعد في مقداره سطرا
لا زالت الدنيا له منزلا ... يأويه والدهر له عمرا

وكتب إليه مع اصطرلاب أهداه [من الوافر] :

يعز على أن أهدي نحاساً ... إلى من فيض راحته نضار
ولكن الزمان اجتاح حالي ... وأنت عليه لي إذ جار جار

وكتب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط] :

تهدى النحاس إلى مولى أنامله ... تهدى النضار إلى العافين منهباً
وكان يلزمنا لولا التعذر أن ... يكون إهداؤنا من عين ما وهبا
لكن بعدي عن جدواه أصفرني ... من كل خير فصار الصفر لي نشبا (١)
وسوف أظفر من أخلاط ماله ... بالكيمياء فيضحى صفرنا ذهبا
فليبسط الآن عذراً لست آمله ... في قابل إن أنل من خدمه سببا
فقد جرى الماء في عودي بدولته ... وكان من قبله مستحيلاً حطبا
وأقدت نحوي الآمال آتية ... من بعدما أزمعت من ساحتي هربا

وكتب في يوم سرور وقد أهدى بطيخة كافور [من الكامل] :

أسعد وزير الملك بالنيروز ما ... سجعت مطوقة على أعوادها
وافى فأنجز وعد عام أول ... بيامن تسكر من معادها
تهدى إليك به هدايا كلها ... من راحتيك حقيقة استمدادها
فتمد كفاً نحوها نشأت على ... إرفاد أيدي الناس لا استرفادها
عاداتها إعطاء ما قد أعطيت ... أكرم بعادتها وبالمعتادها

---

(١) أصفرني : أخلاني ، والصفر : النحاس ، والنشب هنا : كل ما يملك الانسان

ولقد طلبت فلم أجد شيئا سوى　　كافوره لم آل في إعدادها
وبديع أبيات إذا هي أنشدت　　نفقت بضاعتها على نقادها
فالصبح من تلك البياض أديمها　　والليل من هذي اعتكار مدادها
ولو انى مكنت من عيني التي　　هي بعض حقك يا عميد رقادها
اسكبت كافوري بشحم بياضها　　وكتبت أبياتي بذوب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود من السريع :

نل المنى في يومك الأجود　　مستنجحا بالطالع الأسعد
وارق كرقى زحل صاعدا　　إلى المعالي أشرف المصعد
وفض كفيض المشتري بالندى　　إذا اعتلى في برجه الأسعد
ورد على المريخ سطوا بمن　　عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلع كما تطلع شمس الضحى　　كاسمه للحندس الأسود
وحد من الزهرة أمثالها　　في عيشك المقتبل الأرغد
وصاه بالأقلام في حربها　　عطارد الكاتب ذا السودد
وباه المنظر بدر الدجى　　وأفضله في مجنسه وازدد
واسلم على الدهر ولا تخش من　　مكروهه الرائح والمغتدي
ذا مهجة آمنة للردى　　إذ أمنه مهجته المرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية من الكامل :

قرم علته ملابس العلياء　　فعلا على النظراء والأكفاء
أهدت إلى سرورها مثل الذي　　أهدى مساءته إلى الأعداء
ومن العجائب أنني هنأته　　وأنا المهنأ فيه بالنعماء
لا زال يصرع المراتب صاعدا　　حتى يحوز محله الجوزاء

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتار [من الخفيف] :

صح أن الوزير بدر منير إذ توارى كما توارى البدور
غاب لا غاب ثم عاد كما كا ن على الأفق طالعاً يستنير
لا تسلني عن الوزير فقد بيـ ـنت بالوصف أنه سابور
لا خلا منه صدر دست إذا ما قر فيه تفرقت الصدور

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل] :

قد كنت طلقت الوزارة بعدما زلت بها قدم وساء صنيعها
فغدت لغيرك تستحيل ضروره كيما يحل إلى ذراك رجوعها
فالآن آلت ثم آلت حلفة أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجتث] :

يا جامعاً خصلات قبيحة ليس تحصى
نقصت من كل فضل فقد تكاملت نقصاً
لو أن للجهل شخصاً لكنت للجهل شخصا

وقال [من الخفيف] :

أيها الشاعر الذي بقصيد مسمح يقوله الجواب
لا تؤمل أن أقول لك احسـ ـنت أحق بها كل الكلاب

وقال [من السريع] :

هذا الذي صام عن الطعم أيلك قد صمت عن الظلم
هل ينفع الصوم امرأً ظل أحشاؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج] :

أبو الفضل إذا يحصل فيما بيننا فضل
وما نؤثر أن يدخل فى شطرنجنا بغل

وقال فى إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل] :

يامن تعمم فوق رأس فارغ   بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقبح كل شىء تحتها   فكأنها نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبى   من شر شىء فى أجل إناء
لو أننى مكنت مما أشتهى   وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها   فى رأس حر من ذوى العلياء

وقال [من الطويل] :

ألا قل لأهل الدولة النذلة انى   نرى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أم وجهها   فنحن لها أرض وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظ منها فإنه   قليل على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث] :

وراكب فوق طرف   كأنه فوق طرف
له قذال عريض   يجل عن كل وصف
يذوب شوقاً إليه   نعلى وخفى وكفى

وقال [من مخلع البسيط] :

قرن ابن هارون قد تمادى   عموده فالغيور عبده
فكاشفته النظراء جهراً   فسقها حين قل حبره
خلت به المنكاح يوماً   فقام حربه وناء أيره

وقال [من الكامل] :

يبدى اللواط مغالطاً وعجانه   أبداً لأعراد الورى مستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا   لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال [من الرجز المشطور] :

يا رب علج أعلج   مثل البعير أهوج
ذى فيشة عظيمة   إن دخلت لم تخرج
رأيته مطلعاً   من خلف باب مرتج
وتحتـــه دنية   تذهب طوراً وتجى
فقلت : قاضى أيدج ؟   فقــال · قاضى أيدج

وقال فى رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعن من سكر الحداثة ماصحا   دعمنا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له همة تكنها فى حتاره   فما يطلب العلياء إلا لينكحا
فلو أن ما فاسى من الأير دبره   تقاسه من سير المعلم أفلحا

وقال فى إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] ·

قل للشريف المنتمى   للعز من سرواته
آبائه وجدوده   والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه   وعيوبه وهناته
والطاهر السوءات فى   أخلاقه وصفاته
لاتجرين من الفخا   ر إلى مدى لم تاته
شاد الأولى لك منصباً   فوضعت من شرفاته
وأبوك متصل به   فعققتهم بشتاته
إن الشريف النفس لي   ست تلك من فعلاته

والعود ليس بأصله لكنه ببنباته
والماء يفسد إن خلطـ ـت أجاجه بفراته
وأحق من نكسته بالصفع من درجاته
من مجده من غيره وسفاله من ذاته

وقال فى هجاء أبخر [من البسيط] :

إنى بليت بقربان بسارزنى سيان عندى مجتباه ومقصاه
القبر نكهته ، والسم ريقته والموت عشرته، والبخر بحواه

وفى المعنى [من مجزوء الرمل] :

فى أبى الفضل من النقـ ـص ضروب وصنوف
رجل فى وعده خلـ ـف ، وفى فيه خلوف
فإذا فاوضك القو ل فقد فاض كنيف

وقال [من مجزوء الخفيف]

لم تر العين أبخرا كابن نصر ولا ترى
مدخل الخبز منه أخـ ـبث من مخرج الخرى

وقال [من الكامل]

قد أبصرت عينى العجائب كلها ما أبصرت مثل ابن نصر أبخر
ما شم نكهته امرؤ متعطر إلا استحال خلاطه منا خرى

وقال [من الكامل]

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة فى الخافقين تنش فيه الفاسد
فكأن أهل الأرض كلهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد

وقوله [من الخفيف] :

يا ابن نصر نه كيف ما شئت التحـ ـيره إذ لفتك حالا ...

لك فى الناس مثل معجزة الخضـــر ، وإن كنت منه بئس الخليفه
لا يشمون حين تجتاز طيباً ويشمون حين تجتاز جيفه

وقال [من مجزوء الرجز] :

ما مر بى فى عمرى مثل سرار القنطرى
مكتنه من أذنى فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبى الفضل الشيرازى يوصيه بغلمانه ويعله بحالهم ويحذره من شخص عرض به [من مجزوء الرمل] :

نب هذا التيس نبا وعلى الغلمان هبا
كلما نادى غزالا منهم للنيك لبّى
ما رأينا قبل هذا رشأ طاوع كلبا
ليس فيهم من صغير وكبير يتأبى
وغدت دار أبى الفضـ ل لهذا التيس زربا
وهو يزداد على ذا لك به ضناً وعجبا
يأأبا الفضل استمع نصـ ح امرىء يصفيك حبا
سرح غلمانك للسر حان قد أصبح نهبا

* * *

ما أخرج من شعره فى الشعر

قال من الوافر :

أحب الشعر يبتدع ابتداعا وأكره منه مبتذلا مشاعا
ولى رأى غيور فى المعانى فما آتى بها إلا افتراعا
وقدما كانت الأبكار أحظى من العون التى امتهنت شعاعا

وقال [من الخفيف] :

رب شعر أطاله طول معنا ه وإن قل لفظه حين يروى

وطويل فيه الكلام كثير فاذا ما استمدته كان لغوا
عرض البحر وهو ماء أجاج وقليل المياه تلقاه حلوا

وقال [من الطويل] :

لقد شان شأن الشعر قوم كلامهم إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيارب إن لم تهدهم لصوابه فأضللهم عن وزن ما لم يجودوا

وقال من قصيدة فى الصاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحك لاستجـ ـررت من كل نعمة لك هجوا
فتأمل وانظر إليه إذا ما طبق الخافقين حضراً وبدوا
كيف تحدو به عفاتك حدوا ثم تشدو به قيانك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره فى العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيام نعد على عدا وحظى من رغائبها يفوت
يظن الناس لى فيها ثراء وحسبى من ظنون الناس قوت
كأنى من تخاصمهم مكبين وحالى من خصاصتها تموت
ولم آل اجتهاداً واحتفالا ولكن أعيت الخيل لبخوت
إذا رام الكريم شكاة بث فغايته التحمل والسكوت

وقال من قصيدة فى عبد العزيز بن يوسف من الطويل :

كفانى علاء حين أفخر أننى أضاف إلى عبد العزيز وأنسب
سحبته على الحانيات فصرت فى كفالته كالابن وهو له أب
فيا أنا كالأولاد والفرع أشمط وها هو كالآباء والفرع عيهب

ومنها :

عممتم جميع الناس حسناً لمحسن وعفواً لذى جرم فغيثوا وأخصبوا
فما بال إبراهيم إذ ليس قبله ولى عراق غــدا وهو مجدب
يجليهم فى حلبة حين أرسلوا وسكيتهم فى رتبة حين رتبوا
ومالك ياعينى البصيرة غمضت جفونك عنى حين أبكى وأنتحب
وكيف استطبت العيش فى ظل نعمة غلامك عنها بالعراء يعذب
أتضرب صفحاً وادع الجأش ساكناً وجنبى على رمضائه يتضرب
متى لم يكن ترياق جاهك ضامناً نجاتى إذا دبت إلى الحال عقرب
ومالى إذا لم أسق رياً من الحيا ولم ترو منى غلة الروح أخصب
ولكنه التقويم إن كان طعمه أمر فعقباه الحميــدة تعذب
ومن ذا الذى أهلتموه لنكبة تقومه إلا العذيق المرجب
إذا منصل بالغتم فى صقاله فما هو إلا المشرفى المجرب
ولم تشحذوا حديه حيفاً وإنما تريدون أن نسطوا به وهو مقضب
تعرضت هذا الشرى كالأرى عالما بأن سوف يحلو لى جنى فيه طيب
ويا سوء حالى لو حربت لديكم عحرى الذى لايصطفى فيهذب
فصبراً على بؤسى قليل بقاؤها لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
لئن غمنى التأنيب فيكم وساءنى لقد سرنى أن كنت ممن يؤنب
وعلمى باستحكام حقى لديكم يحقق ظنى أن جرمى سيوهب
وإنك للحر الذى لى عنــده وديعــة ود خيرها مترقب

وقال [من الطويل] :

صديق لكم يشكو إليكم جفاكم وفى قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكر وللغيب مأمون وللحبل واصل

يقول لكم والوجد بين ضلوعه	مقيم وقد حمت عليه البلابل
أكابرنا عطفاً علينا فإننا	بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

وقال [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضا سـ	ـرا ويبدو الإنكار وسط النادى
ومن العدل أن يشاع بهذا	مثل ماشاع ذاك فى الأشهاد
كى يسر الصديق بالعفو عنى	مثل ما سر بالنكير الأعادى

ما أخرج من شعره فى الشكوى والحبس

قال [من البسيط] :

قد كنت أعجب من مالى وكثرته	وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى	شزراً فلم تبق لى شيئاً من النشب
فاستيقنت أنها كانت على غلط	فاستدركته وأفضت بى إلى الحرب
الضب والنون قد يرجى التقاؤهما	وليس يرجى التقاء اللب والذهب

وقال أيضا [من الوافر] :

كأن الدهر من صبرى مغيظ	فليس تغب منه لى خطوب
يحاول أن تلين له قناتى	ويأبى ذلك العود الصليب
ألاقى كل معضلة تئود	بوجه لا يغيره القطوب
وأعتنق العظيمة إن عرتنى	كأن قد زارنى منها حبيب
وبين جوانحى قلب كريم	تعجب من تماسكه القلوب
تلوح نواجذى والكأس سرى	وأشربه كأنى مستطيب
فوق السر فى جهر ضحوك	وتحت الجهر فى سر كئيب
فأنت إن يصادمنى زمانى	ركبته كما [illegible] النجيب

وأرقب ما تجيء به الليالي فني أثنائه الفرج القريب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قاسيت من دهرى سفيهاً ما إن رأيت له شبيها
ثبتت نصال سهامه في ثغرة لي نتحيها
فكأنني استقبلته بعقاتلى إذ أتقيها

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن بد من الموت للفتى فأروحه الأوحى الذى هو أسرع
وما طال عمر قط إلا تطاولت بصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به فحصوله خوف وعقباه مصرع

وقال [من الطويل] :

إذا جمعت بين امرأين صناعة وأحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ماجرت به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وقال [من المنسرح] :

عهدى بشعرى وكله غزل يضحك عنه السرور والجذل
أيام همي بجبـــة بهم الـــقلب عن النائبات مشتغل
فالآن شعرى في كل داهية نيرانها في الضلوع تشتعل
أخرج من نكبة وأدخل في أخرى فنحسي بهن متصل
كأنها سنة مؤكدة لابد من أن تقيمها الدول
فالعيش مر كأنه صبر والموت حلو كأنه عسل

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف] :

ليس لى منجد على ما أقاسى من كروبي سوى العليم السميع

دفتري مؤنسي وفكري سميري ... ويدي خادمي وحلسي ضجيعي
ولساني سيفي وبطشي قريضي ... ودواتي غيثي ودرجي ربيعي
أتعاطى شجاعة في القوافي ... أدعيها لقلبي المصدوع
بمقال أعز من ليث غاب ... وفعال أذل من يربوع
كلما هر في جواري هر ... كاد يفضي إلى فؤادي المروع
وإذا اجتاز في السطوح فمن قبـــل قبوع الجرذان منه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبت أفيك السوء من محبس ضنك ... وعين عدوي رحمة منه لي تبكي
وقد ملكتني كف فظ مسلط ... طويل النوى ضار على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة ... كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس : من الكامل :

نفسي فداؤك غير معتد بها ... إذ قد ملكت حياتها وبقاءها
ولو ان لي مالا سواها لم أكن ... أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرت فلم أجد إلا التي ... قد آن لي أن أستطيل ذماءها
فإذا شكرت لمن فداك فإنني ... لك شاكر أن قد قبلت فداءها
وكأنني المفدى حين أرحتني ... من نائبات ما أطيق لقاءها

وكتب وهو في الحبس إلى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل] :

أيها السيد قد كـ ... ـنت إلى الوصل تسارع
وتراعينا بـبر ... متوال متتابع
فلماذا قد سربلـــت لنا سربال قاطع
عن كالسرب في الصحـــــة تشكي وافع
وعن الطائر أن تحـــتى أجدد ونائع

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله رقعة هذه نسختها :

لقد قوى دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعزب غمي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن لم أكن أهلا لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط] :

دخلت حاكم حكام الزمان على   صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها   حتى توفاه طول الهم والحزن
فعاش من كلمات منك كن له   كالروح عائدة منه إلى البدن

وقال في مستخرج مال كان يرفق به حال مصادرته ويتشكر منه في تلك الحال [من الكامل] :

لله در أبي محمد الذي   ضمنت إساءته بنا إحسانا
طويت جوانحه على خيرية   مكتومة تبدو لنا أحيانا
حر تكلف غير ما في طبعه   من قسوة تكسو العزيز هوانا
عكس النفاق لنا فأخفى باطنا   حسنا وأظهر ضده إعلانا
وله خلال العسف رفق ربما   يغشي الضعيف الرازح الحيرانا
مستخرج للمال مضطر إلى اسـ   تعمال ما يرضى به السلطانا
متلطف في فقرنا ولو أنه   وجد السبيل إلى الغنى أغنانا
يتطرق الأستار لا عن نية   ولو استطاع لها الصيانة صانا
متورع الجنبات في استخراجه   وإذا تعطف لفتسوة لانا
فتراه في ديوانه مستأسدا   بنا وفي خلواته إنسانا
رجل يؤدبنا ونحن مشايخ   مثل المعلم يضرب الصبيانا

عدنا وقد شبنا إلى حال الصبا　　فى مكتب يستشهد الولدانا
نهواه علماً أنه خير لنا　　من غيره أن قلد الديوانا
عجباً له إذ هذه آثاره　　فينا وهذا شكرنا وثنانا
فالله يحفظه علينا راضياً　　ويعيذنا من بأسه غضبانا

وقال أيضاً فى الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء بد من الردى　　فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو رائع　　تطيف به اللذات والحظ مسعد
فإن أك شر العيشتين أعيشها　　فإنى إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوما شقوة وسعادة　　إذا كان غبا واحدا لهما الغد

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل] :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد　　على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فباله　　وبالك من مجد مبيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائرا　　ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة　　بصوب بلا برق يروع بلا رعد
وتابعت أهليها لدى بمثوبة　　ورحت إلى موز وراحوا إلى رفد
أمولاى . مولاك الذى أنت ربه　　إليك على جور النوائب نستعدى
وهذى يدى مدت إليك بقصه　　أعيذك فيها من إباء ومن رد
أتانى شتاء ليس عندى دثاره　　سوى لوعة فى الصدر مشبوبة الوقد
فلو أن برد الجلد عاد إلى الحشا　　وفار الحشا الحران منى على الجلد
أزيحت لنفسى علتاها فأعرضت　　عن البث والشكوى إلى الشكر والحمد
وداويت داء النقص دائبا　　أصد إعراضا من صد النصد

ولكنني أستبطن الحر كربه وأستظهر الضر الشديد من البرد
وكم تثبت الحوباء في شبح به جروح دوام من مناحسة النكد
أبيات وقع لو تكون بيذبل تضعضع ركناه تضعضع منهد
فلولا رجاء ملء أرجاء أضلعي وعلم يقين بالرعاية والعهد
وأن نسيم الانعطاف تهب لي هبوب نسيم النرجس الغض والورد
قضيت بإحداهن نحبي حسره ولو كان لي قلب من الحجر الصلد
وهبني قد حملتها فأطقتها إطاقة صلب العود مصطبر جلد
فمن لي صبر عن جبينك لامعا إذا شيم ما بين السماطين من بعد
براق برى القدح شوق مبرح إليه ووجد جل عن صفة الوجد
إذا أبصرت عيناي خدا معفرا لديك نقلت الترب منه إلى خدي
وإن سمعت أذ ناي عنك محدثا لهجت بتكرير الحديث الذي يبدي
فذكراك جهري حين يطرف زائري ونجوى الشرى حين أخلو بها وحدي
فلا تبعدني عنك من أجل عثره فإن جياد الخيل تعثر إذ تخدي
ولو كنت تنفي كل من جاء مخطئا إذا عممت الناس بالنفي والطرد
ومن زل يوما زلة فاستقالها فذاك حقيق بالهداية والرشد
ولي عند مولانا وديعة حرمه وشكر أياديه وديعته عندي
فإن عشت كانت عدتي وذخيرتي وإن لم أعش فهي التراث لمن بعدي
توالت سني أربع ومدامعي لها أربع كالسلك سل من العقد
أحوم إلى رؤياك كيما أنالها حيام العطاش الناظرات إلى الورد
فيا أيها المولى الذي اشتاق عبده إليه أما تشتاق يوما إلى العبد ؟
فإن كان لم يبلغ إلى ربه الرضا فلعنه فيما قبلها ربه الوعد
ومن أمرك العالي ينجير حاله وتخفيف ما يلقى من البؤس والجهد

لعلك ترضى عوده بعد بدأه فيغدو بوجه أبيض بعد مسود
فقد يجبر العظم الكسير وربما تزايد بعد الجبر شدة مشتد

وقال [من الطويل] :

هجرت دواتى بعد تصريف خطبها وواصلت كالوراق قارورة الحبر
وعاشرت من دون الأخلاء دفترا يحدث عما مر فى سالف الدهر
فطوراً يسلى النفس بالمنى وطوراً يكون الموت منى على ذكر

* * *

ما أخرج من شعره فى الحكمة

قال [من مجزوء الرمل] :

حلة الإنسان جسمه وهيولاه سخيفه
فلماذا أنت تشرى هل للنفس شريفه ؟
إنما ذلك فيه صنعة الله اللطيفه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل] :

أتهاب فى الغمرات ظا ما ربه وهبت عنه
وأمامك الموت الذى أيقنت أن لا بد منه
هذى سبيل الخائف الكافى الزناد ولا تكنه
الدهر خوان واسكن كل سعد لم تخنه !
وشق جسد قد تحر ز بالتصون لم يصنه
فاحذر مراراً أن يخو ن ومرة لك فأتمنه
واسبر حظك بالتقلـ ـب فى المطالب وامتحنه
وابسط رجاء قد قضـ ـت وفى ربك واسمنه

وقال أيضاً [من الطويل] :

ألا أيها الإنسان لا تك آيسـ ـاً من الدهر أن يصفو عليك مشاربه

فإن له حتما من الشر واجبا وحتما من الخير الخفى عواقبه
وإن تلق من حتميه ما كنت تبتغي وأولى بك الحتم الذى أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارها ككسبك ما تخشى وأنت مجانبه

وقال [من الخفيف] :

قد تحامى الجواد نائبه الدهـــر وفيها على البخيل وقاحه
كم رأينا من نعمة قادها البخـــل وأخرى تذود عنها السماحه
ربما ضرها التشدد والضبــط فأضحت من أصلها مجتاحه
هى محمية إذا نيل منها وإذا عز نيلهـا مستباحه
وخصوم الشحيح يسعون فيها غض من طرفه وهاض جناحه
وبنات القلوب تصغى إلى من كان أسخى نفسا وأطلق راحه

* * *

ما أخرج من شعره فى الشيب والكبر
وذكر آخر أمره

قال [من الوافر]

يقول الناس لى فى الشيب عز يزيد به جلال المرء ضعفا
ولولا أنه ذل وهون لما احتكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط]

كفاك من ذلتى للشيب حين بدا أنى وإياه نفنى لحيتى سندى

وقال [من المتقارب]

لقد أخلقت حدثى الحادثات ومن عاش فى دهرها يخلق
وبدلنى صلعا شاملا من الشعر الفاحم الأغسق
وقد كنت أصلع من عارضى فقد صرت أصلع من مفرق

وقال [من المنسرح]:

لما دهتنى السنون بالصلع وقل مالى وضاق متسعى

حاسبت عن لمى مزينها حساب شيخ للحرم متبع

فلت له اقتنع عن قسط نابتها بالربع مما به عملت معى

واحمل على أنهما مزارعة شكوت فيها شكاة متضع

فاحطط خراج الذى أصبت به واستوف من خراج مزدرع

وقال [من مجزوء الكامل]:

وجع المفاصل وهو أيـ ـسر ما لقيت من الأذى

جعل الذى استحسنته واليأس من حظى كذا

والعمر مثل الكأس ير سب فى أواخره القذى

وكتب إلى أبى الحسن النقيب الموسوى [من الخفيف]:

أقعدتنا زمانه وزمان عاق عن قضاء حق الشريف

فاقتصرنا فيما تؤدى من الفر ض على الكتب والرسول الخفيف

والفتى ذو الشباب يبسط فى التقـ ـصير عذر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته، وسوء أثر السن عليه، وحاجته إلى الجلوس فى المحفة إذا أراد التصرف فى حوائجه. وذلك فى رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الطويل.

إذا ماتعدت بى وسارت محفه لها أرجل يسعى بهن رجلان

وماكنت من فرسانها غير أنها وفت لى لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصان بحكم مشيب أو فراش حصان

فقد حملت منى ابن تسعين سالكا سبيلا عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبى وقبلها ذعرت بصوت النعش فى الرجفان

ولى بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنيبة يوم للمنية دانى
تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهن ثمانى
وإنى على غيث الردى فى جوانبى ... وما كف من خطوى وبطش بنانى
وإن لم يدع إلا فؤاداً مروعا ... به غير باق من أذى الخفقان
ملوم تحت الحجب ينفث حكمة ... إلى أذن تصغى لنطق لسان
لأعلم أنى ميت عاق دفنه ... ذماء قليل فى غد هو فانى[1]
وإن فما للأرض غرثان حائماً ... يراصد من أكلى حضور أوان[2]
به شره عم الورى بفجائع ... تركن فلاناً تاكلا لفلان
غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع ... فما تلتقى يوماً له الشفتان[3]
فكيف وحد القوت منه فاؤنا ... وما دون ذاك الحد رد عنان
إذا عاضنا بالنسل عن يعوله ... فلا أولا منه بمهلك ثانى
إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثا ... سوى الله من إنس يراه وجان
ألا أبلغا فرعاً نمته عروقه ... إلى كل سام للمفاخر بانى
محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كل بكر فى العلا وعوان
أبا حسن فطمت أحشاء حاسد ... طواها على البغضاء والشنآن
يراك بحيث النجم تصدع قلبه ... بحد لسان أو بحد سنان
جرى جاهداً والعفو منك يفوته ... فكان هجينا طالباً لهجان[4]
وأنت سماء فى الذؤابة صاعداً ... وذاك حضيض فى القرارة عانى

---

(١) الذماء : بقية الروح .
(٢) الغرثان : الجائع
(٣) فاغرا : فاتحا فاه ، والطوى : الجوع
(٤) الهجين : المتولد بين عربى وأمة .

أقيك الردى إنى تنبهت من كرى ... وسهو على طول المدى اعتورانى
فأثبت شخصاً دانياً كان خافيا ... على البعد حتى صار نصب عيانى
هو الأجل المحتوم لى جد جده ... وكان يرينى غفلة المتوانى
له نذر قد آذنتنى بهجمة ... له لست منها آخذاً بأمان
ولا بد منه مهلا أو معاجلا ... سيأتى فلا تثنيه عنى ثانى
هنالك فاحفظ فى بنى أذمتى ... وذد عنهم روعات كل زمان
فإنى أعتد المودة منك لى ... حساماً به يفضون فى الحدثان
ذخرت لهم منك السجايا وإنما ... لأنفع مما يذخر الأبوان
وفاء ومدا للجناح عليهم ... وضناً بهم عن مس كل هوان
وحرمة أسلاف كرام حقوقها ... ديون على الخلين يصطحبان
وحظك منها حسب شأنك إنه ... عاظم قدرا أن يقاس بشان
وقد ضمن الله الجزاء لمحسن ... وحسبك من واف وفى بضمان
وهذا قريضى وهو هم بعثته ... إلى همه عذراء ذات بيان
فكنت كمن جارى جواداً بمقرف ... قوائمه مشكولة بحران[1]
فإن تمش بالعثار سوابقاً ... قوافيه من لفظ وحسن معانى
فلا عار إن قصرت دون مبرز ... شأى الناس قبلى سعيه وشآنى
وعذرى إليه خاطر كل بعدما ... نوى وهو ماضى الشفرتين يمانى
كذا الدهر إما عاد ينقض ما بنى ... وإما بنى ما ينقض الملوان
وإن أخرنى اليوم سن بعدمت ... فقد أسلفتنى حوز كل رهان
ليالى طارت بى عقاب ملاعتى ... وقدت ما ما استطاع يدانى
أبابيل حامت دون إدراك غايتى ... على أنها منها آل فى طيران

(١) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذى تربط به الدابة

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظمائي إلى من لو أراد سقاني ودِيني على من لو يشاء قضاني
ولو كان عندي مصبراً لعثرته ولكنه وهو المُلي لواني
رمى مقتلي واسترجع السهم دامياً غزال بنجلاوين ننتضلان
أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى على بدني داء الضنى وشجاني
أبيت فلم أستنشق من كان غلّني ولم أسترش من كان قبل براني
فإن أسر فالعلياء همي وإن أقم فإني على بكر المكارم باني
وإن أمض أترك كل حي من العدى يقول ألا لله نفس فلان
أكرر في الإخوان عينا صحيحة على أعين مرضى من الشنآن
فلولا أبو إسحاق قل تشبثي بخل وضربي عنده بجران
هو اللاقي عن دا الزمان وأهله نشيمه لا وان ولا متواني
إخاء تساوى فيه ودا وألفه رضيع صفاء لا رضيع لبان
تمازج قلبانا تمازج إخوة وكل طلوبي غاية أخوان
ورب قريب بالعداوة ساخط ورب بعيد بالمودة داني
وغيرك يدنو عنه طرق بجاده وإن كان مني الأقرب المتداني
لئن رام قبضاً من بنانك حادث لقد عاضنا منك انبساط جنان
وإن بز من ذاك الجناح مطاره فرب مقال منك ذي طيران
وإن أقعدتك النائبات فطالما سرى موقراً من مجدك الملوان
وإن هدمت منك الخطوب بمرها فتم لسان للمناقب باني
مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظر وما سمعت من سامع أذنان
وموسومة مقطوعة العقل لم تزل شوارد قد بالغن في الجولان
وما زال منك الرأي والحزم والحجى فتأسى إذا ما زلت القدمان

ولو أن لى يوما على الدهر إمرة ... وكانت لى العدوى على الحدثان
خلعت على عطفيك برد شبيبتى ... جواداً بعمرى واقتبال زمانى
وحملت ثقل الشيب عنك مفارقى ... وإن فل من غربى وغض عنانى
وناب طويلا عنك فى كل عارض ... وخط بخطو أخمصى وبنانى
على أنه ما انفل من كان دونه ... حميم يراى عن يد ولسان
وما كل من لم يعط نهضاً بعاجز ... ولا كل ليث خادر بجبان
وإنك ما استرعيت منى سوى فتى ... صبور على رعى المودة حانى
حفى إذا ما ضيع المرء موله ... وفى إذا ما خون العضدان
من الله أستهدى بقاك وأن ترى ... علا لأيام العلا بمكان
وأسأله أن لا تزال مخلداً ... بماقى سماع بيننا وعيان
إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى ... مآرب قلبى كلها ورعانى

وكتب إليه أبو إسحاق أيضا ، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته اثنا عشر يوما ولعلها آخر شعره ، من الطويل :

أبا كل شىء قيل فى وصفه حسن ... إلى ذاك يتحو من كناك أبا الحسن
فوحدها للاختصار إشارة ... إلى جملة تفصيلها لك مرتهن
تخولتها فى خلقه وخليقه ... فإن لم تكن أنت الخليق بها فمن
وما هى إلا كنية لك إرثها ... وإن مسها من غير أربابها الدرن
ولو أن فى تحريمها لى قدرة ... لما أصبحت فى غير بيتك تمتهن
ألست لها بعد الوصى وآله ... وأنتم أناس فيكم المجد قد قطن
ولكن هذا الدهر جار عليكم ... وبالغ حتى فى الكنى منكم فمن
يحادثكم عليا بكم كل حاسد ... [illegible] مرض من اجتيابه قد كمن
فيجرى بذى عاداتكم ضالة له ... على غير منسنح وأنتم على السنن

مناقبكم حتى بدت بيناته ودعواه أضغاث يراهن فى الوسن
لكم فى الثريا خطة وهو فى الثرى فيا بعدما من أن يلزهما قرن
وقد تستوى الأشخاص فى عين من رأى وتفترق الأعيان فى فهم من فطن
وبين وسيمات الوجوه تشابه فكن فاصلا بين التهيج والسمن
وإن جلدة الوجه الوسيم تغضنت فلا تحسبن تلك الغضون بها عكن
توقلتم فى كل هضبة سؤدد فأوفيت واستعليت منها على القنن
تقسم هذا الفضل بين طوائف وأقسامه مجموعة فيك تختزن
عدوا لك كالأبعاض إذ أنت كلهم كالا عجيبا مثله قط لم يكن
ترام إذا غابوا عن المنزل الذى تحل به كانوا حضوراً له إذن
وإن غبت عنهم ظاعناً بان فقرهم إلى الواحد الفذ الذى عنهم ظعن
وإما يباريك المبارى . بهيئة وزى وملبوس على جسمه حسن
فنى درعك الإنسان تمت صفاته وجمت مساليه وفى درعه الوثن
كتبت إلى ابن الموسوى رسالة بلا دخل يدنو إليها ولا دخن
بأنى مذ بايعتنى الود جاعل سوادى من قلب وعين له ثمن
فإن رمته من صادق غير ماذق فدونك صدرى مسكناً تحته بحن
إذا اغتربت منك الموالاة عند من ينافق فيها فهى عندى فى الوطن
صفت مثل ماتصفو المدام من القذى وطابت كما طابت من العنبر الدخن
ولم لا وأنت الماجد السيد الذى له منن لم تستطع حملها المنن
أفيك الردى ليس القلا عنك مقعدى ولكن دهانى بالزمانه دا الزمن
وغادرنى خلف المضاجع راهناً على خلة فى الحال والنفس والبدن
فإن تنأمنك الدار فالذكر ما نأى وإن بان منى الشخص فالفكر لم يبن
وإن طال عهد الإلتقاء فدونه عهود عليها من رعايتنا حتن

وأيسر حد يلزم التلزح الفتى   من الحق بسط العذر للدالف اليفن

وقال الشريف يجيبه عن هذه القصيدة . وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لايجىء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم برمه إلا مختلا [من البسيط] :

دع من دموعك بعد البين للدمن   غدا لدارهم واليوم للظعن
هل وقفة بلوى خبت مؤلفة   بين الخليطين من شام ومن يمن
عجنا على الربع أنضاء محرمة   أثقالها الشوق من باد ومكتمن
موسومة بالهوى تدرى بروئتها   أن المطايا مطايا مضمرى شجن
ثم انثنينا على يأس وقد شرقت   نواظر بمجارى دمعها الهتن
من مبلغ لى أبا إسحاق مألكة   عن حنو قلب سليم السر والعلن
جرى الوداد له منى ، وإن بعدت   منا العلائق ، مجرى الماء فى الغصن
لقد توامق قلبانا كأنهما   تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن
مسود قضب الأقلام نال بها   نيل المحمر أطراف القنا اللدن
إن لم تكن تورد الأرماح موردها   فما عدلت إلى الأقلام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد   كالقائل القولة الغراء عن لسن
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه   ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهرى على حنق   فزاد مالك فى غيظى على الزمن
أبت الكرى مؤنسا عينى ، وبعضهم   من القذى مانع عينى من الوسن
قد جاءت النفثة الغراء صامتة   ما يوثق النفس فى سر وفى علن
أنبطت من حسنها ماء بلا نضب   وحزت من نظمها درا بلا ثمن
فاقتد إليك أبا إسحاق قافية   قود الجواد بلا حبل ولا رسن
أنشدتها غدا سمعى عزائمه   إلى الصمير حداء الركب بالبدن

كانت تقاعس لوما كنت قائدها تقاعس البازل المجنوب فى شطن(١)
تستوقف الركب إن مرت معارضة يهدى عقيلتها العذراء من لمن

* * *

ذكر وفاة أبى إسحاق وما رثاه به الموسوى

توفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية ، فرثاه أبو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التى أفصح بها عن بعد شأوه فى الشعر ، وعلو محله فى كرم العهد ، وقد كتبتها كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقها ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من الكامل] :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى ؟
جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل دفنك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد
سدأ ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاد(٢)
لا ينفد الدمع الذى يبكى به إن القلوب له من الأمداد
كيف انمحى ذاك الجناب وعطلت تلك الفجاج وضل ذاك الهادى
طاحت بتلك المكرمات طوائح وعدت على ذاك الجلال عوادى
قالوا أطاع وقيد فى شطن الردى أيدى المنون ملكت أى قياد ! (٣)
من مصعب لو لم يقده إلهه نقضاه ما كان بالمنقاد
هذا أبو إسحاق يغلق رهنه هل ذائد أو مانع أو فادى(٤)

(١) الشطن : الحبل الطويل ، أو هو الحبل مطلقا .
(٢) الفت : الاضعاف والتوهين
(٣) القياد : حبل تقاد به .
(٤) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات

لو كنت تفدى لافتدتك فوارس مطروا بعارض كل يوم طراد
وإذا تألق بارق لوقيعة والخيل تفحص بالرجال بداد(١)
سلوا الدروع من العياب وأقبلوا يتحدثون على القنا المياد
لكن رماك بمن الشجعان عن إقدامهم ومضعضع الأنجاد
كالليث يهوى بالتراب ويعتلى غيظاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه مأوى الضلال ومربض الآساد
ألق الجران على عنطنط حبر فضى ومد يداً لآخر عاد
أعزز على بأن أراك وقد خلت من جانبيك مجالس العواد
أعزز على بأن أراك بمنزل متشابه الأمجاد والأوغاد
أعزز على بأن يفارق ناظرى لمعان ذاك الكوكب الوقاد
فى عصبة جنبوا إلى آجالهم والدهر يعجلهم عن الإرواد
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير أطناب ولا أعماد
ركب أناخوا لا يرجى منهم قصد لإتهام ولا إنجاد
كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة للدهر نازلة بكل مقاد
فتهافتوا عن رحل كل مذلل وتطاوحوا عن سرج كل جواد
بادون فى صور الجميع وإنهم متفردون تفرد الآحاد
بما يطول الهم أن أمامنا طول الطريق وقلة الأزواد
عمرى لقد أغمدت منك مهنداً فى التراب كان يعوق الأغماد
قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى لكن أراد الله غير مرادى
ولقد كفا طرف لرقاد ناظرى مذ أعقبت ظلاله لرقادى
كانت أرض لم لذلك ناب أنى وصلت معور البلاد

(١) بداد كقطام : دعوة المبارزة .

من للبلاغة والفصاحة إن همى ذاك الغمام وعب ذاك الوادى
من للملوك يحز فى أعناقها بظبا من القول البليغ حداد
من للممالك لا تزال تلمها بسداد ثغر ضائع وسداد
من للمحافل يستزل رماحها ويرد رعلتها بغير جلاد
من للمهارق تسترق قلوبها زلازل الإبراق والإرعاد
وصحائف فيها الأراقم كمن مرهوبة الإصـــدار والإيراد
تدمى طوابعها إذا استعرضتها من شدة التحذير والإيعاد
حمر على نظر العدو كأنها بدم تخط بهن لا بمداد
يقدمن إقدام الجيوش . وباطل أن ينهزمن هزائم الأجناد
فقر بها تمسى الملوك فقيرة أبدا إلى مبدا لها ومعاد
وتكون سوطاً للحرون إذا ونى وعنان عنق الجامح المتمادى
ترقى وتلدغ فى القلوب ، وإن تشا حط النجوم بها من الإبعاد
أما الدموع عليك غير بخيلة والقلب بالسلوان غير جواد
سودت ما بين الفضاء وناظرى وغسلت من عينى كل سواد
رى الخدود من المدامع شاهد أن القلوب من الغليل صوادى
ما كنت أحسب أن تضن بلفظة أتقوم بعدك لى مقام الزاد
ماذا الذى منع الفنيق هديره من بعد صولته على الأذواد
ماذاالذى حبس الجواد عن المدى من بعد سبقته إلى الآماد
ماذا الذى منع الهمام بوثبة وعدا على دمه وكان العادى
قل للنوائب عددى أيامه لغنى عن التعديد بالتعداد
حمال ألوية العلاء بنجدة كالسيف يعى عن مناط نجاد
ملصت أظلة كل فضل بعده وأمر مشربها على الوراد

فقضى لسانك إذ ذوت ثمراته　　أن لا دوام لنضرة الأعواد
وقضى جنانك مذ خبت وقداته　　أن لا بقاء لقدح كل زناد
بقيت أعيجان يضل تيمها　　ومضت هواد للرجال هوادى
يا ليت أنى ما اقتنيتك صاحبا　　كم قنية جلبت أسى لفؤادى
من لم يسف إلى التناسل نفسه　　كفى الأسى بتفاقد الأولاد
برد القلوب بمن تحب بقاءه　　مما يجر حرارة الأكباد
ليس الفجائع بالذخائر مثلها　　يا ماجد الأعيان والأفراد
ويقول من لم يدر كنهك إنهم　　نقصوا به عدداً من الأعداد
هيهات أدرج بين برديك الردى　　رجل الرجال وأوحد الآحاد
لا تطلبى يا نفس خلا بعده　　فلمثله أعيا على المقتاد
فقدت ملاءمة الشكول لفقده　　وبقيت بين تباين الأضداد
ما مطعم الدنيا بحلو بعده　　أبداً ولا ماء الحيا ببراد
الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن　　شرفى مناسبه ولا ميلادى
إن لا تكن من أسرتى وعشيرتى　　فلأنت أعلقهم يداً بودادى
أو لا تكن عالى الأصول فقد وفى　　عظم الجدود بسؤدد الأجداد
لا در درى إن مطلتك دمعة　　فى باطن متغيب أو بادى
إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن　　حياً إذاً ما كنت بالمزداد
ليس التفاوت بيننا بمعاود　　أبداً ولبس زماننا بمعاد
ضاقت على الأرض بعدك كلها　　وتركت أضيقها على بلادى
لك فى الحشا قبر وإن لم تأوه　　ومن الدموع روائح وغوادى
سلوا من الأبراد جسمك وانتقوا　　جسمى لبس ملابس الأحداد
كم من طويل العمر بعد وفاته　　بالذكر يصحب حاضراً أو بادى

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عود وبوادى
فاذهب كما ذهب الربيع وإثره باق بكل مهابط ونجاد
لا تبعدن وأين قربك بعدما إن المنايا غاية الإبعاد
صفح الثرى عن حر وجهك إنه مغرى بطى محاسن الأمجاد
وتماسكت تلك البنان فطالما عبث الردى بأنامل الأجواد
وسقاك فضلك إنه أروى حياً من رائح متعرض أو غادى
جدث على أن لا نبات بأرضه وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوما بقبره وهو بالجنينة من أرض كرعايا فقال [من الطويل] :

أيعلم قبر بالجنينة أننا أقمنا به ننعى الندى والمعاليا ؟
عطفنا فحيينا مساعيه إنها عظام المساعي لا العظام البواليا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه كما استوقف الروض الظباء الجوازيا
وما لاح ذاك الترب حتى تخيلت من الدمع أوشال ملأن المآقيا
نزلنا إليه عن ظهور جيادنا نكفكف بالأيدى الدموع الجواريا
ولما تحاهننا البكاء ولم نطق عن الوجد إلا عاعذرنا البواكيا
أقول لركب راغبين تعرجوا أريكم به فرعاً من المجد ذاويا
ألموا عليه عاقرين فإننا إذا لم نجد عقراً عقرنا القوافيا
وحطوا به رحل المكارم والعلا وكبوا الجمان عنده والمقاريا
فلو أنصفوا شقوا عليه ضمائراً وجزوا رقاباً بالظبا لا نواصيا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما نكون على سوم الغرام غواليا
ألا أيها القبر الذى ضم لحده قضيباً على هام النوائب ماضيا
هل ابن هلال منذ أودى كعهدنا هلالا على ضوء المطامع باقيا
وتلك البنان المورقات من الندى رواضب ماء أم رواق كما هيا ؟

فإن نيل من ذاك اللسان مضاؤه ... فإن به عضواً من الجسد باليا
مجيب الدواعي عائداً أو مدافعاً ... هنالك مرمٍ لا يجيب الداعيا(١)
وما كنت آبى طول لبث بقبره ... لو أنى إذا استعديته كان عاديا
صفائح تستسق الدموع رواشحا ... على جانبيها والغمام غواديا
ترى الكلم الغران من بعد موته ... نوافر عن رامين نوائيا
هو الخاضب الأقلام نال بها علا ... تقاصر عنها الخاضبون العواليا
مجيد ضراب باللسان لو انه ... يوم وغى فل الجراز اليمانيا
مرير القوى نال المعالى واثباً ... إذا غيره نال المعالى حابيا
مضى لم يمانع عنه قلب مشيع ... إذا هم لم يرجع عن الهم نائيا
ولا المسندوه بالأكف إلى الحشى ... على جزع والمفرشوه التراقيا
ولارد فى صدر المنون براحة ... يرد بها سمر القنا والمواضيا
خلا بعدك الوادى الذى كنت أنسه ... وأصبح معروه النوائب واديا
أرحت علينا ثلة الوجد ترتعى ... ضمائرنا أيامها والليـاليا
ولولاك كان الصبر منا سجيه ... تراثاً ورثناه الجدود الأواليا
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورة ... ومن ذا الذى يعدو بما ساء راضيا
وطاوعت من رام انتزاعك من يدى ... ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
طامنت كما يعر الخصف حابى ... وألقى على ظهرى وجر رماميا
ملأت بمحياك البلاد مساعياً ... ويملأ موتك البلاد مناعيا
كاعم عالى ذكرك الخلق كله ... كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كى أسلوك فازددت لوعه ... لأن المراثى لا تسد المراريا
وأعلم أن ليس البكاء نافع ... عليك ولكنى أسى لماميا

(١) أرم ماسكان . أقام ومكث

البـــــاب الرابع

فى ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق،وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين فى الآداب والكتابة،والبراعة والكفاية ، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً فى وزرائه ، وخواص ندمائه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده

وأنا أورد من غرر نثره التى تعرب عن أدب فضفاض،وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التى هى أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض ، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضدالدولة كلا كما لله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظراه فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى . إن الله لا يضيع أجر المحسنين

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذى أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد لك ذؤابته

وتوقل (١) في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستبقِ النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمير المؤمنين ، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ما أعد الله لأمير المؤمنين بطاعة وليه المنصور ، وصفيه المبرور . وعضد الدولة أيده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدنه ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن عنانه راحة الحمام [من الطويل] :

مضامير أعيت على من يرومها ... وكل مدى عن غايتيه قصير

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس . الانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهم الليل فادرعوه مقادين عزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم

ومن كتاب عنه في عود الطائع إلى بغداد والتقائه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقيه على الماء فامتثلناه وتقبلناه ، وتلقانا من عوائد كرمه . ونفحات شيمه ، والمخائل الواعدة بجميل آرائه ، وعواطف إنعامه . ورعاية ما كنفتنا به . وشايعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقلت منه بسليل النبوة وعميد الخلافة ، وسيد الأنام . والمستنزل بوجهه دَرّ الغمم

---

(١) توقل : صعد وعلا

فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسى أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته ، وأوسعنا من جميل لقياه ، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف فى النفس والعقب ، ويكفل من الفوز فى الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا فى الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، فى مواقع ألحاظه ، وموارد ألفاظه ، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا فى خدمته على الهيئة التى ألق شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يبتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لا مورد بعدها فى جلال ، ولا موقف وراءها لمذهب فى جمال . واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعا ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولا ، ونور الدين والدنيا مرقوبا

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاى بذكر الفتح الذى ألبسه الله جماله ، والنجح الذى قرب الله عليه مناله . والنعمة التى نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التى اضطربت بمالكيها فقرت لديه

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضا فى ذكر علة نالته من الحمى

ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدى مؤيد الدولة أيده الله تعالى ، بعقب دواء تناوله ، واتصال ذلك بعليلة أزعجته ، وحمى نابته . فتصرفت فى الأفكار ، وملكنى الإشفاق ، وخلص إلى قلبى من ألم ما عراه

وإلى نفسى من وجل ماشكاه — ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمة الصبر ، لولا أن المعهود فى مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ فى أكثر الأمر ، ثم تفضى عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه فى ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم ، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة فى ثروة العدد ، والبقية الحسنى فى الأخوة والولد ، ثم فى العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاد ، فى إخوان الصفاء الذين سدى أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائت سبق أفاضلهم

ومن كتاب فى ذكر أبى تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب ، ولفظته المهارب وأقلقته عن مجاثمه المكايد والكتائب ، تطوح إلى بلاد الشام ، ينقل بين مصارع ، يحسبها مراتع ، ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغى انتعاشاً والبغى طالبه

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من ألطاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً فى البر ، وافياً بالحق ، إلا أن سيدى يأبى إلا الإغراق فى اللطف قائلا وفاعلا ، لاأعدمه الله شيمه الفضل ، ولا أخلانى فيه من كرم العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر فى مخاطبة سيدى أن فلاناً ورد على ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لاستمرار العزائم فى قصد نواحى العراق ، لإعادة ما ضعف منها من ما [illegible] السياسة ، ومال فى حسانها من رواق [illegible] و [illegible] ضعف

المتن ، وانتكاث المرر ، وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدما بعون الله كتائب الرعب ، مستصحباً مفاتح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من أن صاب له ثغرة ، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه ، استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مبتاً ، فحسبتي ــ وقد تأملت عنوانه ــ مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاما لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي أعددتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألطاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها ، ويعرف عتقها في المنظر ، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا

ما أخرج من إخوانياته

كتب إلى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي ــ فيما أعانيه من تخيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته ، وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه ــ حال امرىء هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكرا

ويتلذذ تحيرا . ويناجي النفس تمثلا ، ويـ... ـلا . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبى السارة ، وأقول[من الطويل]:

أقول وقلبي في ذراك مخيم ... وجسمي جنيب للصبا والجنائب
يجاذب نحو الصاحب الشوق مقودي ... وقد جاذبتني عنه أيدي الشواذب(١)
سقى الله ذاك العهد عهدا من الحيا ... وتلك السجايا الغر غر السحائب
تذكرت أيامي بقربك والمنى ... يقابلني بالعز من كل جانب
وفي ربعك الدنيا تروق محاسناً ... وتفتر منك عن ثنايا مناقب
وقد لحظت عيناي من شخصك العلا ... ومن فرعك الفينان أعلى المناسب
ومن لفظك الدر المصون ، ومن حيا ... محياك ما لم تجره كف حاطب
وأخلاقك الغر التي لو تجسمت ... لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عبرة ... كما أسلمت عقدا أنامل كاعب
سلام على تلك المكارم والعلا ... تحية خل عن جنابك غائب
يكابد مالو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبلل لهاة لشارب
وإني وإن روعت بالبين شائم ... طوالع عتبي من طلاع العواقب
وما أنا بالناسي صنائعك التي ... كتبن على الرق ضربة لازب

ابتدأت أطال الله بقاء مولاي الصاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثرا ، فمال طبعي إلى النظم ، وأملى خاطري على يدي منه ما كتبت . ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض . وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني . واثقاً بما عنده لي . وأنا أسترعيه غيبه . وأستغطه عيبه . وكتبت كنت

(١) الشاذب : المتنحي عن وطنه

المن ، وانتكاث المـ... إلى حضرته من أول ... كر ما أودعه حر الفراق قلبي، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم صـ ... ى ، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة،وحرمة الوفادة والهجرةمن أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ، لاختلاف العادة علي ، ومولاي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ، فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل أحد عليها ، إن شاء الله تعالى

ومن كتاب له إليه :

قد كان ورد لمولانا الصاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتاب لو أن الليل يرمى بمثله لألقت يدا في حجرتيه ذكاء
تهادى بأبكار المعاني وعونها وأعيان لفظ ما لهن كفاء
شوارد لولا أنهن أوالف ضرائر إلا أنهن سواء
لبسنا بها نعمى وألبست الربا خمائل روض جادهن سماء
بنان ابن عباد تعلمن نوءه وما صوبه إلا حيا وحياء

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام لازالت أياديه قلائد الأعناق . ومرامه مضامير السباق ولا انفكت عين الله حامية له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وصف مولانا على ما كتبت به معرضا بخدمته . ومجلياً عن نيته . فصدقه وحققه . وقال أدام الله سلطانه . إن لسان أثره في المصاحف كلسان قلمه .

يتجاريان كفرسى رهان . وناهيك بالأول اشتهارا ووضوحا . وبالثانى غررا وحجولا . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، ونتنجز عدات الفضل عنه . وحسبنا ما أفادتناه التجارب فيه كافلا بالسعادة ، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليدا وناشئا . وشمائله صغيرا ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن إيقانا ، والضمان عيانا . والتقدير بيانا ، والاستدلال برهانا . ونرجو أن الله يحسن الإمتاع به . والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأمانى فيه

ومن كتاب

وقفت على الأبيات التى أتحفنى بها سيدى ، وتكلفت جوابها . على ظلع فى خاطرى لطول السفار ، واتصال حالى بالحل والترحال ، ومولاى يأخذ العفو ويرضى بالميسور . ويعذر مسامحا على القصور فى جواب ما يأتينى من أمثاله ما دمنا فى ملك الهواجر وتعب البكر والأصائل

ومن كتاب له إلى الصاحب فى فتح عمان وإبادة الزوج بها وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم :

وكانت لأولئك الكفرة عادة شهرت منهم فى استباحة الناس وأكل لحومهم، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يسمون بينهم [illegible] الناس . وسأل مولاى عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شىء فى الإنسان ألذ من كبده ولسانه . وكان فى ذلك اليوم الذى شارف فيه طلائع العسكر المنصور [illegible] من [illegible] من أولئك الكلاب [illegible] وتعجب الناس من [illegible]

من عيثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة . وتمت نعمة الله على مولانا فى هذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغير بقدر الفرس ، ما عهد ألطف ولا أظرف منه ، وفى الغنائم كل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، والله تعالى يجنى مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين

ومن كتاب له إلى ذى الكفايتين أبى الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده فى تراخى ما كان مستشرفا من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله فى مساورة الإشفاق . ومسامرة الأفكار . إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا فى سلامتها من وقدة تلك الهواجر، ووعورة تلك المسالك . وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته . وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته . فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جمة تقربها العيون ، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرخ حال الاستقرار . واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه ، من غير فكر فى عوادى الأسفار . وعواقب الحل والترحال . إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه فى المسير . ومناصبة الهجير . وأنا الآن أعود لعادتى فى خدمته ، واستمرار عهدى من رأيه بمواصلة حضرته

ومن كتاب له إلى أبى إسحاق الصابى :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة . وتلتق طرف الخطابة . وتتراءى أشخاص البيان، وتتمايل أعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظا جليا ، حوى معنى خفيا . وكلاما قريبا، رمى غرضا بعيدا . وفصولا متباينة . كساها الائتلاف صور

المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صبغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت الدلالة الأول منها على الثانى ، وتعلق العجز بالمبادى ، فهى أولاد أرحام مبرورة ، وذوات قربى موصولة ، تتعاطف عيونها ، وتتناصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدى بكلام شرف فى نفسه ، وكرم فى جنسه ، فهو جوهر الفضل والألفاظ أعراض ، وعنصر الأدب والمعانى أغراض . وفهمته فهم من قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم . واكتنفه العجز فسلم وسلم ، وأعيته العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز . واعترف بالقصور عن مفترض الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاى بما قرب إلى جناه ، وبعد على مداه . من محاسن لفظه ونظمه ، وثماره التى ما زال يؤثرنى فيها بالرغائب . ويصفينى منها بالعقائل . فوقفت منه بين اعتبار واقتباس . واعتذار واغتباط . واستبصار فى موضع الفضيلة . وشكر لما جمع الله لى فى وده من المنح الجزيلة . ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام فى انحرافها ومكاره أحداثها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه . واستعديت عليها لاستعدائه . وشايعت المهجنين لآثارها . والزارين على أحكامها ، لإعراضها دون آماله . وقدحها فى أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر أناخ على مولاى بصرفه . واختزله دون واجب حقه . وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت أعملت فيها خاطراً قدمته السفر . وكده الحل والترحل ، وعلى مولاى المعول فى ضم نشره ، وتسديد خلته . وحفظ غيبي فيه من الطويل :

وفيت أبا إسحاق من حافظ عهده   وراع لمن يتى فرقته ودا

ومنفرد بالمكرمات تألقت ... عليه المعالي فاستقل بها مجدا
بلوت أخلاء الزمان وكلهم ... سواء فلا ذما منحت ولا حمدا
ومن يبغ صفو الود من كل صاحب ... يكن صبحه ليلا ومسعاته كدا
سواك أبا إسحاق إنك والندى ... لأوفاهم عهدا وأصفاهم عقدا
وأبعدهم في كل مكرمة مدى ... وأنظمهم في جيد مأثرة عقدا
تلاقت بنا الآداب في خير منسب ... عليه تساقينا على ظمإ بردا
وألفن أرواح الصناعة بيننا ... فنحن معاً والدار نازحة جدا
ضلالا لدهر أنت من حسناته ... ولما تكن في نيل إحسانه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه ... لسيان من أجدى عليه ومن أكدى
يميل على ذى الفضل للجهل ضلة ... يجرعه سما ويسدى له شهدا
على أنه سلم لمن حل بالحمى ... حمى الملك المدعو للدولة العضدا

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها من البسيط :

ما للنوى وقفت دمعي على الطلل ... واستودعتني مطايا الحل والرحل
نرى بطرفك في أطرافها فترى ... ما في الضمائر من غش ومن دغل (١)
أرتنا النقص في رأي الأولى وضعوا ... كرمان من حول عنها ومن فشل
بماتها الوشل مع تمرها الدقل ... ونصبا النصل وأهلها الهمل (٢)
وكم تركت بها لناس من مثل ... وكم صدت على الأنصاب من مثل
يفدي مقامك عبه الخلق قاطبة ... ونحن نفديك بالأرواح والمقل

---

(١) الدغل : الإفساد

(٢) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر ، والبيت ليس بشيء

وليس يثبت فى فرع العلا قدم   إلا إذا ثبتت فى موضع الزلل
خلائق هذبتهن العلا فغدت   بين الخلائق كالإسلام فى الملل
اسعد بوافد نيروز تقابله   باليمن والعز والتأييد والجذل
واستأنف العيش مسرورا بجدته   فى ظل عز مدى الأيام متصل

ومن قصيدة قال فى آخرها [من الوافر] :

وهاك تهز عطفيها اختيالا   وتعجب كل مستمع ثناكا
تسير بها الرواة بكل أرض   وتطرب من أحبك أو قلاكا
نظيرة تربها لفظاً ومعنى   فدى لك من يقصر عن مداكا
وكل الشعر زور ما خلاه   وكل الناس زور ما خلاكا

ومن أخرى فيه [من البسيط] :

الله أكبر والإسلام قد سلما   وعاد شمل العلا والمجد ملتئما
وظل ملك بنى العباس محتلياً   لما غدا بحماة الحق مدعما
آل بويه أعلى الله رايته   وشد من عضده ما كان منفصما
سادوا الملوك وشادوا المجد وابتدروا   إلى ذرى أمد نال السهى شمما
هم قلادة عز أنت واسطة   فيها ، وكل بما قد قلته علما

ومنها فى وصف السيوف [من البسيط] :

بيض صوافح بالأيدى مقابضها   وحدها صافح للعدو والقمم
ضحكن من خلل الأغماد مصلتة   حتى إذا خضبت ضربا بكين دما
حنت خراسان شوقا إذ حننت لها   حتى [illegible] [illegible] [illegible]
واهتز منبرها يهفو إليك . ولو   أطاق لاحترث القعدان والأكم
رفعت رايتك اللاتى خفقن على   [illegible] على [illegible] [illegible]
لا [illegible] [illegible] [illegible] أقصت [illegible]   [illegible] وأحمت [illegible] [illegible]

سامتك أبناء سامان فما بلغوا مدى من العز لم ترفع له علما
وناضلوك عن العليا فكنت بها أولى وأثبت منهم فى العلا قدما
وصاولوك فكانوا فى الوغى نقدا يأبى الصيال وكنت البازل القطما(١)

ومن عضدية فى وصف مجلس [من الطويل] :

فيا مجلسا عز الخلافة محدق بأقطاره والند والنور والخمر
وقد أرجت أرجاؤه وتعطرت بساطع نشر ما يقاس به نشر
وفتح فيه النرجس الغض أعيناً محاجرها بيض وأحداقها صفر
كأن الشموع المشعلات خلاله تواكل عبرى ما ينهنها الزجر
إذا قطعت منها الرءوس تضاحكت وكان على قطع الرءوس لها بشر
ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظر فهذا هو الفأل المحقق لا الزجر

وقال من سدقية [من المنسرح] :

مالى لمابى من الهوى رمق كأنما سد دونى الطرق
كأن نار الأمير ساطعة من نار ليلى استعارها السدق(٢)
فى ليلة باتت النجوم بها حائرة تمتحى وتمتحق
واخترط الليل فى النهار فما يؤنس إلا الصباح والشفق
بكل منشورة ذوائبها محمرة من شواظها الأفق(٣)

وقال فى السكر المنى بشيراز ، ويروى لغيره [من الهزج] :

شربنا ذهباً يجرى نتعاطى فضة تجرى

(١) الصيال : المواثبة والقتال ، والبازل : الجمل فى سنته التاسعة . والقطم : المشتهي للضراب
(٢) السدق : ليلة الوقود .
(٣) الشواظ : لهب لا دخان معه .

وما زلنا على السكر   نداوى السكر بالسكر(١)
درينا كيف أصبحنا   وأمسينا وما ندرى
وفاض الماء فيض البحـر   منصباً إلى بحر
كبحدوى عضد الدو   لة فى نائله الغمر

* * *

أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازى

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة الديلمية ، يكتب لمعز الدولة أبى الحسين برسم المطيع لله ، وينصرف بالعراق فى جلائل الأعمال ، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال . وكان آخذا بطرف النظم والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضى التنوخى من الكامل :

شوقى إلى القاضى المنيف بمجده   شوق يفوت الوصف أيسر حده
وبحسب فرط الأنس كان بقربه   قلقى لما قد ساءنى من بعده
ولو أننى مما أحب ممكن   لم أعد إغذاذا أسير لقصده
ووصلت آصال السرى بغدوها   ووريت إرقال المطى بوخده(٢)
ولئن عدمت سعادتى بلقائه   فلقد أقمت على رعاية عهده
وشكرت سالف بره وأشعت محـ   كم وده ووصفت راجح حمده
وعلمت أنى إن طلبت مشاكلا   لعلاه لم تظفر يداى بنده
فقصرت إخلاصى عليه تمسكا   بإخائه حتى يفلح سعده
من ذا يقاس إليه فى آدابه   أو علمه أو هزله أو جده
والمكرمات أسيرها فى حربه   والصالحات جميعها من عنده

(١) السكر – بالكسر – سد من شجر وحجارة .
(٢) الإرقال والوخد ضربان من سير الإبل . والمطى : جمع مطية ، وهى الدابة .

بجميل شاهده وسالم غيبه   وكريم صحبته وخالص وده
أفديه من حر حليف مناقب   لولا تكامل فضله لم أفده
لم تجر أمجاد الرجال إلى مدى   للسبق إلا حاز نيل أمده
وكأن أضواء المحاسن كلها   مقدوحة نيرانها من زنده
فالله يبقيه ويرغـد عيشه   ويعزه ويعيذنا من فقده

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل]:

روحي فداؤك والورى من بعده   جردت سيف صبابتي من غمده
عين الإمام وكفه اليمنى وحـد حسامه الماضي ووسطى عقده
كلف ببذل المال يحسب غنمه   في عزمه ونموه في حصده
كالغيث في إحسانه والصبح في   أضوائه والبدر ليلة سعده
وجه يجول البشر فيه برونق   ماء السماح يفيض من إفرنده(١)
منتقب بحيائه فكأنما   شق الربيع شقيقه في خده
ومقابل من فارس في دوحه   أوفت على ضحطانه ومعده
هو شد من أزر المكارم والعلا   حدثاً ولم يبلغ أوان أشده
يعديه من نوب الزمان معاشر   أحرارهم لا يلحقون بعبده
أبدت مقابحهم محاسن فضله   والضد تظهر حسنه في ضده
ما كنت أعرف قدر ما خولته   حتى بليت بعرنه من بعده
جاءت ألوكته إلى كأنها   وصل الحبيب اعتضته من صده(٢)
ففتحت حين فتحتها عن روضه   متفتح حوذانها في ورده(٣)

(١) الافرند والفرند سواء ، وهما ماء السيف ورونقه
(٢) الألوكة : الرسالة
(٣) الحوذان : نبات

فقرأتها عوداً على بدء كما   عاد المولى في قراءة عهده
يا جنـــة الخلد التي أنا نازل   ما بين كوثرها وطوبى خلده
لو أستطيع ركبت متن الريح أو   أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه   فبجده يسعى الفتى لا كده

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت [من المنسرح]:

خرجت من عندكم فأدركني   سحابة ذات منظر صلف
غمامة كالنعامة انتلفت   فوق رؤوس المشاة في السدف
ما لها كف من يزاولها   تقول للمرء ويك لا تقف
تختطف الأرض وقع صيبها   مثل اختطاف المخالب النقف
فوقه والكساء يدفعه   وقع سهام الأتراك في الهدف
كأنما كل قطرة وقعت   عليه در بدا من الصدف
لو أن ما دار منه يحصد لم   يصلح لغير العقود والشنف
فيها من الرعد كالدنادن والـ   ـصنج إذا ما ضرب في سرف
واشتعل البرق في جوانبها   مثل السيوف انتضين من غلف
قد جمعت حالتين في طلق   صوت عذول ودمع ذي لهف
لو كان لي لسان ذي نظر   وصفه واحتشدت لم أصف

وكتب إلى الصاحب يشكو إليه علة النقرس وعلو السن. فقال [من المتقارب]:

إلى الله أشكو ضنى مسني   وكلفة مرضى قد دهاني
وضعفاً أناخ ثقالاً بي   أحاط [illegible] حتى [illegible] يداني
تراني وقد كنت ذا [illegible]   [illegible] حتى [illegible]

أقطع آناءه بالأنين وأرقب للصبح وقت الأذان
أنقل فى موضع موضع لحيث حللت نبا بى مكانى
أؤمل روحاً فيأتى النهار بأضعاف ما بت فيه أعانى
أقول أقيل فلا أستطيع من ألم ملحف غير وانى
فمن ليلة أرونانية ويوم بما ساءنى أرونانى
أرجى تقضى ما أشتكيه من مرض بتقضى الزمان
وإنى قد جزت حد الكهول وناهزت ما عمر الوالدان
وجرمت ستين شمسية فسدت على طريق الأمانى
وأوهت عراى، وهدت قواى، وليس لما يهدم الدهر بانى
وإن كان لا يهتدى صرفه إلى أجل منسيا غير دانى
وكنت على ثقة أنه إذا شاء أبرأنى من برانى
قيامى له الخلق والأمر من بعافية منك تشفى ضمانى
وجدلى نأى أجل أو دنا بعفو وسعت به كل جانى
وحبى لأحمد والمصطفين من آله أهل بيت الجنان
هم عدتى وبهم أتقى الـ عقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيبا من المتقارب :

عنانى من الهم ما قد عنانى فأعطيت صرف الليالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع فعيناى عينان نضاختان
لسقم ألح على سيد به قد غفرت ذنوب الزمان
أحاط برجليه جورا عليه وأنى ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال وأرض بساطهما النيران
وهلا تجاوزه قاصدا إلى عصبة عصبت بالهوان

إذا ما سعى لطلاب العلا فكل أوان هم فى توان
وسوف توافيه كف الشفاء بما أنشأت باسمه من أمان
وتفقأ فيه عيون الزمان عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه وقد قصروا عنه ألفى قران
أتتنى بالأمس أبياته تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب وظل الأمان ونيل الأمانى
وعهد الصبى ونسيم الصبا وصفو الدنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسمت لكانت عقود نحور الغوانى
فياليت عمرى فى عمره يزاد ولو أنه حقبتان
فيامهجة قدمت دونه بغانيه عند ذكر الغوانى
أجيب عن الشعر مسترسلا بطبع شجاع وقلب جبان
فلولا سكونى إلى فضله قبضت بنانى بقبضى لسانى

* * *

أبو القاسم على بن القاسم القاشانى

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين فى البراعة ، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين فى هضاب المجد ، المترقلين فى درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو غرة العقل ، وعين القول الفصل

فصل — كتابى أطال الله بقاء مولاى وأنا متردد بين جذل لتجدد بره فى خطابه ، وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خليت عنان أنسى فى رياض ساره ، هزتنى جاذبيته لاعج الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بى صادقا لا اعترفت ، ولعدت منه بعفوى كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم ، ولا يتعاظمه الصفح عن الجرائر .

فصل ـ عاقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتنف المخايل ، متجدد الفضائل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته ، فقد عرضني للتكشف . وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل

فصل ـ أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران بمحل أخطأه النوء ، وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل ـ وصل كتاب مولاي [من الطويل] :

فكم فرحة أدى وكم غلة جلا وكم بهجة أولى وكم غمـــة سلى

وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفيسة ، ويديم حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل] :

فينجح ذو فضل ويكمد ناقص ويبهج ذو ود ويكمد حاسد

فصل ـ وما أرتضي نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منق الشواغل ، فارغ الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الإسار ، سليم الأفكار . فكيف بي مع كلال الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة . والمعول على النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع إلى العقيدة ، وهي بالولاء المحض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال ، كما لا مجال للعذر وراء هذا الخلال

فصل — مراتع أهل الفضل موبئة ، ووجوه مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة ، إلا فى محل الشيخ الخصيب ، وفنائه المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة ، وأعنة الوراد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة ، والمنهل العذب كثير الزحام .

فصل — إن كان أوداؤه فى فضله مستهمين ، وأولياؤه فى إحسانه فوضى مشتركين . فلى بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه . لا أسبق إلى جمامها ، ولا أنازع ثنى زمامها . فعلى حسب ذلك تصرفى وتجملى من أقسام مايحدث عنده ويعرض له . هذا . وقد بلغنى من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعبادة ، وإطالته عنده الإقامة ومعه المفاوضة . ماأمكن فى نفسى ، وقوى ثقتى وأنسى . فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الربة فالله الذى قرن لمولاى تيسير ماقد قاسى عظيم المجد الذى لايوازى . وعميم الفخر الذى لايسامى ، ودل بقليل مامسه على كثير ماوعدت بباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل — قد كان منزله مألف الأضياف . ومأنس الأشراف . ومنتجع الركب . ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة . وبالنضارة غبرة . وبالضياء ظلمة . واعتاض من تزاحم المواكب تلازم المآتم . ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى الصاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح] :

إذا الغيوم ارجحن باسقها وحث أرجاءها بوارقها
وعبئت للثرى كتائبها وانتضيت وسط عقائقها
وحلحل الرعد متنها فحكى حنين صوت أتى حقائقها

وابتسمت فرحة لوامعها ... واختلفت عبرة حمالقها(١)
وقيل طوبى لبلدة تتجت ... بحق أكنافها فوارقها(٢)
أية نعماء لاتحل بها ... وأى بأساء لاتفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم الـ ... قرم وزير الأيام وادقها
تحكى سجاياه هزة وندى ... وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محملة ... أنفاس طيب أمست تعانقها
فى روضة لا النعيم سابقها ... ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها ... وزان ريحانها شقائقها
هبت رخاء مريضة فشفت ... مرضى وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبد ... تدمى وعين تجرى سوابقها
إنى وإن غالب الهوى جلدى ... صبراً لصادى الأحشاء خافقها
ذكرى لأيامنا التى غفلت ... عنها العوادى ونام رامقها
إذ النوى لاتروعنا وإذ الـ ... أيام مأمونة بوائقها
والله لو أن ما أكابده ... بهضب رضوى خرت شواهقها

هذه أطال الله بقاء مولاى نتائج أريحية . أثارها مخاطبات مولاى التى هى أنقع لغلتى من برد الشراب ، وأعذب إلى من برد الشباب . فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته . وأسكنه ظل أمانه وذمته . ليسبل عليه ستر مودته وبتأمل بعين محبته . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إلى ، بما أسعفنى به من إقبال مولاى على . وتتابع بره فى مخاطباته لدى . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور . وكل جناية بهذا الإحسان مغمور .

(١) الحمالق : العيون .

(٢) الفوارق : جمع فارقة ، وهى الناقة تأخذها المخاض .

فأجاب الصاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من البسيط] :

بدت عذارى مدت سرادقها ... وأقسم الحسن لا يفارقها
كواعب أخرست دمالجها ... عنا وقد أنطقت مناطقها
خراعب حفها وصائفها ... تمشى بأبدانها قراطقها(١)
صينت عن العطر أن يطيبها ... إلا الذى حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها ... ومابنى قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا ... وشق عن أرضها شقائقها
وأعشت الناظرين حليتها ... وشاق أحداقهم حدائقها
أم أشرقت قفرة بدائعها ... حديقة زانها طرائقها(٢)
أتى بها بالكمال ناسجها ... وزانها بالجمال ناسقها
لله حلف العلا أبو حسن ... وقد جرت للعلا سوابقها
لحاز خصل الرهان عن كثب ... وفرجت عنده مضايقها
لله تلك الألفاظ حاملة ... غر معان تمي دقائقها
يكاد إعجازها يشككها ... فى سور أنها توافقها
أهدى سلاماً حكى السلامةمن ... أسقام سوء يخاف طارقها
كأنه دارنا ولم يرها ... ناعبها للنوى وناعقها
كأنها غفلة الرقيب وقد ... مكنت من نظرة أسارقها
أهديت منه مالو تحمله ال ... أيام لم يستقل عاتقها
تعدو به صبوة ركائبها ... راتكة لا يميل سائقها(٣)

---

(١) الخرعبة : الحسناء فى بياض وحسن وغضاضة . والقراطق : ضرب من الثياب (٢) القفرة : نبات
(٣) رتك البعير : قارب بين الخطو

خذها وقد أحصدت وثائقها ... وألحقت بالسهى شواهقها
ناشدتك الله حين تنشدها ... وخلة لا يخيل صادقها
إلا تعمدت رفع رايتها ... ليملأ الخافقين خافقها
نعم وعش فى النعيم ما طلعت ... شمس نهار وذر شارقها

هذه أطال الله بقاء مولاى أبيات علقتها والروية لم تحلقها ، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتنقها ، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها . بل علماً بأنى وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف أن يتقصاها . والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعى منها ما أرانى العجز يخطر بين أفكارى ، والقصور يتبختر بين إقبالى وإدبارى . إلى أن فكرت أن فضيلة المولى يشتمل عبده ويخيم ، وإن تصرفت عنده . فثاب إلى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجودا رجوت أن يحظى بطائل القبول ، وأن ينبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول . هذا ولا عار على من سبقه ساق الزمان . المستولى على قصب الرهان

* * *

ومن مشهور شعر على بن القاسم وجيده قوله [من الطويل] :

وإنى وإن قصرت عن غير بغضة ... لراع لأسباب المودة حافظ
وما زال يدعونى إلى الصد ما أرى ... وآبى فتثنينى إليك الحفائظ
وأنتظر العقبى وأغضى على القذى ... ألاين طوراً فى الهوى وأغالظ
وأستمطر الإقبال بالود منكم ... وأصبر حتى أوجعتنى المغايظ
وجربت ما يسلى المحب عن الهوى ... وأقصرت والتجريب للمرء واعظ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب: إن أردت فإني سبحة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتك، أو اقترحت فإني مدرعة راهب، أو آثرت فإني نخبة شارب. وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه، وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد، حتى أعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته، وكان المهلبي الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً، ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته، وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره، وتسير أشعاره، ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيم، في نهاية الملاحة واللباقة، وكان يؤثره على سائر غلمانه، ويختصه بتقريبه واستخدامه فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل]:

هل على من لامه مدغم [illegible] الشعر في ميم نسيم

موقع نكتته. نعم، ولم لا؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة، وهم [illegible] وابن معروف، والقاضي التنوخي [illegible] وما منهم إلا أبيض

اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبي . فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار ، للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش . ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءاً شراباً قطربلياً أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم . وعليهم المصبغات ومخانق البرم(١) والمنثور . ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم عنى السري بقوله [من المنسرح] :

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته شيب فلان ضرجت بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ماهو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعته بصدود وفراق ما كان فيه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العيـ ـن وتأبى حديثه الأسماع
وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع
مشرقات كأنهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمة وشي وكأن الجوزاء فيها شراع
كان ليلا قصيرته نهاراً كتب سكبت العدى ورقاع

(١) البرم : نوع من الثياب .

وقوله [من السريع] :

كأنما المريخ والمشترى   قدامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة   قد أسرجوا قدامه شمعه

وقوله (وعهدى بأبى بكر الخوارزمى يستظرفه) [من الرجز] :

وجاء لاجاء الدجى كأنه   من طلعة الواثق ووجه المرتقب
وفصل الظلام بالضياء ما   يفعله الحرف بأبناء الأدب

وقوله [من الطويل] :

كأن النجوم الزهر فى غلس الدجى   سنا أوجه العافين فى سنة الرد
وقد أبطأت خيل الصباح كأنها   بخيل تباطا حين سيل عن الرفد

وقوله أيضا [من الطويل] :

وليلة مشتاق كأن نجومها   قد اغتصبت عين الكرى وهى نوم
كأن عيون الساهرين لطولها   إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك   يلوح ويخفى أسود يتبسم

وقال فى غور الكواكب عند الصباح [من البسيط] :

عهدى بها وضياء الصبح يطلبها   كالسرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهى نيرة   فظل يطمس منها النور بالنور

وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات [من مجزوء الرمل] :

بات يسقيني ويشرب   ذهبا فيه مذهب
شادن يحمل ماء   فيه نار تتلهب
وردة ضاحكة عن   أقحوان حين نقطب
لو أدرناها على ميت   لكان الميت يطرب
ليت شعرى أسرور   [illegible]

صب فى الكاسات منها كالشهاب المتصوب
فرأيت الراح شرقا ورأيت الهم مغرب
غصن فوق كثيب ونهار تحت غيهب
لك منه مطرب يرضيك إن شئت ومغضب
حسنة عذبت فيها بتجنٍّ وتجنب
هل رأيتم أحدا قبلى بالجنة عذب ؟
بأبى أنت وأمى من بعيد حين تقرب
لى قلب كيف ما قلبه الله تقلب
وجفون يغضب الغمض عليها حين يغضب
رب ليل كتجنيك مقيم ليس يذهب
قد قطعناه بحزم كالحريق المتلهب
وكأن البرق لما لاح فيه يتنصب
كاتب من فوق درع السحب بالعقيان يكتب
وكأن الرعد حاد أو مناد أو مثوب
ونجوم الليل وهى كلالٌ لم تقب
وبدا البدر كسيف فى يد الجوزاء مذهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك فى قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن وماء ولكنه غير جارى
إذا ما تأملتها وهى فيه تأملت نورا محيطا بنار
وما كان فى الحق أن يجمعا لبعد التدانى وفرط النفار
ولكن تعاسر معناهما الـ ـسسطان فاتفقا فى الجوار

كأن المــــدير لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسمين له فرد كم من الجلنار

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل]

لم أنس دجلة والدجى مصوب والبدر في أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] .

ورياض حاكت لهن الثريا حللا كان غزلها للرعود
نثر الغيث در دمع عليها فتحلت بمثل در العقود
أقحوان معانق لشقيق كثغور تعض ورد الخدود
وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين بدى طلة الصدغ في خدود الغيد
وكأن الندى عليها دموع في خدود مجموعه بعقيد

وقال في البرد [من البسيط

وليلة ترك البرد البلاد بها كقلب أسمر نسياً وهو متلوج
فإن بسطت يداً لم تنبسط حصر وإن تقل فقل لي فيه تبليج
فيحمه ولا نحرس دووحرس وعن مسه ولا علج معالج

وقال فيه أيضاً [من البسيط]

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلق
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبه قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا
فهيصر سار بي خمر كأسها في لون خدود وصف قد عقد
حسب وعن كأنه نصب حين بلا رد فصر كقلب عصب اذ عشق

وقال من قصيدة كثيرة العيون . وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره . ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحبب إلى بنهر معقل الذى فيه لقلبي من همومى معقل
عذب إذا ما عب فيه ناهل فكأنه فى ريق حب ينهل
متسلسل وكأنه لصفائه دمع بخدى كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه فكأنه درع جلاها صيقل
وكأن دجلة إذ يغطمط موجها ملك يعظم خيفة ويبجل
وكأنها ياقوتة أو أعين زرق تلاتم بينها وتوصل
عذبت فما تدرى أماء ماؤها عند المذاقة أم رحيق سلسل
ولها بمد بعد جزر ذاهب جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل فى نهرها آلى السرو ر بأنه فى غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس والروض فيه حلى خود ترفل
غنت قيان الطير فى أرجائها هزجا يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يوم الوداع وعيرهم تترحل
ربع الربيع به فحاكت كفه حللا بها عقد الهموم تحلل
فدبج وموشح ومدنر وممهد ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عيناً وذا ثغرا ودا خدا بعض مرة ويقبل

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحاب أتى كالأمن بعد مخوف له فى الثرى فعل الشفاء بمدنف
أكب على الآفاق إكباب مطرق بفكر أو كالنادم المتلهف
ومد جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالغراب المرفرف

غدا البرعرآ زاخرآ وانثنى الضحى بظلمته في ثوب ليل مسجف
يعبس عن برق به متبسم عبوس بخيل في تبسم معنف
يحاول منه الشمس في الجو مخرجا كما حاول المغلوب تجريد مرهف

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر] :

تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يريد نكاح بكر

رجع :

فأترع ماء قال وارد حوضه أسلسال ماء أم سلافة قرقف[1]
أتى رحمة للناس غيرى فإنه على عذاب ماله من تكشف
سحاب عداني عن سحاب وعارض منعت به من عارض متكفكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو من الخفيف :

لست أدرى ماذا أذم وأشكو من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تيك بالثكـــل وأدعو لهـــذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل] :

أتت رقعة القاضي الجليل فكشفت وساوس محزون الفؤاد ملهف
فأهدت نظامـاً من قريض كأنه نظام لآل أو كوشي مفوف
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما تكامل في مهديه كل التظرف
حوى منتهى الحسنى بأول خاطر يكلفه في الشعر ترك التكلف

وقال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل] :

وقصيدة ألفاظهـا في النظم كالدر النثير
جاءت إلى كأنها توفيق في كل الأمور
أرق من شكوى وأحســـن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأصــــبح وهو ذو طرف بصير

---

١ القرقف : ... من ... احمر

فكأنها أمل تحقق بعد يأس في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنام لساهر أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنف أو كالغنى عند الفقير
وكأنما هي من وصا ل أو شباب أو نشور
لفظ كأسر معاند أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور[1]
ورد الخدود إذا انتقلت به على در الثغور
غرر غدت وكأنها من طلعة القلب الذرير
من كل معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبر كالنوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا صل أو كإعتاب الدهور
أهديتها بالخير من يختار في كرم وخير

وقال في وصف كتاب [من مجزوء الكامل] :

وافى كتابك مثلما وافى لمفقود بشير
وكأنه الإقبال جا ء أو الشفاء أو النشور
وكأنه شرخ الشبا ب وعيشه الغض النضير
وافى وعير الليل وا قفة الركائب لا تسير
فأضاء لي من كل فـ ـج منه فجر مستنير
وارتد طرف الدهر عني وهو مطروف حسير
ورأيت أفلاك السرو ر بكل ما أهوى تدور

(١) المهارق : جمع مهرق — بزنة اسم المفعول — وهي الصحيفة

وفضضته فكأنه ... أثواب وشي أو حبير
خط وقرطاس كأنهما السوالف والثغور
وكأنه ليل يلو ح خلاله صبح منير
ما بين خط كالحيا ة إذا استتب لها السرور
وبدائع تدع القلو ب تكاد من طرب تطير
في كل معنى للنهى يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك لنائله من بعد ما يأس أسير
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلطان وما أرسى ثبير(١)

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل]

أسير وقلبي في هواك أسير ... وحادي ركابي لوعة وزفير
ولي أدمع غزر تفيض كأنها ... جداول في العافين منك غزير
وطرف طريف بالسهاد كأنه ... ~~خلالك وحيتي الجود فيه نضير~~
رياضكم خضر يرف نباتها ... ووردكم رطب السحاب مطير
وجوه كأ كاد المحبين رده ... وتسكنها يوم الهياج صحور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل]:

كتبت ولي بالسهاد نهار ... وصدري لوراد الهموم مصادر
ولي أدمع غزر تفيض كأنها ... سحائب فاضت من يديك غزار
ولا أمل الدمع منه إذا جرى ... [illegible] منه في المدامع [illegible]
رحلت وزادي لوعة ومصيبتي ... حوائج من حر الفراق حرار
[illegible]

(١) [illegible]

إذا رمت أن أنسى الأسى ذكرت به ديار لها بين العلوتين ديار
لك الخير عن غير اختيارى ترحلى وهل لى على صرف الزمان خيار
وغدا كتابى والجفون كأنما تحكم فى أشفارهن شفار

الغزل من شعره

قال [من الكامل] :

حور بعينيه أطال تحيرى ترك الدموع كخده المتعصفر
غصن تأود فوق دعص من نقا ليل تبلج عن نهار مسفر
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكة متبسم عن جوهر
وأطال من ليلى وقصر ليله أنى سهرت وأنه لم يسهر

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبى وجهك لو أشـــبهه منك الصنيع
أنت بدر ماله فى فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضابك شهد لا يليه مشيب وسخطك داء ليس منه طبيب
كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقال فى أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جرم حازه الفلك
من أين أستر وجدى وهو منهتك ما للمتيم فى فتك الهوى درك

وقال فيه [من الوافر] :

نسيت نحافة الغصن النحيف ودنت سوى ذماء فى صحيف
بحورى المحاسن والمعانى وإنسى المخايل والأليف
له فى كل عضو دعص رمل ثقيل الجسم ذو روح خفيف

أأعشق لاعشقت أخا نحول ... سوى أنى أخو الخلق الظريف
إذا لمسته كفى لم تلامس ... سوى جلد على عظم نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده فى ديوانه من السريع :

قلت لأصحابى وقد مربى ... منتقباً بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادى قفوا ... كى تبصروا كيف تزول النعم

* * *

ابنه أبو على المحسن ابن القاضى [التنوخى]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المنيل لأصله ، والنائب عنه فى حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبدالله بن الحجاج [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ ... تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم أصفعه إلا ... بحضرة سيدى القاضى التنوخى

وله كتاب الفرج بعد الشدة ، وناهيك بحسنه ، وإمتاع فنه ، وما جرى من الفأل بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال

أخبرنى أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته ، واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت أنفسح فى الانتخاب منه ، ولكنى الآن مقل من شعره ، وسيقع لى ما أتكثر به وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبى نصر المذكور وأنشد به لثقة من أثق بقوله ، وهو معنى طريف ماأراه سبق إليه ، و ...

حرجدا ... ر.كذه ... نعيم أبى يجمع الأرض

فلما انتدى يدعو تقشعت السما   فما تم إلا والغمام قد انقضى

وأنشدني غيره له، وأنا مرتاب به لفرط جودته، وارتفاعه عن طبقه.

[من الطويل]

أقول لها والحي قد فطنوا بنا   ومالي على أيدي المنون براح

لما ساءني أن وشحتني سيوفهم   وأنك لي دون الوشاح وشاح

ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل]

ثنى أشمت الأعداء صرفي ورحلتي   فما صرفوا فضلي ولا ارتجعوا المجد

مقام وترحال، وقبض وبسطة   كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد

كأنه نسج على منوال المتنبي حيث قال [من الطويل]

على ذا مضى الناس، اجتماع وفرقة   وميت ومولود وقال ووامق

ومما نسب إليه قوله لبعض الوزراء في التهنئة بشهر رمضان [من الخفيف]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ابن لنكك البصرى ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها فى زمانه . والمرجوع إليه فى لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، وعنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه . واتفق فى أيامه هبوب الريح للمتنبى ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار أبى رياش اليمامى ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادتهما من الأدب بما شقى به ، وحصل أبو الحسن على ثلبهما ، والتشفى بذمهما ، والقعود تحت المثل السائر ، أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل ، وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها فى شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره . وما أشبه شعره فى الملاحة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كتيه أبى الحسن بن فارس . وأقدر أنه فى الجبال . كهو فى العراق . وكان يقال فى منصور الفقيه : إذا رمى بزوجيه قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب وأبدع فيما صنع . فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح . وبلغنى أن الصاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] .

شعر الظريف ابن لنكك مسـذب وعـكك
مذهب وعسـك بمثـله ينمسك

* * *

ما أخرج من شعره فى الشكوى ، وذم الزمان وأهله

٥ - [من مجزوء الرمل] :

يا زمنا ألبس الأحـــرار ذلا ومهانه

لست عندى بزمان إنما أنت زمانه
كيف نرجو منك خيراً والعلا فيك مهانه
أجنون ما نراه منك يبدو أم مجانه

وقال أيضاً [من الطويل] :

زمان رأينا فيه كل العجائب وأصبحت الأذناب فوق الذوائب
لو أن على الأفلاك ما فى نفوسنا تهافتت الأفلاك من كل جانب

وقال أيضاً [من الوافر] :

عجائب فى زمانك شاهدات على خرف من الفلك المحيط
يرى متيقظاً ما لا يراه إذا ما نام آكل فنبيط

لأن له خاصية فى توليد السوداء ، ويرى أحلاما ردية .

وقال [من المنسرح] :

عجبت للدهر فى تصرفه وكل أفعال دهرنا عجب
يعاند الدهر كل ذى أدب كأنما نالك أمه الأدب

وقال أيضاً [من الطويل] :

يقولون لى أصبحت فى العلم واحداً وفى الشعر والآداب مالك ثانى
فقلت صدقتم أيها الناس إننى كذلك ولكن فى حر أم زمانى

وقال أيضاً [من الوافر] :

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا وخلفنى الزمان على علوج
وقالوا قد لزمت البيت جداً فقلت لفقد فائدة الخروج
فمن ألقى إذا أبصرت فيهم قروداً راكبين على السروج
يعاف عزمه الجود حتى تعالى الجود فى أعلى البروج

وقال فى المعنى [من البسيط] :

جار الزمان علينا فى تصرفه — وأى دهر على الأحرار لم يجر
عندى من الدهر ما لو أن أيسره — ملقى على الفلك الدوار لم يدر

وقال أيضا [من الخفيف] :

نحن والله فى زمان غشوم — لو رأيناه فى المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال — حق من مات منهم أن يهنا

وقال أيضا [من البسيط] :

لا مكث الله دنيانا فقيمتها — ليست تفى عند ذى عقل بقيراط
دنيا تأبت على الأحرار عاصية — وطاوعت كل صفعان وضراط

وقال [من الوافر] :

زمان قد تفرغ للفضول — يسود كل ذى حمق جهول
فإن أحببتم فيه ارتياحا — فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضا [من البسيط] :

إن أصبحت همتى فى الأفق عالية — فإن حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسر به — وكم يسىء زمان جائر حنق
كم نصحه لى على الأيام من ضجر — تكاد من حرها الأيام تحترق

وقال أيضا [من المنسرح] :

نحن من الدهر فى أعاجيب — فنسأل الله صبر أيوب
أقفرت الأرض من محاسنها — فابك عليها بكاء يعقوب

وقال أيضا [من الكامل] :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم — وبقيت فى خلف بلا أكناف
فطنا بس وقلانس محشوة — يتعاسرون بقلة الإنصاف

ما شئت من حلل وفرش مراكب   أثواب دورهم بلا أجواف

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور   تسعة أعشارِ من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشراً   وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرو منهم مثل   له رواء وماله ثمر

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

فغدا كالخلاف يورق للعيـــن ويأبى الإثمار كل الإباء

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسعداً   في ذا الزمان رأيت رأي مخرق
إنفاق علم في زمان جهالة   ترجو ودهر عمي وحظ مطبق
كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً   تنل الرغائب في الزمان وتنفق
أوما رأيت ملوك عصرك أصبحوا   يتحملون بكل فاض أحمق
لا تلق أشباه الحمير بحكمة   موه عليهم ما قدرت ومخرق

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لم يبق حر إليه يختلف   بل كل نذل عليه مختلف
يا فلكا دار بالنذالة والجهـــل إلى كم تدور بالحرف
معاقل ما يبل أنمية   وجاهل بالمدى يغترف

وقال أيضاً [من الطويل] :

لعنتم جميعاً من وجوه لئيمة   ـكسبهم جهل ولؤم فأفرطا
ولي زمان أنتم رؤساؤه   لأهل لأن يجري عليه ويضرطا
أراكم عيون الناس وإني   أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

وقال أيضاً

عدنا فى زماننا عن طريق المكارم
من كفى الناس شره فهو فى جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره فى الهجاء لأبى رياش

كان أبو رياش باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها . غايةبل آية فى هذ(١) دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحةوبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدى [من الرجز] :

كأنما قمل أبى رياش ما بين صئبان قفاه الفاشى
وذا وذا قد لج فى انتفاش سمسم بدد فى خشخاش

وكان مع ذلك شرها على الطعام ، رجيم شيطان المعدة ، حوتى الالتقام ، ونعبانى الالتهام ، سيء الأدب فى المواكلة . دعاه أبو يوسف اليزيدى والى البصرة إلى مائدته يوما ، فلما أخذ فى الأكل مديده إلى بضعة لحم فانتهشها ، ثم ردها إلى القصعة . فكان بعدذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوما الوزير المهلبى إلى طعامه ، فبين هو يأكل معه إذ امتخط فى منديل الغمر ، وبزق فيه . ثم أخذ زيتونه من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير . فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفى شره أبى رياش يقول ابن لنكك ما هو فى نهاية الملاحة وحسن التعريض [من الوافر] .

يطير إلى الطعام أبو رياش مبادرة ولو وريت قبر

---

(١) هذ هذ : سرعة القراءة .

أصابعه من الحلواء صفر ولكن الأخادع منه حمر

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي ، قال : أنشدني الصاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هانى أفسد الشعر كله وشعر أبي تمامكم هو أضيع
أباالريش . ياصفعان، صفعك واجب ولكن مضى من كان في الله يصفع

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبو رياش بغى والبغي مهلكة فتددوا العين ترموه بآبدته
عبد دليل هجا للحين سيده تصحيف كنيته في صدع والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أأبا رياش ياقبيح المنظر يا مصدراً سمي إلى مستكبر
تصحيف كنيتك التي كنيتها في است التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئت أن أبا رياش قد حوى علم اللغات وفاق فيما يدعى
من مخبري عنه فإني سائل من كان حكه بأير الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

على القبح المطيع أبو رياش يعاشرنا بأخلاق ملاح
يلبح كلما أبداً قفاه فصفعه على جهة المزاح

وقال فيه وقد ولي عملا بالبصرة [من الكامل] :

قل للوضيع أبي رياش لا تبل تيه كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت إلا خسة كالكلب أنجس مايكون إذا اغتسل

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته في أخباره . ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيذام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك يتولع به ويبدع في هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسي تقيك أبا الهيذام كل أذى ... إني بكل الذي ترضاه لي راضي
ما بال جسمك مركوبا على ذكرى ... يا أكرم الناس من باق ومن ماضي[1]
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنية القاضي ؟

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

حوى يوماً أبو الهيذام أيرى ... وذاك بمثله أبدا حرى
فبرنس رأسه بالجعس حتى ... تنكر منه لي خلق وزى
فقلت هديت لم برنست أيرى ... فقال لأن أيرك قرمطى

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا ... على اسم حمزة وصفا غير تشميخ
كدار بطيخ تحوى كل فاكهة ... وما اسمها الدهر إلا دار بطيخ

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا من تطيب وهو من حرق استه ... قلق يكابد كل داء معضل
فشل الصيال وما عهدنا دبره ... مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراه في الكتب الجليلة زاهدا ... لا يستجيد سوى كتاب المدخل
فلثمته ولثمت فاه مسمما ... لثم الصديق فم الصديق المجمل
فدنا إلى على المكان وقال لي ... أفديك من منشوق متغزل
إن كنت تلثمني بحق فاسقني ... [illegible]

(١) الجعس : الرجيع

وقال فى الرملى الشاعر [من الوافر] :

لأم الشاعر الرملى صدغ صبور ما علمت على الدباغ
فرغت ولم تكن فرغت فرامت إدامة نيكها حتى الفراغ
فقلت لها فديتك لا تجسورى فليس على الرسول سوى البلاغ

وقال فيه أيضا [من الرجز] :

إن الرميلى بليد خاطره يشعر ما دامت له دفاتره
فالشعراء كلهم خواطره

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الرمل] :

حلف الرملى فيما اقتص عنى وحكاه
يدعى يوم اصطلحنا أننى قبلت فاه
لم أقبل فاه لكن قبلت نعلى قفاه

وقال فى المبرمان النحوى [من الوافر]

صداع من كلامك يعترينا وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت لقد أبرمتنا يا مبرمان

ما أخرج من شعره فى الغزل والشراب

قال [من الوافر]

حبيب جفونى فرض عليه معرى فى الهوى منه إليه
إذا لحظاته قتلت محبا شحطت منه فى دم وجنتيه

وقال أيضاً [من الوافر]

أتطمع أن تحب ولا تؤرقه ولا قلب جريح
فأين هوى تدوب به وتبلى أراك تظن أن الزمن ريح

وقال أيضاً [من الوافر] :

وروض عبقرى الوشى غض ... يشاكل حين زخرف بالشقيق(١)
سماء زبرجد خضراء فيهـا ... نجوم طالعات من عقيق
خليلى اسقيانى الراح صرفا ... إذاً وحريق قلبى بالرحيق
ذرانى قبل أن ألقى حمامى ... أشوب بريق من أهواه ريقى

وقال أيضاً [من الخفيف] :

قد شربنا على شقائق روض ... شربت عبرة السحاب السكوب
صبغت من دم القلوب فما تبـ ... ـصر إلا تعلقت بالقلوب

وقال أيضا [من المنسرح] :

أمر غد أنت منه فى لبس ... وأمس قد فات فاله عن أمس
وإنما العيش عيش وقتك ذا ... فبادر الشمس بابنة الشمس

وقال أيضا [من الوافر] :

أقول لصاحبى والراح روح ... لجسم الكأس فى كف النديم
وقد حبس الدجى عنا بوالك ... تسيل نفوسها فوق الجسوم
ونحن من المسرة فى سماء ... فمن سارى الضياء ومن مقيم
شموعك والكؤوس مع الندامى ... نجوم فى نجوم فى نجوم

وقال فى قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر] :

فديتك لو علمت ببعض ما بى ... لما جرعتنى إلا بمسعط
فحسبك أن كرما فى جوارى ... أمر ببابه فأكاد أسقط

وله فى مثل ذلك من المجتث :

لو أننى مسعطى ... شربت ما شئت حينا

(١) الشقيق : زهر أحمر كشقيقة نعمان.

لكنني عبـــدى فاعرف حديثى يقينا
قرأت عهـــدة كرم فكان سكرى سـنينا

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

أيها الشيخ الذى بر ز قدما فى السياده
والذى أعطاه أهل الا أرض فى السبق المقاده
وأقر الكل منهم أنه عين القلاده
أنا يكفينى من المشـ روب ما يكفى جراده
وحديثى طال عنه مثل تفسير قتاده
وهو إبرام ونقض فاكفنى فيه الإعاده

* * *

ما أخرج من ملحه فى سائر الفنون

قال [من الطويل] :

تولى شباب كنت فيه منعماً تروح وتغدو دائم الفرحات
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه كما سار ذو القرنين فى الظلمات

وقال [من الطويل] :

فراق أخلائى الذين عهدتهم يوكل قلبى بالهموم اللوازم
وما ذا أرجى من حياة تكدرت ولو قد صفت كانت كأضغاث حالم

وقال أيضاً [من الكامل] :

كرب تحول وهو من فرط الأسى فراق إخوان على كرام
وتعجبت للشيب ، لا تعجبى هذا غبار وقائع الأيام

وهو مأخوذ من قول ابن لنكك [من الكامل] :

قالت كبرت وشبت قلت لها هـــذا غبار وقائع الدهر

وقال أيضاً [من الوافر] :

إذا خفق اللواء على يوما وقد حمل امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه لعل الله يرحم من أساء

وقال أيضاً [من البسيط] :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً رأيت صورته من أقبح الصور
وهبك كالشمس في حسن ألم ترنا نفر منها إذا مالت إلى الضرر

أخذه الصاحب فقال [من المتقارب] :

يقال تركت الذي حسنه يكاد يخجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمى إذا بسطت في المصيف الأذى

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

نحن بالبصرة في لو ن من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
فإذا هبت جنوب فكأنا في كنيف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

ليس في البصرة حر لا . ولا فيها جواد
إنما البصرة أنشا ب ونخيل وسماد (١)

*

ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد . لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه من السريع :

وعصبة لما توسطتها صرت على الأرض كخاتم

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو حطب وشجر قسي

كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس إذا زارهم لأنهم عار على آدم

بقوله [من السريع] :

لا تصلح الأرض ولا تستوى إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولم يأثم
ما أنتم عار على آدم لأنكم غير بنى آدم

وقال أيضا [من السريع] :

وليلة أرقنى طولها فبتها فى حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لإفراطها فى طولها من أمل الجاهل

وقال أيضا [من المنسرح] :

يا سفلا أوقظوا بخستهم لكن عن الجود والندى ناموا
لا تكذبوا صح أنكم نعم عندكم للزمان أنعام

* * *

أبو عبد الله الحسين بن على النمرى

صاحب أبى رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة فى الأدب والشعر . وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوى القويم ، والنظم الظريف المليح .

فما سار من ذلك قوله من قصيدة فى ذى الكفايتين أبى الفتح ، وكان ورد عليه الرى فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم فى كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واهاً لى آه من تذكارهن وآها
فإلى الحزينة فالجتينة فالرى معنى الأحبة حبذا معناها[1]
روض كلفت بنوره وبنوره ورق ألفت هواءها وهواها

---

(١) الحزينة ، والجتينة : موضعان .

أصبو إلى أترابها وترابها   ومهاة عيشى فى ظلال مهاها (١)
فيهن شمس لا تروم عيوننا   حذر العيون سناءها وسناها
نمرية من دونها متنمر   أخشى شباه ثاره وشباها
ماذا على الغر الكرام عشيرتى   لوضم بين فتاتها وفتاها
فتيان صدق كالشموس تعودت   فنص النفوس ظباؤها وظباها
يامن لنفس شطرها فى بلدة   بذرى العراق وشطرها بسواها
ظمئى إلى حو الشفاه ، وإنما   حو الشفاه سقامها وشفاها (٢)
ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا   وقد ارتوى منها كما أرواها
وجلست فى النادى الذى حاز الندى   من جنه دان إلى جناها
دار عرفت بها معانقة البكرى   وأخذت حظى لهوها ولهاها
عاتبت مكرمة الزمان فأعتبت   فيها وناجيت السرور شفاها
ملك أغر وبركة لجينه   فى روضة تعطى العيون رضاها
يحبوك ذا المال الجزيل وهذه   ماء المعين وهذه رياها
روض إذا جرت الرياح مريضه   فى زهره استشفت به مرضاها
وإذا تقابلت الندامى وسطه   سكر الصحاة كما صحا سكراها
يتسلسل الماء الزلال خلاله   فتخاله أخبثت حصب سراه
تسعى أو تنساب غير لواذع   فكأنه ونى الحبب رقاه
وأخذت من أقاره وتجومه   من [illegible] وحينه [illegible]
من أبيض يقق وأصفر فاقع   لو [illegible] كل [illegible] و[illegible] (٣)

---

(١) المهاة الأولى : البلورة الصافية .
(٢) الحو ، جمع حوى ، وهو أوصف من حوة ، وهى سواد فى شفة [illegible] حمرة ، وعن [illegible] شرب [illegible] سمرة ، ع [illegible] [illegible]

قد ضوعفت زينة فزادت زينة يجلو القذى عنا جلاء قذاها
خيفت عليهن العيون فعوذت باسم الاله وباسم شاهنشاها
يا ابن العميد عميد دولته الذى بلسانه وسنانه سناها
ما أنت إلا صحة مكلوءة تتقاصر الأفهام دون مداها
فإذا مرضت ولا مرضت فإنه مرض الرياح يطيب فيه ثناها
لم تنسك الأمراض ذكر صنائع تولى وشكر صنائع تولاها
فاسلم لدولتك التى وطدتها ورعيت أولاها على أخراها

وله من قصيدة كتب بها إلى وبأختها التى تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته المشكورة فى مهاداتى بطرائف الآداب التى تصلح لهذا الكتاب من مجزوء الكامل :

سرت النجائب بالنجائب ترمى الكواكب بالكواكب
ترمى بجاهات المشا رق من بجاهات المغارب
رغباً إلى ملك تحكـ ـم فى رغائبه الرغائب
ملك نوأ من علا ه فى النواصى والذوائب
حيث السوابح والسوا بق والنجائب والجنائب
يهب المنعمة الكوا عب والمطهمة السلاهب(١)

ومنها :

زرناك من أرض البصيـ ـره شاحبين على شواحب(٢)
رد المناهل كالمنا هل والسباسب كالسبائب
لا نرى دون الرى و البحر الغطامط ذى الغوارب(٣)

(١) المطهمة : الخيول . والسلاهب : الطويلة
(٢) الشواحب : النوق الهزيلة .
(٣) الغطامط : كثير الأمواج غزير الماء .

بحر جواهره طوا ف فى سواحله رواسب

لا دونها اللجج الكوا رب لاولا اللجج الكواذب(١)

كم من ظباء بالبصيـــرة فى المقاصر والسباسب

إنس ووحش يشتبهـــن سوى الذوائب والحقائب

أدم بقاسمن الأرا ك جناه والقضب الرطائب

فلإنسها أغصانه تجلو به برد السحائب

ولوحشها غض الجنى عبث المعازف والملاعب

تصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب(٢)

يارب يوم لى كظلـــك أو كظلك أو يقارب

رقت حواشيه وغضـــت عين واشيه المراقب

قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب

وتبرجت لذاته للخاطبين وللخواطب

نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب

وكسوتنى حللا صقلـــن خواطرى صقل القواضب

حللا كديباج خدو د مطرزات بالشوارب

فلنشكرن رياضنا جدوى سحائبك الصوائب

ولنتضمن لك القصا ئد كالقلائد بالكواعب

* * *

(١) الكوارب : التى تحدث الكرب

(٢) الخراعب : جمع خرعبة ، وهى الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة رقيقة العظم لينة

المفجع البصرى

هو أبو عبدالله الكاتب ، له مصنفات كثيرة ، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصره فى التأليف والإملاء ، وفيه يقول [من مجزوء الكامل] :

إن المفجـع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النوادر أنه يملى على الناس النوادر

كأنه من قول أبى تمام [من الوافر] :

ومالك بالغريب يد ولكن تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

ومن المظالم أن قعد ت على المظالم يا فزاره

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة ، يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر الخوارزمى قال : قال لى اللحام : أنشدنى المفجع لنفسه [من الخفيف] :

لى أير أراحنى الله منه صار همى به عريضاً طويلا
نام إذ زارنى الحبيب عناداً ولقد كان يبعث الرسولا
حسبت روثة على الحى فافترقنا وما شفينا غليلا

فقلت فيه [من الكامل] :

إن المفجع فاعلموه مؤنث نعل يديه بعض أهل البيت
يهوى العلوق وإنما يلقاهم بمؤخر حى وقبل ميت

وأنشدنى أبو الحسين الشهرزورى الحنظلى ، قال أنشدنى المفجع لنفسه فى غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف] :

زفرات تعتادنى عند ذكرا ك وذكراك ما يريم فؤادى
وسرورى قد غاب عنى مذ غبـ ـت فهل كنتما على ميعاد
عرفتنى الأيام فيك أبا سعـ ـد نحس الهوى وسهم البعاد

ليس لى مفزع سوى عبرات   من جفون مكحولة بالسهاد
فى سهادى لطول أنسى بذكرا   ك اعتياض عن الكرى والرقاد
وبحسبي من المصائب أنى   فى بلاد وأنتم فى بلاد

وأنشدنى أبو نصر الروذباذى الطوسى للمفجع [من الهزج] :

ألا يا جامع البصر   ة لا أخربك الله
وسقى صحنك المزن   من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك   يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس   مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخ بالعلم   له فيك صدناه
بقرآن قرأناه   وتفسير رويناه
وكم من طالب للشعـ   ـر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا   م حتى لان متناه
وحتى ثبت السرج   عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر   د كذب ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلنا   فما بالجد قلناه
ولو كان من البعض   برياً حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب   إليه تتلاقاه
وبالدرهم يستنز   ل مافى الجو مأواه

ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر والأترج والنارنج وأراد أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل] :

إن شيطانك فى الظر   ف لشيطان مريد
[illegible]

قد أتتنا تحفة مســـك على الحسن تزيد
طبق فيــه قدود وخــدود ونهود

وقوله فى غلام مغنٍ جدر فازداد حسناً [من السريع] :

يا قمرا جدر حين استوى فزاده حسناً وزادت هموم
كأنما غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

وقوله أيضاً من الخفيف :

سيدى أنت إن عبدك أمسى خافقاً قلبه خفوق الجناح
فاغتنم غفلة الرقيب وزره فى رداء من الدجى ووشاح

وقال ، ويروى لابن لنكك [من السريع] :

لنا سراج نوره ظلمه ليس له ظل على الأرض
كأنه شخص الإمام الذى يعنى الهدى منه أولو الرفض

ومن ظريف قوله فى الحداد [من السريع] :

مسا على قوم فقالوا له إن لم تعم من مسا قمنا
فقال لا عدت فقالوا له من تبت فيه دا كما كنا

ووجدت بخط أبى الحسين على بن أحمد بن عبدان فى مجموعه المسمى حاطب ليل للمفجع البصرى يقول [من الوافر] :

أداروها وللبل اعتكار فخلت الليل فاجأه النهار
فقلت لصاحبى والليل داج ألاح الصبح أم بدت العقار
فقال هى العقار تداولوها مشعشعة يطير لها شرار
فلولا أن أقداح صببنا حسبت أنها فى الكأس نار

* * *

نصر بن أحمد الخبز أرزى

كنت على طى شعره وذكره . إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه . ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره . فسنح لى أن أضمن هذا الكتاب . لما قد علقت بحفظى منه ، والإعراض عن التصفح لباقى شعره وترك الفحص عما يصلح الإلحاق بها من ملحه . وعلى ذكره . فقد بلغنى من غير جهة أنه كان أميا لا يكتب ولا يتهجى ، وكانت حرفته خبز خبز الأرز فى دكانه بمربد البصره . فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ، ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون فى ميله إليهم وذكره لهم . ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته . وكان ابن لنكك — على ارتفاع مقداره — ينتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه . فانصرف وكتب إليه [من الوافر] :

لنصر فى فؤادى فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً ... من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادرا وحسبت نصرا ... يريد بذاك طردى أو ذهابى
فقال متى أراك أبا حسين ... فقلت له إذا اتسخت ثيابى

فلما قرئت عليه الرقعة التى فيها هذه الأبيات . أملى على من كتب له فى ظهرها هذه الأبيات [من الوافر] :

منحت أبا الحسين صميم ودى ... فداعبنى بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كالشيب لونا ... فعدن له كريعان الشباب
وبعض للشيب أعد عندى ... سواد لونه لون الخضاب
فإن يكن التقزز فيه فخر ... فلم يكنى الوصى أبا تراب

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعرا بزعمه يكنى أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته ، وانتحل كثيراً من محاسن السرى والخالديين وغيرهم من المحسنين ، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان ، حتى تقشر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط] :

أظن دعوته فى الشعر جائزة ... له على كما جازت على النسب

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمى [من المنسرح] :

يقول نصر أبى فقلت لهم ... عندى بهذا شهادة حسنه
نعم ولكن أمه حملت ... من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل] :

خليلى هل أبصرتما وسمعتما ... بأكرم من مولى تمشى إلى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لى ... أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بينى وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

وقوله [من مجزوء الرمل] :

من يكن يهواه للخلـ ... ـق فإنى عبد خلقه
إن حسن الخلق أبهى ... للفتى من حسن خلقه

وقوله [من البسيط] :

قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع فى ... روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعانى لافتتاح هوى ... لما تفتح منه النور والزهر

وقوله [من المنسرح] :

ووددت أنى بكفه قلم ... أو أننى مدة على قلمه
يأخذنى مرة ويلثمنى ... إن علقت منه شعرة بفمه

وقوله [من البسيط] :

قد قلت إذ خان صبرى من كلفت به ... ولم يكن عنه لى صبر ولا جلد
إن كان شاركنى فى حبه وضح ... فالنهر يشرب منه الكلب والأسد

وقوله [من الكامل] :

لا تعشقن ابن الربيع فإنه ... عند التجرد آية الآيات
وجه كعبادان ليس وراءه ... لمحبه شىء سوى الخشبات (١)

وقوله [من الخفيف] :

تتجنى على ذنباً وتعتل ... بأن قد رأيت منى ذله
لعن الله قربة ليس فيها ... لفتى يطلب التعلة عله

وقوله [من الطويل] :

ألم يكفنى ما نالنى فى هواكم ... إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك
شماتتكم بى فوق ما قد أصابنى ... وما بى دخول النار بل طنز مالك (٢)

وأنشدنى أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور . قال : أنشدنى عبد السميع بن محمد الهاشمى . قال : أنشدنى نصر بن أحمد الخبز أرزى لنفسه [من الخفيف] :

شاقنى الأهل لم تشقنى الديار ... والهوى صائر إلى حيث صاروا

---

(١) عبادان : جزيرة . والخشبات : موضع وراءها .
(٢) الطنز : السخرية والاستهزاء .

جيرة فرقتهم غربة البيـــن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناس رعوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حضار
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ثم مالوا، وأنصفوا ثم جاروا
لا تلمهم على التجني فلو لم يتجنوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن على الفقيه له من قصيدة [من البسيط] :

ورد الخدود ورمان النهود وأغ صان القدود تصيد السادة الصيدا
شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصرا والردف مرتدفا والقد مقدودا

* * *

أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب] :

رأيت الهلال وقد أحدقته نجوم الثريا لكى تسبقه
فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
بقوس نرام رمى طائرا فأتبع في إثره بندقه

وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف] :

قارن الزهرة الهلال ، وكانا في افتراق ما بين صد وهجره
فإذا ما تقارنا قلت طوق من لجين قد علقت فيه دره

وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جئته نثر الورد عليه ورقه
وإذا مدت يدي طرته أفلتت مني وعادت حلقه

* *

أبو الحسين الظاهر البصرى

أنشدنى أبو على محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدنى أبو الحسين الظاهر البصرى لنفسه قوله [من البسيط] :

نفسى الفداء لمن جاءت تودعنى — يوم الفراق بقلب خائف وجل
قد كنت فارقت روحى خوف فرقتها — لكن حييت بطيب الضم والقبل

وله من قصيدة فى مفصود [من البسيط] :

كأنما دمه فى الطست حين جرى — صرف من الراح فى صب من الذهب
حتى إذا رجعت فى كفه يده — كالشمس غابت عن الأبصار فى الحجب
كانت كما قال فى القرآن خالقنا — واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله فى وصف حيه قتلها فى بعض أسفاره [من الرجز] :

عرفت فى الأسفار ما لم أعرف — من كل موصوف وما لم يوصف
آليت لا أنصف من لم ينصف — ولا أفى دهرى لخل لا يفى
سرت وصحبى وسط قاع صفصف — إذ أشرفت من فوق طود مشرف
رقشاء رنو من قلب أجوف — ترمى برأس مثل رأس الجدف
وذنب مسدج معقف — حتى إذا أبصرتها لا تشكو
علوتها بحد سيف مرهف — فظل يجرى دمها كالقرقف
أتلفتها لما أرادت تلفى

الباب السادس

فى ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد وسياق ملحهم ولطائفهم

ابن التمار الواسطى

شعره يتغنى بأكثره ملاحة ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطربا لا تكسبا ، وقد بلغنى له أبيات قلائل إلا أنها قلائد ، كقوله [من البسيط] :

أما ترى اليوم فى أثوابه الجدد ... يحكيك يا غرة الأيام والأبد
فاشرب وسق الندامى من مشعشعة ... كلون خدك لم تنقص ولم تزد
على غدير إذا هب النسيم به ... أبصرته من حبيك الريح كالزرد

وله [من الكامل] :

الخمر شمس فى غلالة لاذ ... تجرى ومطلعها من الخرداذى
فاشرب على طيب الزمان فيومنا ... يوم التشداذ قد أتى برذاذ
وانظر إلى لمع البروق كأنها ... يوم الضراب صفائح الفولاذ

وقوله عفا الله عنه [من البسيط] :

قم فاتصف من صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الليل قد ولت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الجانب الغربى تحسبه ... قد مد جسرا على الشطين من ذهب

أبو طاهر الواسطى المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروى ، ويحفظ حين يلحظ ، وما لظرفه نهاية ، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذى وقع إلى منه قليل يلتق طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه ، وديوان شعره ضالتى المنشودة ، ودرتى المفقودة . ولا يأس من حصوله ، أنشدنى كل من أبى طاهر ميمون بن سهل الواسطى الفقيه وأبى الحسن المصيصى ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدنى سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته فى طول الليل [من البسيط] :

عهدى بنا ورداء الشمل يجمعنا — والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن ليلى مذ غابوا فديتهم — ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وأنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر] :

أراح الله نفسى من فؤاد — أقام على اللجاجة والخلاف
ومن مملوكة ملكت رقاها — ذوى الألباب بالخدع اللطاف
كأن جوانحى شوقاً إليها — بنات الماء ترقص فى حقاف[1]

وأنشدنى ميمون الواسطى . قال : أنشدنى سيدوك لنفسه [من الوافر] :

أظن بليـــة دهمت فؤادى — وأحسبها غزال بنى سليم
وإلا لم يصب فتصـــيبنى — مدله صيبه من غير ضيم !
ولى عين إذا فقدته صارت — كعين الشمس منسية غيم

وأنشدنى له أيضاً [من مخلع البسيط]

أنت من القلب فى السواد — وموضع السر من فؤادى
يا ساكناً فى سواد عينى — وبين جفنى والرقاد
لم تنأ لما نأيت عنى — ولا تباعـــدت بالبعاد

---

(1) الحقاف : جمع حقف ، وهو المعوج من الرمل .

وأنشدني أيضا له [من الطويل] :

جنت صبحة الأضحى على فأذهبت   فؤادي، فلا ضري ملكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحر مالك مهدياً   لنحري سهم النحر نت عن الشرع

وله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

حـــذري عليك أشد من   حذري على بصري وسمعي
إن كنت تنكر ما أقو   ل فهاك سل سهري ودمعي

ووجدت منسوبا إليه في بعض التعليقات [من المتقارب] :

جعلت فداءك قد زارني   أخلاء أعظم أقدارهم
وعزمي أكون لهم ساقيا   فكن بأبي أنت خمارهم

* * *

أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا بما أنشدنيه ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط] :

مشتاقة طرقت في النوم مشتاقا   أهلا بمن لم يخن في العهد ميثاقا
أهلا بمن ساق لي طيف الأحبة من   أرض الأحبة . بل أهلا بمن شاقا
يا زائرا زار من قرب على بعد   آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقا
الله يعلم لو أني استطعت لقد   أفرشت ممشاك أحداقا وآماقا
ما ليس حرج على إلفين قد جعلا   عقد السواعد للأعناق أطواقا
صدق العناق وضم الشوق بينهما   ضم القريبين أعناقا فأعناقا

وأنشدني له أيضا [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار المتمشي   كذا الدلال عدمت كل عرش
ما من غدا على كثر حسر طرفها   في الحب لا صاح ولا هو منتشي

هذا الربيع بصحن خدك قد بدا … لمقبل ومعضض ومخمش

فلئن أبيت معانقاً لبهاره … ولورده المستأنس المستوحش

وأنشدنى له أيضا [من الطويل] :

سقاك وحياك وبات معانق … فيا عطف معشوق على ذل عاشق

ويا ليلة باتت سواعدنا بها … تدور على الأعناق دور المخانق

نبث من الشكوى حديثاً كأنه … قلائد در فى نحور العواتق

وأنشدنى له [من الكامل] :

يا راحلا ترك البكاء مباحا … ما رحت أنت، بل اصطبارى راحا

إن أخلفتنى فيك أسباب المنى … وغدوت لى سقما وكنت صلاحا

فلقد عهدتك مسعدا لى فى الهوى … وعهدت وجهك فى الظلام صباحا

وأنشدنى له [من الكامل] :

ما الرأى عندك أيها البدر … فى عاشق لك خانه الصبر

ومع برأيك فوق قصته … يامن إليه النهى والأمر

لو أن حسنا زاد فى عمر … لازددت عمراً بعده عمر

* * *

أبو بكر محمد بن أبى محمد القاسم المعروف بالأنبارى

بلغنى له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء، وهى فى ابن بقية لما قتل وصلب، وقد أثبتها كما هى [من الوافر] :

علو فى الحياة وفى الممات … لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا … وفود نداك أيام الصلات

وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل]

وصلوا عليه خاشعين كأنهم … وفود وقوف للسلام عليه

رجع :

كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا كمدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات (١)
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلا كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسٍّ تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات (٢)
وصير دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي حقيق بالدموع الجاريات

أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط] :

لم يظلم الدهر أن توالت فيكم مصيباته دراكا
كنتم تجيرون من يعادي منه فعاداكم لذاكا

عاد :

ولو أني قدرت على قيامي بفرضك والحقوق الواجبات

---

(١) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غبارا
(٢) الترات : جمع ترة وهي الثأر

ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكني أصبر عنك نفسي مخافة أن أعد من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمات غواد رائحات

أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين. ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة، كقوله في خط العذار وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الخفيف].

لي حبيب يزهى بحسن عجيب وبقد مثل القضيب الرطيب
أحرقت بالسواد فضة خديـــه فقد أحرقت سواد القلوب

وقوله في وصف التمر [من المجتث].

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظار
مخازناً من عقيق قد قمعت بنضار
كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشف مثل كؤوس مملوءة من عقار

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر]

فصوص زبرجد في غلف در بأقماع حكت تقليم ظفر
وقد صاغ الإله لها رداء له لونان من بيض وحمر
ربيع للقلوب بكل أرض ونقل [illegible] شرب خمر

وله في الرمان [من الوافر]

ورمان رقيق القشر يحكي [illegible] الحبيبة في [illegible]
إذا قشرته ضحكت عنه فصوص من عقيق [illegible]

أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب

رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني أبو سليمان المنطق ببغداد ، قال : أنشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها   مثلا فحاولت شيئاً دونه اليأس
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها   عندي ، وسكان بغداد هم الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيش ولكنني   عقدت من خيشي طاقين
دار إذا ما اشتد حر بها   أنشدت للصولي بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه   مرض الحلم والوفا
لم يكن ترك العيا   ده هجرا ولا جفا
لم أطق أن أراك يا   أكرم الناس مدنفا
طال حزني عليك ما   لحمد لله إذ كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة الخبر قبيحة المنظر [من المجتث] :

يا سعيد أصخ لي   ياسيدي ونديمي
منيت أمس بأمر   من الأمور عظيم
حصلت عند صديق   حر ظريف كريم
سقى على شدو دبسيـ   ـه فتق همومي
فكنت حتى عشي   ندي حيال النعيم
وإن صرت ذبيبا   في نعمة الأليم
إذ نرست صوت   فاترح دنسيهم

وإن شربت بلحظ   فالمهـــل بالزقوم
فكان سمعى بخير   ومقلتى فى الجحيم

وأنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان لأبى محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله السكوفى لما قلد مكان أبى جعفر بن شير زاد ، وحصل فى الدار التى كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسته وفى مثل حاله . وقد كان حضره مثل ذلك فحجب [من البسيط]

إنا رأينا حجابا منك قد عرضا   فلا يكن ذنبا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحى ولا تغضب على فما   أبغى بقولى لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم   سواك قد نال ملكا فانقضى ومضى
فى هذه الدار فى هذا الرواق على   هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

قال فاعتذر إليه السكوفى ، وقبل له . حسنا ، وقضى حوائجه

*

أبو الورد

بلغنى أنه كان من عجائب الدنيا فى المطايبه والمحاكاة . وكان يخدم مجلس المهلبى الوزير ، ويحكى شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هى ، فيعجب الناظر والسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابى قد منى به حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها   تسوء امرأ مثلى بمثل أبى الورد
فياليتها جارت بغير وأنها   رمتنى بشنعاء الدواهى على عمد
فكم بين مقتول الكلاب وإن عدا   ذليلا ومقتول بضراغمة الأسد

وفيه يقول السرى حيث يذكر صفعه ليحيى الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق سوى   لأمته فيه سر ولا حمدا
د ... أبو الورد يجود كفه   حسبت له روضة مدت لورده

ولأبى الورد شعر كهو فى الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا فى كل سحير فى مداراة لأ يرى
دائباً يطلب وجرا حسنَ من بيت غيرى
قلت نك يا أير من يد تع فى خيرى وميرى
قال : لا أسطيع بيكا لكسير وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيلى يؤم الخبز أنى رآه ولو رآه على يفاع
ولا يروى من الأخبار إلا أجبت ولو دعيت إلى كراع[1]

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءنى يسـألنى ماذا لديك
قلت : عندى بحر حر حوله آجام نيك

وقوله [من الطويل] :

ولى صاحب أفسى البرية كلها يشككنى فيه إذا ما تنفسا
تحولت الأنفاس منه إلى استه فما أحد يدرى تنفس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبى المظفر من أن يرى ظفراً فيظفر
لكن تطاول ظفره فلذاك قيل أبو المظفر

---

(١) يشير إلى الحديث «ولو أني دعيت إلى كراع لأجبت» . والكراع ـ بضم الكاف ـ بزنة الغراب ـ مادون الكعب من قوائم الدواب ، ويقابله مادون الركبة من الانسان .

الباب السابع

فى ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

ابن نباتة السعدى : أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم ، وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافى ، وملكوا رق المعانى ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب . وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الأحباب . وأول ماوقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبى نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد فى جملة ما حصله بها . من طرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخبارها . وأتحفنى به وهو بغبار السفر . وجعلنى فيه أبا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به . شخص المحبوب بدا لعين محبه . وباكورة الأشعار ، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فصر مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر . ويجلو النواظر ويصدق قوله . وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم لى ليل عندى من نجوم جمعت النثر منها فى نظام
عتاباً أو نسيباً أو مديحاً لخل أو حبيب أو همام
تفيد بها العقول نهى وصحواً وقد فعلت بها فعل المدام
لها فى جنة الآداب ركض إلى حب القلوب بلا احتشام

وقوله [من البسيط] :

[illegible]

يغنى بها الراكب العجلان حاجته ... ويصبح الحاسد الغضبان يطربها

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

فات عبد العزيز سابقة القو ... ل وأوفى لوصفه فى لحاق
طلعت فى القلوب ألفاظه الغـــر ... طلوع النجوم فى الآفاق

وقوله [من المنسرح] :

هذا الكلام الذى خصصت به ... أخص فى الخالدات من أحـد
قول هو الماء قد سطعمه ... فكل قول سواه كالزبد

ما أخرج من غرره فى الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل] :

وبدر تمامه بت ألثم نحره ... وأكبره عن أن أقبل خـده
عشقت فيـه كل شىء يوده ... من الجور حتى كدت أعشق صده

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز] :

وشادن روحى فى يديه ... نيت تهمى قبلى عليـه
يؤثر رجليه على خديه

والبيت الثانى نحوه من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لما علمت ... بأن لقلبك فيـه سرورا
ولولا سرورك ما سرنى ... وما كنت يوماً عليه صبورا
لأنى أرى كل ما تشتهى ... [illegible]

وقال من أخرى [من الطويل] :

[illegible] ... [illegible] والشمس عنده

ولا بد لى من جهلة فى وصاله   فمن لى بخل أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط]:

يا من أضر بحسن الشمس والقمر   لم يدع فيهما للناس من وطر
نفسى فداؤك من بدر على غصن   يكاد تأكله عيناى بالنظر
إذا تفكرت فيه عند رؤيته   صدقت قول الحلوليين فى الصور

ومن أخرى [من الطويل]:

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها   فتعرف أشجانى بها حين تذكر
سوى أنها مسكية الترب ريحها   تروح وتغدى والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو على كؤوسه   أغر الثنايا واضح الثغر أحور
فوالله ما أدرى أكانت مدامة   من البدر تجنى أم من الشمس تعصر
إذا صب حين [illegible] وعها   رأيت رداء الليل يطوى وينشر

ومن أخرى [من الكامل]:

دعهم وقلبى لا أريد رجوعه   أبداً فقلبى كان أصل فسادى
لو يعلمون صلاح حالى بعدهم   ما فرقوا بينى وبين فؤادى

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنع سعدى من مطالبها   فلست تمنع سعدى من تمنيها
لله نغمة أوتار ومسمعة   باتت تدل على شوق أغانيها
وقهوة كشعاع الشمس صافية   أفنت بالمزج فيها ريق ساقيها
[illegible] لذة يمرى الذهن أذهب   فى صدره وهو من إحدى [illegible]
[illegible] كان يوم أتى عنك أحدثه   [illegible]

الشكوى وذم الزمان

قال [من البسيط] :

في كل يوم لنا في الدهر معركة ... هام الحوادث في أرجائها فلق
حظي من العيش أكل كله غصص ... مر المذاق وشرب كله شرق

وقال [من الطويل] :

وكم من خليل قد تمنيت قربه ... فجربته حتى تمنيت بعده
وما للفتى في حادث الدهر حيلة ... إذا نفسه في الأمر قابل سعده
أرى همم المرء اكتئاباً وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال من قصيدة [من الكامل] :

ما بال طعم العيش عند معاشر ... حلو ، وعند معاشر كالعلقم
[illegible] في عيش الأغنياء [illegible] ... لا عيش إلا عيش من لم يعلم

[illegible] معنى متداول ، ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل] :

[illegible] في [illegible] و[illegible] ... دهر تفرق لاحه مولع
[illegible] ... لم يبق في مني لسهمك موضع

كأنه من قول المتنبي [من الوافر] :

[illegible] ... [illegible] في [illegible] من نبال
[illegible] ... [illegible] على النصال

وقال [من الوافر] :

برمت من الحياة ، وأى عيش ... يكون لمن مطاعمه الخبال ؟

ولو أنى أعد ذنوب دهرى ... لضاع القطر فيها والرمال

وقال [من الوافر] :

سقام ما يصاب له طبيب ... وأيام محاسنها عيوب

ودهر ليس يقبل من أديب ... كما لايقبل التأديب ذيب

يحب على المصائب والرزايا ... فلا كان المحب ولا الحبيب

وقال [من الوافر] :

متى أرجو مسالمة الهموم ... وآمل صحة الجسم السقيم ؟

وكر الحادثات على تجنى ... جنايات القروف على الكلوم

وقال [من الطويل] :

طلاب المعالى للمنون صديق ... وطول الأمانى للنفوس عشيق

تسربل ثياب الموت أو حلل الغنى ... تعش ماجداً أو تحتلقك علوق

وما الفقر إلا للمذلة صاحب ... وما الناس إلا للغنى صديق

وأصغر عيب فى زمانك أنه ... به العلم جهل والعفاف فسوق

وكيف يسر الحر فيه بمطلب ... وما فيه شىء بالسرور حقيق

إذا لم تكن هذى الحياة عزيزة ... فماذا إلى طول الحياة تتوق

ألا إن خوف الموت مر كطعمه ... وخوف الفتى سيف عليه ذلوق(١)

وإنك لو تستشعر العيش فى الردى ... تحليت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل] :

كيف السبيل إلى الغنى ... والسحر عند الناس فضه

---

(١) سيف ذلوق : حاد قاطع

خذ من زمانك كل شيء — لا يجر عليك منسه
ونبت بنا أرض العرا — ق فما عناها بمحنه
غير الرحيل ، كفى البلا — د منقلة الفضلاء هجنه !

وقال رحمه الله [من الوافر] :

وتأخذ من جوانبنا الليالى — كما أخذ المساء من الصباح
أما فى أهلها رجل لبيب — يحس فيشتكى ألم الجراح
أرى التشمير فيه كالتوانى — وحرمان العطية كالنجاح
ومن لبس التراب كمن علاه — فلا تخضعك أنفاس الرياح
وكيف يكدمهجته حريص — يرى الأرزاق فى ضرب القداح

وقال [illegible] الله [من البسيط] :

أراحنى الله من قلب منيت به — يهوى القعود ويهوى أشرف الرتب
اطلب لصدرك [illegible] بالمنى كلفا — وخل صدرى فمالى فيه من أرب
والمجد يطلب [illegible] طالبه — [illegible] يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
[illegible] — [illegible] لم يكونوا [illegible] فالزمان أبى

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] منسرح .
[illegible] ومنه [illegible] الأدب

تشربه الكأس ليس يشربها   يطرب من حسن وجهه الطرب

وبعد قوله ، فى تطرب الألحان ، قوله :

ولو شئت علمت المكارم شيمتى   ولكننى بالمكرمات رفيق

أخاف عليها أن يجود بنفسها   إذا ما أتاها فى الزمان مضيق

وقال أيضا [من الوافر] :

ومغرور يحاول نيل عرضى   فقلت له : الكواكب لا تنال

يعاين فى المكارم فضل كفى   ويزعم أنه ذهب النوال

ويعجب أن حويت الفضل طفلا   ألا لله ثم لى الكمال

أحل ضعف جسمى ثقل همى   ونفسى ليس تحملها الجبال

وأسمع كل قول غير قولى   فأعلم أنه خطل محال

وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضينا وما ترضى السيوف القواضب   تجاذبها عن هامكم وتجاذب

فإياكم أن تكشفوا عن رءوسكم   ألا إن مغناطيسهن الذوائب

أقول لسعد والركاب مناخة   أأنت لأسباب المنية هائب

وهل خلق الله السرور فقال لا   فقلت أثرها أنت لى اليوم صاحب

وخيل عضوب الصليان فإنه   [illegible] هذا للعلا لا يناسب

عمائم طلاب المعالى صدورها   وأثواب طلاب المعالى [illegible]

ولى عند أعناق الملوك مآرب   [illegible]

حلقنا بأطراف القنا لظهورهم   [illegible] وفيها سيوف حواجب

وأهل [illegible] غير [illegible]   [illegible]

وله من قصيدة فى [illegible] [من البسيط] :

[illegible] الدهر حتى [illegible]   [illegible]

فلو يكون سواد الشعر فى ذمى … ما كان للشيب سلطان على اللمم

فالعيش من نعمى والموت من نقمى … وحكمه الفلك الدوار من حكمى

والحزم والعزم فى الأقوام من خلق … كالفصاحة فى الأموال من كلمى

لو يعلم الناس قدرى فى زمانهم … صلوا لوجهى واستافوا ثرى قدمى

ما زلت أعطف أيامى وتمنحنى … نيلا أدق من المعدوم فى العدم

حتى تعوف صرف الدهر نادرتى … ورد كفى وأوما أن يسدفى(؛

أذم كل خليل بات يحمدنى … أنا الذى ماله خل سوى الندم

وليس سؤلى يا قلبى سوى رهج … تعوده من دم الفرسان بالديم

وقال [من الطويل]

وعمى فى موكب الموت معشر … ودلوا أيهوى الحدب من هو فى الخصب

وإنى لأدرى أن فى العجز راحة … وأعلم أن السهل أوطا من الصعب

ولو خلق الناس شكاية كلهم … لكان الغنى كالفقر والعبد كالرب

ولكن أشخاص المعالى حصة … على كل عين ليس تنظر باللب

[illegible] حرب [illegible] … [illegible] فى [illegible] بلا حرب

[illegible] … [illegible] من [illegible]

وقال [من الكامل]

[illegible] كل [illegible] … [illegible] رأيت مثله وأنا العمى

[illegible] … [illegible] الأرقم

وقال [من المتقارب]

[illegible]

وإنى على [illegible] المديح … [illegible] أسر أن أمدحا

[illegible] على [illegible] أبى [illegible] أفرحا

[illegible]

وقال من قصيده [من الطويل] :

وإنى لأغضى الطرف عن كل منظر يصب إليه الناسك المتماسك

وماذاك من جهل به ، غير أننى عيوف لأخلاق الأراذل تارك

وقال من قصيدة [من الطويل]

وآخذ عفو العيش لا أستكده لحى الله غنما يستفاد مع الغرم

فإن كنت أرضى بالبشاشة منكم ويستر عدى شيمتى وتكرمى

فرب جواد قيد الفقر جوده ومبتسم تعبيسه فى التبسم

وله من أخرى من الطويل

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم إذا كانت الأعراض غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يمانى

وله من أخرى [من البسيط]

حتى م نقدم والأيام تعلما وعمرنا يحسب الأيام بالعتس

يا أهل بابل عزمى قبله فكرى فى النائبات وسيفى بعده عذلى

وعندكم نعم عندى مصائبها لكم وصال الغوانى والصبابة لى

قالوا حسمة شجعن فقلت لهم كل السماحة والإقدام فى المول

مالى أعز على دهرى [illegible]

[illegible]

عرز فى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وما تمهل يوما فى ندى وردى … إلا قضيت للمح البرق بالكسل

ومنها فى ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً … فصرت تأسرهم بالخوف والوهل[1]

من يزرع الضرب يحصد طاعة عجباً … ومن يرق العلا يأمن من الشكل

كانت سحابك فيهم كل بارقة … حمراء تهطل بالأيدى على القلل

فاليوم سحبك فيهم كل بارقة … عزاء تهطل بالأموال والحلل

حتى تمنى مليك الروم حظهم … وأنه معهم فى الأسر لم يزل

كأنه أخذه من قول أبى دعبل الجمحى فى قوله [من المنسرح] :

ما زلت فى العفو للذنوب وإطـــلاق لعان بجرمه علق

حتى تمنى البراء أنهم … عندك أمسوا فى القد والحلق

ومنها فى شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودكم … وبشركم ينجلى من جودكم بجلى

قد جدت لى بالنهى حتى ضجرت بها … وكدت من ضجر أثنى على البخل

إن كنت ترغب فى بذل النوال لنا … فاخلق لنا رغبة ، أولا فلا تنل

لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله … تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وله أيضا فيه [من الطويل] :

سيوفك أمضى فى النفوس من الردى … وحوفك أمضى من سيوفك فى العدى

فتى يتحامى لذة النوم جفنه … كأن لذيذ النوم فى جفنه قذى

أطرفك شاك أم سهادك عاشق … يغار على عينيك من سنة الكرى

ومن سهرت فى المكرمات جفونه … رعى طرفه فى جوها أنجم العلا

فليس ينام القلب والجفن ساهر … ولا تغمد العينان والقلب منتضى

---

(١) الوهل : الضعف والفزع

ومن قصيدة فى المهلبي الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه   إن العيون لها من الأمداد
وتعوذوا بالله من أقلامه   إن السيوف لها من الحساد

ومن أخرى فى علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيرت المنى لمنحته   كمال علي أو سلوت عن الحب
نرى الشمس أما والكواكب إخوة   وتنظر من بدر السماء إلى ترب
غنيت عن الآمال حين رأيته   فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفه   وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

ومن أخرى [من الوافر] :

مدتك بدائع الألفاظ طرا   وأبكار القوافي والمعاني
نزلت من المكارم والمعالي   بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي   مواصلة بأيام التهاني

وله من أخرى فى المهلبي الوزير [من الطويل] :

وتطرق أقفال الغيوب بصارم   من الرأي يختى الغيب منه ويرهب
وتطعن فى صدر الكتائب معلما   كأنك فى صدر الدواوين تكتب
ولست أرى كسب الدراهم نافعي   إذا لم يكن لي فى المكارم مكسب
ولي همة لا تطلب المال للغنى   ولكنها منك المودة تطلب

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدى منه تمرا [من الخفيف] :

أي يوم من صاعد لم أرح فيه   بغيث كثيرة الأسلاب
من نوال يسرى بغير سؤال   وعطاء يجرى بغير طلاب
حثه [illegible] وقد [illegible]   [illegible] ونجمه تحت فى [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible]   [illegible] [illegible] من [illegible]

وأشارت أناملُه بدنوّي ... فكأني سمعت فصل الخطاب
ثم قبلت ظاهر الكف منه ... فكأني قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ... ه وأفهامنا منح الألباب
إن هذي الهموم تقدح فينا ... قدح كفيك في السلام الصلاب(١)
فاسقنا صيب المدام سقاك الله ... صوب الآمال والآراب
خندريسا كأنها تتقى المز ... ج بدرع مسرودة من حباب
خجلت من جلالكم فأتتنا ... في رداء مؤزر ونقاب
نهب المال للفقير وغزو ... شربها في عساكر الأطراب
سرقت حسن خلقها من سجايا ... ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنها في السحاب وبل وفي الريـ ... ـح نسيم ونشوة في الشراب
خلق الله صاعداً يوم خلق الـ ... ـناس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهي في عيـ ... ـنيه أدنى من ودها الكذاب
قد ظلمناه في السؤال لأنا ... ما سألناه رد شرخ الشباب

وقال من قصيدة لعضد الدولة من المنسرح:

يا عضد الدولة الذي قمعت ... دولته الدهر وهو جبار
أنت نهار والعالمون دجى ... وأنت طرف والناس أعيار(٢)
ليس لنا في المديح عمدة ... فضلك غيث والقول نوار

وله من أخرى فيه [من المتقارب]:

سموت على عثرات الزما ... ن يا عضد الدولة المنتجب
ولا زلت ترفع من دونه ... ت وضعت فيها بهذا اللقب

---

(١) السلام — بكسر السين — الحجارة.
(٢) طرف — بكسر فسكون — فرس. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

قسمت زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين الدأب

فيوماً تمير عفاة النسور ويوما تمير عفاة الأدب

وقال من قصيدة فى عضد الدولة يصف فيها نار السذق [من الطويل] :

لعمرى لقد أذكى الهمام بأرضه مشهرة ينتابها الفجر صاليا

تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا

هى الليلة الغراء فى كل شتوة تغادر جيد الدهر أتلع حاليا

وقال وقد كثر الإرجاف بعلة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط] :

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبى وما ألفى بمرتاع

تجلد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستن بالقاع

أرجوك أقرب ما قالوا به رمق وحين يوئس منك المؤيس الناعى

وأسأل الركب هل أحسستم فزعاً لو كان ميتاً لضاعت ثلة الراعى

أرضى وأقنع بالأطماع كاذبة فما يضرك لو أبقيت أطماعى

قد كاد يعرف وجه الذل فى نظرى ويظهر العجز والتقصير فى باعى

* * *

غرر الأوصاف

قال فى وصف فرس أدهم أغر محجل ، حمله عليه سيف الدولة أبو [illegible]

[من الكامل] :

يا أيها الملك الذى أخلاقه من خلقه ، ورواؤه من رأيه

قد جاءنى الطرف الذى أهديته هاديه يعقد أرضه بسمائه

[illegible]

[illegible] أغر محجل [illegible]

[illegible]

متمهلا والبرق من أسمائه متبرقعاً والبدر من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الألحاظ فى أعطافه إلا إذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من أسرائه

وقال أيضا فى وصف هذا الفرس [من الوافر] :

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً ويطوى خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

وله فى وصف سكين [من السريع] :

مرهفة تعجز وصف اللسان تسيف معى وهما معنيان
تخلفه فى حده تارة وتارة تخلف حد السنان
ما أبصر الراءون من قبلها ماء ونارا جمعا فى مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال فى ذم العراق [من الوافر] :

بلاد أنفس الأحرار فيها كعشب القاع تروى بالنسيم
تعوز بها وينفق كل شىء سوى الآداب طرا والعلوم

وقال يصف كماة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالى ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت ثغورهم دروعا فما معنى السوابغ فى العياب

وقال يصف ضب طوباء [من الوافر] :

ألا يا حبذا ضيب الغبوق وملبوس من العيش الرقيق

إذا ما الصبح أسفر نبهتنى جنوب مسها مس الشفيق

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وسنان

(رجع)

وفتيان تهمهم هموم حديثهم ألذمن الرحيق

وقال [من الطويل] :

وكنت إذا ما حاجة حال دونها نهار وليل ليس يعتذران
حملت على حكم القضاء ملامها ولم ألزم الإخوان ذنب زمانى

وقال من قصيدة فى سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلت نقفور يرقع جلده وفيه لآثار السلاح خروق(١)
يجر العوالى والسهام بجسمه كمحتطب للحمل ليس يطيق

سرقه من قول عنترة [من المتقارب] :

وغادرن نضلة فى معرك يجر الأسنة كالمحتطب

وقال [من الطويل] :

ألا فاخش ما يرجى وجدك هابط ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع إلا مع النحس ضائر ولا ضائر إلا مع السعد نافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلبى [من الكامل] :

وإذا جددت فكل شىء نافع وإذا حددت فكل شىء ضائر

وقال [من البسيط] :

سعى رجال فنالوا قدر سعيهم ولم يأت رزق بلا سعى ولا طلب
حتى تأتى مفاتيح الغنى وعلى قدر النصاب فى شدة التعب

---

(١) نقفور : اسم رجل من الروم ، وهو من [illegible]

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة [من المنسرح] :

أحسد قوماً عليك قد غلبوا وكل من بادر المنى غلبا
وكنت كالكرم في تكرمه تلتف أوراقه عما قربا

وقال [من الوافر] :

وإني لا أزال ألوم نفسي على طول التجنب والبعاد
وما أعتاض بالأقوام منكم وهل يعتاض صدر من فؤاد؟

وقال [من الوافر] :

وما استبطأت كفك في نوال على عدوائه نأي واقتراب
ولو كان الحجاب لغير نفع لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب . وأحسنه بعد قول أبي تمام [من البسيط] :

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا إن السماء لترجى حين تحتجب

وقال [من الكامل] :

ممن خضعت على الزمان رءوسهم عوض منهم آفة الأجواد

وقال [من الكامل] :

من لم يذق غصص التفرق لم يمت الموت ربح والفراق سناه

وقال [من الكامل] :

يهوى الشتاء مبرد ومقصر حب الشتاء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

مثل الدواء إذا مرضت وهل يشتهي من لموت الدواء؟
وعذر الشيب وهو طبيب فإن دا يعدمه القضاء؟
وما أهلنا إلا حساب وما حركاتنا إلا فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعه ، لشرف الدولة أبى الفوارس من المتقارب]:

أسر إليك مقال النصيح ولست إلى النصح بالمفتقر
عليك إذا ضاغتك الرجال بضرب الرءوس وطعن الثغر
ولا تحقرن عدواً رماك وإن كان فى ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع فى الروع كد الجبان كما لا يضر الشجاع الحذر
شب الرعب بالرهب وامزج لهم كما يمزج الدهر حلواً بمر

* * *

أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى

من أشعر أهل العراق ، قولا بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذى كسب من محاسنه نزه العيون ، ورق القلوب ، ومن [illegible]

ومن [illegible] أنه ولد فى كرخ بغداد [illegible] [illegible] من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . ونسبته فى بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وقد [illegible] وقال الشعر وهو ابن عشر سنين ، فمن أول شعر قاله فى [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

جرى فظننت أن الأرض وجه ودجلة ناظر وهو السواد

ورأى فى يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح] :

رأيته والمرآة فى يده كأنها شمسة على ملك

فقلت للصورة التى احتجبت من غير زهد فينا ولا نسك

يا أشبه الناس بالحبيب ألا تخبرنا عنك غير مؤتفك

قال أنا البدر زرت بدركم وهذه قطعة من الفلك

قلت فإنى أرى بها صدأ فقال هذا بقية الحلك

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبى حين راهق ، فوجد بها أبا عثمان الخالدى ، وأبا الفرج الببغاء ، وأبا الحسين التلعفرى ، وشيوخ الشعر ، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له . فقال الخالدى : أنا أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها . وحضر السلامى معهم ، فلما توسطوا الشرب أخذوا فى ملاحاته والتفتيش عن صناعته . فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض ، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين يديه على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف هذا ؟ فقال السلامى ارتجالا [من مجزوء الكامل] :

لله در الخالدى الأوحد الندب الخطير

أهدى لماء المزن عند جموده نار السعير

حتى إذا صدر [illegible] على حنق الصدور

[illegible] من جمر [illegible] السرور

لا تعجبوا [illegible] أهدى الخدود إلى الثغور

[illegible] ، ويعترفون له بالحذق

إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل][1]:

يا شاعرا بسقوطه لم يشعر ... ما كنت أول طامع لم يظفر
لو كنت تعرف والدا تسمو به ... لم تنتسب ضعة إلى تلعفر
تاهت بأئمة الفسوق على الورى ... بقذال صفعان وسكية أعفر
وبلادة في الشعر تشهد أنه ... تيس ولو نصرت بطبع البحتري
يحلو بأفواه الأنامل صفعه ... حتى كأن قذاله من سكر

وقال فيه أيضا [من الوافر]:

سعى التلعفري إلى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصاله
يتاق حلقه حلق قفائي ... فمالي أن تضاف إلى قفاله
فصفعي النفيسة في لساني ... وصفعته الخبيثة في قفاله
فإن أشعر فما هو من رجالي ... وإن يصفع فإني من رجاله

ودخل يوما إلى أبي نعامة وبين يديه درع فقال . صفها . فارتجل [من الكامل]:

يا رب سابغة حبتني نعمة ... كافأتها بالسوء غير معتمد
أضحت تصون عن المنايا مهجتي ... وظللت أبذلها لكل مهند

وورد حضرة الصاحب بأصبهان واستمطر منه نوءا غزيرا . وسرى في صد[illegible] مصر . ولقيه بقصيدة منها [من الوافر]:

رق العذال أم خدع الرقيب ... سقت ورد الخدود من القلوب
وآثار [illegible] ... [illegible] شبيه بالمشيب
وقفنا موقف التوديع وهي ... [illegible] لدمع [illegible] غروب
فجئت من عناق [illegible] ... [illegible] شبيه بالنحيب
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

تبسطنا على الآثام لما ... رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور . ولعله أمير شعره

ولولا الصاحب استرع العواقي ... لما سهل الخلاص من السيب

ومن يغني إلى ليث هصور ... لواحظه عن الرشإ الربيب

وكم يمري حد السيف طوعا ... ويب الكف من غصن رطيب

وشبها فكنت أنا نواس ... ولكن جل عن قدر الخصيب

ومن يك مثل عباد أبوه ... يعش بين الأنام بلا ضريب

أحر الملك ما الخلق . وكنز السمقل المنق . وأخا الغريب

أمامك غير أملك من عباد ... ولا غير العظائم من ركوب

تروض مصاعب الأيام قهرا ... وتحملها على عود صليب

[illegible]

[illegible]

قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى حتى رأيتك في اللثام هلالا
وهواك علوى القريض وراوق حيث أني منه أكسب مالا
هو مهمضى نحو الأمير وهمه حملت إليه صلاته آمالا
ووتيرة الشعراء في مدح وفى مسح فتجمع ممحراً ونوالا
ضربوا لك الأمثال في أشعارهم لكني لك أضرب الأمثالا

ولق الصاحب بأرجوزة حسنة . منها [من الرجز]

يا راقداً لولا الخيال ما رقد هل لك في عارية لا تسترد
موتى أثواب الخيال بالعقد ومن حظ جيده من الجيد
لو لم يمص ماء الشباب لا تقد قد استدار صدغه حتى انعقد
وصين ورد خده عن ورد إن أبا القاسم كالسيف الفرند
ذو لهجات : تجد في جلد أعز مسموع به الملك اعتضد
فما تحل [illegible] ما عقد [illegible] قوله وما اجتهد
تساب ما بين الأسود والنمد هل ستوى لنحر الخصم و [illegible]
أميتى من كل حر [illegible] [illegible] في طول الأمد
حتى يقال لم يجل [illegible] [illegible] معتمد
كل غلام منهم رب [illegible] [illegible]
وسم رونق سيفه إذا وقد والسا [illegible]
كالروح لا يكمن إلا في جسد يحمله عن [illegible]
مجده وهو عريق في النجد وإن جرى كانت [illegible]
خاض الدماء وتحلى بالزبد [illegible]
يا مجرى الفكر إلى أقصى أمد [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible]

وخل من عاندك وما اعتقد ... فليس للحاسد إلا ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذى الكفايتين أبى الفتح بن العميد وهو بالرى قصيدة منها [من الكامل] :

عبر الجواد فى الفرات ودجلة ... وأتى نداك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا على القهقرى ... لم يستطع متقدماً فتأخرا
وأعيذها من أن يعارض مثلها ... باد هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها ... مهرى سواك فكن لغيرى جوهرا
ما ضرها إلا تواطؤ طىء ... فيها على نحت المعانى بحترا
جبل غدا عنها جبيل مفحما ... وكثرن فى تفصيلهن كثيرا

وكان بحضرة الصاحب شيخ يكنى بأبى دلف مسعر بن مهلهل الينبوعى يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامى على منزلته ، فيتعرض له ويولع به ، حتى ألقمه السلامى الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلف أبـ ... ـرد من تطرق الهموم فؤاده
لى شعر كالماء قلت أصاب الـ ... ـشيخ لكن لفظه براده
أنت شيخ المنجمين ولكن ... ـست فى حكمهم تنال السعاده
وطبيب مجرب ماله د ... ـستنجح فى كل ما يجرب عادة
مر يوماً بنا عليل فقلنا ... قر عيناً فقد رزقت الشهادة

ولم يزل السلامى بحضرة الصاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فجهزه الصاحب إليها ، وزوده كتابا بخطه إلى أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته :

قد علم مولاى أطال الله بقاءه أن نفقة الشعر أكثر من عدد الشعر . ومن وثق بأن خدمته التى يهديها من صوغ طبعه ، وخدمه التى يؤديها من نسج فكره

أقل من ذلك . ومن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وقررته بالاختيار فاخترته .
أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومى السلامى أيده الله تعالى، وله بديهه قوية توفى على الروية ، ومذهب فى الإجادة يهش السمع لوعيه . كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله ، وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل فى سواد أمثاله ، ويظهر معهم بياض حاله . فجهزت منه أمير الشعر فى موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه ، وكتابى هذا رائده إلى القطر ، بل مشرعه إلى البحر . فإن رأى مولاى أن يراعى كلامى فى بابه ، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه ، فعل إن شاء الله تعالى

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التى منها [من الطويل] :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل تصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارى ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول . ودفع إليه مفتاح المأمول . واختص بخدمه عضد الدولة فى مقامه وظعنه إلى العراق . وتوفر حظه من صلاته وخلعه. واللهى تفتح اللهى . وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها . وكان عضد الدولة يقول : إذا رأيت السلامى فى مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك إلى . ووقف بين يدى . ولما توفى عضد الدولة تراجع طبع السلامى . ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى انتقل إلى جوار ربه . فى سنه أربع وتسعين وثلاثمائه

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغزل

قال [من الوافر]:

منيت بمن إذا منيت أفضت ... مناى إلى بنفسج عارضيه
وفاضت رحمة لى حين ولى ... مدامع كاتبى وكاتبيه

وقال أيضا [من المتقارب]:

ومختصر الخصر من بعده ... هربت فألقيت فى صده
وقابلنى وجهه مقبلا ... بحد الحسام وإفرنده
فما زلت أعصر من خده ... وأقطف من مجتنى ورده
أثمّ بنفسج أصداغه ... وزهراً نعصفر فى خده
وأظما فأرشف من ريقه ... فياحر صدرى من برده
وما للحافظ سوى وجهه ... وما للعناق سوى قده

وقال أيضا سامحه الله تعالى [من الطويل]

وبيض سكرى اللحظ سكرى من الصبا ... تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف حديثها ... كؤوساً وغنتنا صوت الخلاخل

وقال من قصيدة تغزل فيه بغلام بدوى كان معه [من المتقارب] :

تعلقته بدوى [illegible] ... [illegible] بنت الجمال
أعانق من قده صعدة ... ترى لحظه [illegible] السنان
أدار اللثام على ثغره ... فأخفى الشقيق على الأقحوان
ومسك دونه [illegible] ... على [illegible] خسروانى
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب ... إذا هاجه [illegible]
أحييه بالورد والياسمين ... فيصبو إلى الشيح و[illegible]
ويشتاق هبنا عواء الذئاب ... إذا هاجنا ضرب العيدان

فيا بدوى سهام الجفون ... صرعن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعى الذمام ... فقل أنت من ذمتى فى أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار من المنسرح :

يا مرهفا فى لحاظه مرهف ... ومخطف القد سهمه مخطف
من أودع الورد وجنتيك ومن ... نقش طرز العذار أو غلف
وما لهذا الصدغ المشوش قد ... عارض طرق التقبيل واستهدف
أطلع أفق المجاج لى قمرا ... بين نجوم تجول أو ترجف
يقطر ماء الجمال منه وير ... تج إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا ... جار على عاشقيه أو أسرف
عقف كلابه وأرهفه ... فقلت يكفيك صدغك الأعقف
تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن ... صارمك العضب قدك الأهيف
ومال ـــكق على سوالفه ... والموت من دون لمسها يسلف
ثم مر السحاب يسحب فضـــل الكم عجباً وفاعس المطرف
وقال والورد قد تعصفر فى ... خديه غضاً وآن أن يقطف
مثلك يلقى يداً على أما ... كاف من ناظرى أن يتلف
لو مر بى الليث مات خوفا ولو ... أبصر ضيفى فى النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ ... سود [illegible] والمقرف المقرف
أشطر من فى إذا وقفت ... عليه عينى فى الوقت لم يتلف
إذا سرنا بت الكروم فأسيص حى [illegible] تحف
[illegible] ... [illegible] مستصعف
[illegible] ... فوقى والأرض تحتنا تخسف
فقلت مالا [illegible] ... أخط [illegible] من قبل أن [illegible]

البدر لا ينسخ الظلام على دياجيه والبحر لا ينزف
عزمت أن أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف
فافتر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبلته فما استنكف
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وبجره في يمينه مرهف
إلى رياض يغازل القطر ما دبج من زهرها وما فوف
ما بين فتيان لذة عرفوا الـعيش فنالوا نعيمه الألطف
هذا يحيي وذا يغار وذا يلثم كرهاً وذاك يستعطف
برد الثرى بردنا وقد زرر الـبدر علينا دواجه المحصف
وبيننا خمرتان من ريقة الـكرم وريق أشهى من القرقف
ولطف الله لي بمدرجة أمتاها عند مثلي تلطف
أنشدته شعر مكشف فأتى يأتم تلك السطور والأحرف
ومات سكر فمت من فرح وكاد ستر الحرام أن يكشف

وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح] :

لما التحى أصبحت عمامته السـوداء تجلى بخضرة الحبك
وصار يختال أن يلين بخلق الـخز عن ردفه أو الفتك
في كل يوم تراه مؤتزراً بالروض بين الحيض والبرك
وما علمنا بأنه قمر حتى كسكنى قطعة من الفلك

وقال من أرجوزة [من الرجز] :

وليلة كأنها على حذر مرت أسرع من لمح البصر
من قصر لم أر ليلا مختصر ولا رماً اشتق بين من القصر

والليل لا يركب إلا فى غرر إذا وفى أحبابنا فيه غدر
زاروماأسودالدجى ولااعتكر أبيض إلا المقلتين والشعر
أغر أوقاتى إذا زار غرر لم يكن إلا السلام والنظر
أو قبلة عالستها على خطر حتى انتضى الصبح حساما مشتهر
وانفل من أهوائه فى جيش البكر فبت تحزونا كأنى لم أزر

« واحسرتا لليلنا كيف انحسر »

وقال [من المتقارب] :

عذارك جادت عليه الرياض بأجفانها وبآماقها
وطال غرام الغوانى به فقد طرزته بأحداقها

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمال فى الأقطار كل بدر مطرز بعذار
قد أرانا عقارب الشعر من خد يه تأوى مكامن الجلنار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يغض الغزال جفون الغزل وقد فضح الكحل فيها الكحل
ولا وجنى الورد فى وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسرع الألحاظ تخطف وردة من خده إلا عثرن بخاله
مذ نقبوه وزرفنوا أصداغه ختموا عليه على أقفاله

وقال من الرجز :

عرض الشعر عارضيه وأطلق العشق من يديه
كأن لصبا يهتز فى عصفيه وحسن عرى خده إليه
حتى إذا أبصر وجنته حدث نفس حاجبيه

جاد عذاريه بعبرنيسه   فكأنما يغسل من خديه
صحيفة قد كتبت عليه

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام ترك [من الكامل] :

علقت مفترس الضراغم فارسا   رحب المدى والصدر والميدان
قمر من الأتراك تشهد أنه الـ   ـمخود الحصان على أقب حصان
البدر في ظل الغمامة والنقا   في سرجه والغصن في الخفتان
ألفت طرتـــه وغرته وما   كان الدجى والصبح يأتلفان
ورمى بلحظيه القلوب وسهمه   فعجبت كيف تشابه السهمان
نظل حمائله كعارضه وحا   جبه الأزج كقوسه المرنان(١)
حييته عدنا وأمطر راحتي   قبلا فليت في مكان بناني
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي   ودرأت عني الحد بالكتمان
والمرء ما شغلته فرصة لذة   نسي العواقب آمن الحدثان

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وأعرضت إذ رأت في عارضي دررا   منظومة سمها الأحزان تنتظم
وللصبـــابة قوم لا يسرهم   أن يلبسوا الوشي إلا تحته سقم
أشتاق أهلي نفسي بين أرحلهم   والحب يوصل إذ لا توصل الرحم

ومن أخرى [من البسيط] :

ما ضن عنك بموجود ولا عقلا   أعز ما عنده النفس التي بدلا
يحكي المطايا حنينا والهجير جوى   والمزن دمعا والأطلال لديه بلى

ومن أخرى [من البسيط] :

حب كالدهر عضنا ويرجع   لا يأس صدق عنه ولا طمع

(١) المرنان : ذات الصوت ، ويقال للقوس ، تسمى بذلك لرنين صوتها

صحبته والصبا يغرى الصبابة بى   والوصل طفل غرير والهوى يفع

أيام لا النوم فى أجفاننا خلس   ولا الزيارة من أحبابنا لمع

وليلة لا ينال الفكر آخرها   كأنما طرفاها الصبر والجزع

إذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى   ورايتى اللهو واللذات لى شيع

أحييتها ونديمى فى الدجا أمل   رحب الذرى وسميرى خاطر صنع

حتى تبسم إعجابا بزينته   لفظ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل] :

رسولى إذا لم يغشهن رسول   صباً وقبول بل صباً وقبول

وقلب سوى قلب الكتيبة باسل   وحد سوى حد الحسام صقيل

وما حسن صبر ما ترين ولا رضا   بنأى ولكن المحب حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل] :

وما عشت من بعد الأحبة سلوة   ولكننى للنائبات حمول

ومن أخرى [من الخفيف] :

أنوار وأين دار نوار   أظلم الناس فى أشط الديار

ذات صدغ من البنفسج قد ما   ل على وجنة من الجلنار

ومن أخرى [من الوافر] :

ويغرينى بذكر الربع غيد   به صيد وحور فيه عين

سلان من الحداق السود بيض   فما ندرى قنا أم قسى

* *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النرجس من نوروز

أ... [illegible] ... على حكم ... [illegible]

ونهر الرياح عليه درع   مذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت   على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق   يغازلنى على قد رشيق
وجمر شب فى الأغصان حتى   أضاع الماء فى وهج الحريق
مدم الخيل فى ميدان تبر   يصاغ لها كرات من عقيق
فهل لك فى ختام المسك فضت   نوافجه ومختوم الرحيق

وكتب إليه فى وصف الجلنار [من الوافر] :

أحن إلى لقاء أبى على   ويأبى أن يحن إلى جوارى
وقد جلت علينا الراح حتى   مللنا جلوة البيض العذارى
وصفر أوجه العذال يوم   وجوه شموسه تحكى اصفرارى
ونهر تمرح الأمواج فيه   مراح الخيل فى رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا   نمير الماء يمزج بالعقار
كأن الماء أرض من لجين   مغشاة صفائح من نضار
وأشجار تحمله كؤوسا   تضاحك فى احمرار واخضرار
لنا أبصرن فى نهر سماء   وهن له نجوم الجلنار
فزرنا إن أن الراح تشكو السندامى   حيفى عار ونار

وقال فى الدير لدى قنطرة بنى مدجان، وقد شربوا هنالك ولبسوا أكاليل الزهر ورموا اسادى من [illegible]]

أقنطرة [illegible]   [illegible] حور نهى لا تألف الحور غيرها
[illegible] ونوص [illegible]   على [illegible] الأ[illegible] [illegible]ها

وكتب [illegible] [من البسيط]

[illegible] [illegible] عصوه [illegible]   [illegible] [illegible] عنق

فقد كتبت إلى أن عاني قلبي ... وقد ترددت حتى ملني الطرق
أنت امرؤ جوده غمر ونائله ... غمر ووبل نداه مسبل غدق
فابعث إلى بصفو الراح يشبهه ... منى قريض ومنك العرف والخلق

وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر] :

أظن اليوم يهطل بالمدام ... فإن الأفق مخمور الغمام
وما عودت حمل الكأس إلا ... على سكر السكروم أو السكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا ... كعهد شم الأعادي بالحسام
إذا طلعت شموس الراح فينا ... وهنا كل مسرجه اللجام
أغر الجود في بحر الأماني ... وبدر الملك في بدر التمام
ومن عدا بيوسف صار اسمي ... وصيره الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميتاً ... [illegible] الحبب المفضض في لجام
عبينا بذكرك واتقلنا ... عدحك دون سادات الأنام
طربت [illegible] أمالي ما ورائي ... [illegible] الراح مشعله أمامي
[illegible] مدعدمت بوائل ... [illegible] وخد لورد دامي
فأحي بها [illegible] أحلى ماء ... [illegible] من عداك إلى [illegible]

وكتب إلى صديق يستدعيه [illegible] من [illegible] [الكامل]

يوم لبست [illegible] الخلاعة [illegible] ... [illegible] [illegible]
في مجلس [illegible] العيش [illegible] ... [illegible] [illegible] خلاس
والطير قد صرت [illegible] ... [illegible] الكأس
والشمس [illegible] ... [illegible] لا [illegible] [illegible]
[illegible] لا [illegible] ... [illegible]

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وظبية من بنات الإنس في يدها　　　ووجهها للصبا والحسن خاتام(1)
قد حملت لؤلؤ الأزرار عن درر　　　لهن في نحرها القصى أتوام(2)
وزارت الروض منها مقلتان لها　　　وحشيتان وعذب الريق بسام
والكأس المسكر التبرى صائغة　　　والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا　　　كأننا في حجور الروض أيتام

هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة

وقال من أخرى [من المتقارب] :

نفرغ أكياسنا في الكؤوس　　　نبيع العقار ونشرى العقارا(3)
حمدنا الهوى ونسينا الفراق　　　ومن يشرب الخزيتس الخارا

ومن أخرى [من الخفيف]

اشربا واسقيا فتى يصحب الأيـ　　　ـام نفساً كثيرة الأوطار
والنفوس الكبار أنف [illegible]　　　ـدة أن يشربوا بغير الكبار
في جوار [illegible]　　　عرت بالغصون والأقمار
وغنى على أذن [illegible]　　　وتصغي لنغمة الأوتار
بين قوم [illegible] سجد للكأس　　　أو ركع على المزمار

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ... وعلها عند النسيم لطيف
فاشرب وثقل وزن جامك إنه ... يوم على قلب الزمان خفيف
أو ما ترى طرز البروق توسطت ... أفقاً كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف
وكأنما الدولاب ضل طريقه ... فتراه ليس يزول وهو يطوف

ومن أخرى [من الطويل] :

ولابسة حلى الشـــباب لعوبة ... بطرق الهوى عقادة للزمائم
غزال صريم فى رجوم صوارم ... وبدر تمـــام فى نجوم تمائم[1]
وكان رقادى بين كأس وروضة ... فصار سهادى بين طرف وصارم
ولولا تسبب مطرب من قصائدى ... لما احتال طيف فى زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل] :

أنسيم هل للصلح عندك موضع ... فيزور طيف أو تهب نسيم
والشيب دونك وهو موت مضمر ... والهجر وهو تفرق مكتوم
بى وبين الراح مثل حبابها ... دمع على وجناتها منظـــوم

ومن أخرى [من الطويل] :

وقد حالف الصحو الطلاء كأنني ... على [illegible] [illegible] وأدهم
وعهدي بها والليل ساق ووصلنا ... عقار [illegible] كأس أو كأس [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible]

ونبهت فتيان الصبوح للذة ... طبوا وما فيهم سوى الليل مجرم
وفي كل كأس للندامى بقية ... تلوح كدينار يغطيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجها إلى العراق ، فقال له : قل في الشعب ، فقد سمعت ما قال المتنبي ، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط] :

اشرب على الشعب واحلل روضة أنفا ... قد زاد في حسنه فازدد به شغفا
إذ ألبس الغيف من أغصانه حللا ... ولقى النجم من أطياره تحفا
وأثمرت حسنه الأغصان مثمره ... من نازع قرطا أو لابس شنفا
والماء يثنى على أعطافه أزرا ... والريح تعقد في أطرافها شرفا
والشمس تخرق من أشجارها طرفا ... بنورها فترينا تحتها طرفا
من قائل نسجت درعاً مفضضة ... وقائل ذهبت أو فضضت صحفا
ظلت ترف له الدنيا محاسنها ... وتستعد له الألطاف والتحفا
من عارض وكفا ، أو طائر هتفا ... أو بارق خطفا ، أو سائر وقفا

هذا مما قاله بديهاً وليس يستحسن في الوزن إلا أن أبا تمام قال [من الطويل] :
يقول فيسمع ، ويمشي فيسرع ، ويضرب في ذات الإله فيوجع
رجع .

ولست أحصي حصى الياقوت منه ولا ... دراً أصادفه في مائه صدفا
يظن من وقفت فيه نشحون به ... أن الصبابة شابت والهوى خرفا
مسعف الشوق فيه كل ذي شجن ... والشوق ألطفه ما كان معتسفا
وحل عرى لطمه وسربه متمتعة ... رق النسيم مباراة لها وصفا
ماذا يعول نحذ المدح ؟ قد نفدت ... ملك المعاني وبحر اللفظ قد نزفا

لم يبق لى حيلة إلا الدعاء فإن يسمع ظللت عليه الدهر معتكفا

وقال من قصيدة سذقية فى أبى الفوارس وأبى دلف [من البسيط] :

مازلت أشتاق ناراً أوقدت لهما حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسود من ذوائبها قد عط فيها قناع التبر واستلبا
قد كللت عنبراً بالمسك ممتزجا وطوقت جلناراً واكتست ذهبا
فالنور يلعب فى أطرافها مرحا والجمر يرعد فى أكنافها رهبا
وطار عنها شرار لو جرى معه برق دنا أو تلق كوكباً لكبا
لو كان وقت نثار خلتــــه دررا أو كان وقت انتصار خلته شهبا
والليل عريان فيه من ملابسه نشوان قد شق أثواب الدجى طربا
أقسمت بالطرف لو أشرفت حين خبت حملت أنفس أعضائى لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونا والفجر يضحك فى الشر ق إلينا مبشراً بالصباح
والثريا كراية أو كجام أو بنان أو طائر أو وشاح
وكأن النجوم فى يد ساق تتهاوى تهاوى الأقداح
وجمعنا بين اللواحظ والرا ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى طالعتنا من النور لأقاح
زمن فات بين لهو وشرب وغناء وراحــــة وزياح
معقلى نهر معقل فإن ارتحــــت إلى منزل فسير نجاح
وحياتى مما حوته إلى الخز ار مصروفة أو الملاح
مركبى مثل لحق أدهم حو ن ويحكيهما نديمى وراحى

مركبه السفينة والزورق وهما أسودان . ولحقه سوداء لأنه تناب . ونديمه أسود لأنه عرق . ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضى، وكان خرج من داره فى المطر فأعطاه كساء استتر به [من الكامل]

ما زال بى مهر الشبيبة جامحاً حتى حملت على المشيب الكابى
فسمعت أقبح ما سمعت نداءها ما بال هذا الأشيب المتصابى
إن حلفت برب أشرف كعبة فى مشهد النشوات والأطراب
وبكل علوع العذار مجرر فضل الإزار مسحب سحاب
وبمصرع الدن الجريح وحرمة الـــوتر الفصيح وذمة المضراب
ومتى حلفت بمثلها متأولا فصدقت بالأزلام والأنصاب
وأنا دعى فى البلاغة ملصق فى الشعر منسلخ عن الآداب
ويباع فى الأكراد شعرى إنه يغلو إذا ما بيع فى الأعراب
لقدار تقت بغى أبا الحسن العلى يطمحن منه إلى الآبى الآبى
الموسوى الناصرى أبوة وخؤولة علوية الأنســـاب
فى حيث أرتت النبوة نارها غضبا تنور الحق كل سهاب
لا أدعى لك . إنما لك أدعى أنى وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم قريشا رفعة وأقر عين قصيها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم مترددين إليك فى الأصلاب
حتى ولدت فأغمدوا أنسابهم وغدا وجودك أشرف الأنساب
أنسابـــ هاشم الذى يعرونه بقرى ونظر غالب الغلاب
أشكو إليك عشية لم تفترق فيها على ملل ولا استـــعتاب
ما كنت إلا جنة فارقتها كرهاً فصب على سـوط عذاب
ودعت دارك والسماء تجودنى بيد الغمام فلا أرى لك ما بى
ما زلت أركض فى الوحول مبادراً فيها الخيول لواحق الأقراب

جربت والعكاز أخصر شكتى   حصراً ولكنى أعز ركابى
ورأيت غالية الطريق ومسكه   طينا ممداً لى على الأثواب
وحى كساؤك لاعدمت معيره   دراعتى وعمامتى وجبابى
فوليت يا بحر السماحة كسوتى   وولى أخوك الغيث بل ثيابى
غيثان هذا ابن الذى من أجله   خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـــغيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفها   ما بين ألفاظ شرفن عذاب
جاءتك بعملها الخال، وربما   وقف الحياء بها دوين الباب
أهديتها خجلا إلى متغلغل   أفكار عصـــد مرة الآداب
لا بل القريض ابن المعافى بل أخي الـ   إعراب حين يعوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبة   فى الفضل نافرة عن الخطاب
انظر بعين رضا إلى ما صغته   وأعره سمع مسامح وهاب
وتجاوز الخطأ لتسبيح وأخفه   عن ناظر المتعيق المغتاب
و[illegible] إذ أنشدتها فى محفل   نعترت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية فى يوم صب الماء من مجزوء الكامل :

عدل الحبيب فمن يجور   [illegible] فأين [illegible] بصير
عوضت من عيش بدو   [illegible] فى [illegible] [illegible] [illegible]
وترنت ما وسع الصغيـــر [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] وقـــد [illegible] [illegible] [illegible]
والبـــدر فى أفق سما   [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

صرعى بمعركة تعسف الوحش عنها والنسور
نوار روضتنا خدو د والغصون بها خصور
والعيش أستر ما يكو ن إذا تهتكت الستور
هبوا إلى شرب المدا م فإنما الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنها فيه ضمير
وتظل تحت حبابها خداً تقبله ثغور
حتى مسجدنا والإما م أمامنا متنى وزير
وإذا صحونا فاللسا ن العذب والفكر الغزير
نقتض معنى أو يولـد بيتنا مثل يسير
أو يمدح الملك الجليـل السيد الفرد الخطير
ما عزه شيء مضا ه فكيف أعوزه النظير

ومنها :

وغداة أنس بشرتـك بها المعازف والخور
إذ ماء ورد غيثنا والأرض تربتها عبير
تغرى بصب الماء با ملكنا أنامله بجور
ونقول سيبك هكذا صبت على العافى البدور
ويقول سفك هكذا تجرى ، إذا غضب ، النحور
هيهات تسمو الشعو ر ولم تسديك الثغور
قد أدعت أرض العـد و وجاء النصر البشير
هذى الأمانى في عـلـ والسرور معى أجير
دانيت مصصت ص ق إ د القمر المنير

وجررت أذيالى بمجـــلسه وقلت فن جرير
وكأن عاماً عشـته فى ظله يوم قصـير

وقال يصف القناعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر] :

شغفت بداية لى أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناع
باردة المحس وما اقشعرت معصبة وليس بها صداع
تمنع أو تحل ذؤاباتها ويعسر عن مفارقها القناع

وقال يصف سوداء [من البسيط] :

يا رب غانية بيضاء تصحبنى من العتاب كؤوساً ليس تنساغ
أشتاق طرتها أم صدغها ومعى من كلها طرر سود وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فرقتنا يا امه المسك نار تحته زاغ(١)

وأمره عضد الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من الكامل] :

مرقومة الجنبات بالبدع التى لم يهدها قط الربيع لروضـــه
كتمت روائحها فلما عبقت بالنار فاح نسيمها فأفرت
وكأنها الملك الأجل السيد منصور عضد الملك تاج الدولة
أذكى مجامرها بنار ذكائه وعلت لديها بعز عو غمه

وقال من قصدة عضدية يمدحه [من .....ـو...] :

لست ترى الأوصح ى دهمة الدجى ومستوهـ ...ـطـ... ...ـيو
دعا ... بحمى تصعدت ...ر..ـه ...روف وعقد ...ـبح ...ـه وتق(٢)

---

(١) زاغ ... عر... ...ـصور لو ...ـص
(٢) ...ـحه ... ...ـر...

وليلا كيوم الوصل أما رياضه فزهر وأما مسكه ففتيق[1]
وبغداد بحر ساحلاه جواهر ودجلة روض طرتاه شقيق
وقد صار ياقوتا حصاها وعنبرا ثراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ولا ذهباً صيغ منه جبل
إلى أن جرت دجلة فى الشعاع وطنب بالنور أعلى القلل
سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهى وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ن حتى تلون منه زحل
فكنا نرى الموج من فضه مذهبه النور حتى اشتعل

وقال من أخرى يستهدى مهراً ويصفه [من الطويل] :

إليك بعثناها شوارد ضمنت معانى لولاها لما شرف الشعر
عروساً ولكن زوجت بنت ليلة مخدرة لكن فكرى لها خدر
إذا قال جسمى تستحث بحلة تقول له رجلاى بل مهرها مهر
فمن لى به لا الدهم فازت بلونه ولا البرش حازت ردتيه ولا الصفر
كميت تذال الشهب والبلق إن بدا وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً مثل لونه ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر
مغرنه مصتة وحجوله ولكن أريقت فوق سائره الخمر
وأسبق من عاف إليك وشاعر قوافيه أفراد محجلة غر
علو شامه فى أرض فارس فارس لما أمسيا إلا ومصر له مصر
نتاج فتى فى الحرب تنتج خيله وبالدم تسقى والنزال لها ضمر

---

(١) الفتيق : المشرق .

وقال من أخرى فى وصف السكر المبنى بشيراز [من الطويل] :

على نهر سل فى دجى الليل من رأى كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى به العين إلا الثلج مستودعا جمرا
ترى قد أعاد الليل مسكا عبيره وماء أعاد البدر فضته تبرا

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه فى الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح] :

جملة أمرى أنى ركبت إلى داركَ ــ لما أتيتها ــ الخطرا
لبست دراعتى وعمتى الـــخز قصارا كما ترى حبرا
أصبحت فى الطين عقعقاً بلقا وإن تعريت خلتنى نمرا

ومن أخرى فى وصف عمامه [من البسيط] :

حسناء صافية بيضاء ضافية كأن رونقها فى صارم ذكر
يزين أطرافها طرز كما رفت على المجرة طرز الأنجم الزهر

وقال فى وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لون واحد وهو طائر ملونة أبراده وهو واقع
أغر بحتى الطيلسان مدبج وسود المنايا فى حشاه ودائع
إذا حك أعلى رأسه فكأنما تسالفتبه من يديه جوامع
يخاف إذا ولى ويؤمن مقبلا ويخفى على الأقران ما هو صانع
بدا فارسى الزى يعقد خصره عليه قباء زينته الوشائع
فمجره الوردى أحمر ناصع ومئزره التبرى أصفر فاقع
يرجع ألحان الغريض ومعبد ويسقى كؤوساً ملؤهن السم ناقع

غرر من مدائحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك الـــعاصي فتحويهما أيد وأعناق
في كل يوم لبيت المجد منك غنى وثروة ، وليبت المال إملاق
كم خضت في لجة كالبحر زاخره ماء المتون بها حاشاك دفاق
وفتية من ليوث الحرب قد خطت بالمرهفات لهم في الروع أرماق
من كل نعل حياة لا يفارقها إلا على أنه في الحرب مطلاق
أمام كل خميس كل يوم وغى كأنه في صدور الخيل أطواق
دم أين شئت من الدنيا تنه فما للجو عرض ولا للبحر أعماق
من شك أنك مخلوق لتملكه فذاك من شك أن الله خلاق
فللسماء سماء من علاك وللـــآفاق من ذكرك المحمود آفاق

ومن أخرى [من البسيط]

يا أهل لست بمشتاق إلى وطني حتى أرى جيل ماحسر منكم
أضحى بها في الأضحى غيره لا " عرب التمرفيه ولا " عجم
أصغر أصحبه في غير يوم وغى لما أصحبك إلا الخيل والبهم
وزعما أنت لطف الله حسبه ما وفي يدك الأرزاق والقسم
عذب حتى همما أن تحور . وكم من شاكر منه في صنعها نقم
بث المسيح وقد ماتت دلالته لولا هدى بت صنت به الأمم
في كل ناحية منه تبعها أمم هدى منها عيد والأذى أمم
إن البلاد ومن فيها مروعة بها إليك وإن ما ظلتها حرم
ومن مالي إذا ما كنت شاهدها ... ن عاب معصد عنها ومعتصم
عضد معضد ثوى سوف أدركها وبي موت في أمتالها قسم

ومن أخرى [من الطويل] :

يشبهه المداح فى البأس والندى　　بمن لو رآه كان أصغر خادم

ففى جيشه خمسون ألفاً كعنتر　　وأمضى وفى خزانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط]

ومدح غيرك ذنب لا يقال ، وما　　نصوغه فيك تهليل وتحميد

فعش أعش فى ذرى رحب ودم ندم السـ　　ـخيرات لى واتق يبق الجد والجود

وقال من أخرى يصف بها قصرا بنى على دجلة ونقشت فى حيطانه أشجاره [من الكامل]

فالروض عقمت الصبا أصداغه　　والموج صففت الشمال طراره[1]

وأظن دجلة أسلمت ، أو ما رأيـــــت الجسر يقطع وسطها زناره

وحكى بناء المجد فيها عارض　　عرس الصنائع حولها أشجاره

قد صور الفلك المدار كأنه　　أنشاه فـــــى كيانه وأداره

وبنى على شرف الثريا مصرد　　وطمحا على فلك النعائم داره [2]

فالتبيد يصقل صاعود لجينه　　والساج ينقش عطصوه نضاره [3]

شغلت حواط [illegible] وحط عنو [illegible]　　[illegible] صار يحض [illegible] أشماره

أوسع مثالا [illegible] حضرت [illegible]　　[illegible]

يسى العماق واصعب أحباره　　[illegible] مصر [illegible] أمصاره

ومن أخرى فى وصف حرب [illegible] [من الكامل]

يا سيف [illegible]　　[illegible]

---

(١) الطرار : جمع طرة [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

ما إن سننت لهم سناناً فى الوغى إلا أطل عليه منهم أيطل
فالروض من زهر النجوم مضرج والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوب بالنسور مطير والأرض فرش بالجياد مخيل
يهفو العقاب على العقاب ويلتق بين الفوارس أجدل وبجدل
وسطور خيلك إنما ألفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

ومن أخرى فى وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن قلب الندى وحشى السحائب تنزل
ولقد نثرت على الهوا أمثاله ذا سجسج صاف وهذا سلسل
وكأنما ذهبى زراقاتنا ترمى بأسهم فضة تنسلسل
من فوق كل ذؤابتيه سحابه أو بين كل اثنين منا جدول
فأرقت حتى ماء وجهى إنه مع غير ماء الورد لا يتبدل
ماترك لنا ماء الشباب ولا ترق ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

لم يدر حتى وقد جاء البشير به أن الزمان لما نرجوه متسع
فوارها لست غاب تحته فرس وبدر تم عليه التاج والخلع
لما تطلع والرايات تكتمه فى ظلها وشعاع الشمس مرتفع
أعدى بإقباله من أهلها قمراً لم يحسبوا أن در السعد يرتضع
فبينها منه روض زهره درر ثنى العقود ومزن قطره دفع
لاحظ أباك فهذى مصر معرضه وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
حكمهما لم يروا غدراً ولا نقضوا عهداً ولا أضمروا غلا ولا ابتدعوا
أنا أتى الجود وإن المجد لا يلد إلا سواك أو السيف يفترع

فدى لجودك آمالى وسابقها   ومطمح من ثمار الشعر مختنع
فالقائلون بطاء عن مداى وإن   أبدعت منى فهم فى أخذه سرع
هم إذا خلطوا شعرى بشعرهم   كالطير يهذون أو يحكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاءه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] ·

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً   لك شوقه المطوى فى أسراره
ودعا الملوك فلم يلب دعاءه   إلا أحقهم بدار قراره
عظمت أمر الله فى تعظيمه   وأقمت دين الله فى استحضاره
وافاك فى برد النبي محمد   بهدى النبي وسمته ووقاره
يشكو إلى الإسلام وخط مشيبه   ما كلفته الترك من أسفاره
حتى بدا عضد الهدى وكأنما   كان الخضاب أحال شيب عذاره
حتى إذا أبدى الإمام أمامه   ملكا كبدر التم فى أزواره
خلعا على الكرسى لباسا غابه   [illegible] بعض بحاره
وغداة ظلت مسابر الإقبال فى   خلع الإمام وطوقه وسواره
متسوراً أهلة منطوقاً   بالشمس أو بالبدر أو بإطاره
فى خلعه صبغ الشباب بعينها   فاخلق [illegible] على [illegible]

هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود . وقد سبق [illegible]

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

[illegible] من قصيدة فى أبى [illegible] بن محمد [من [illegible]]

[illegible]
[illegible]

وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب] :

ولما وقفت أمام الإمام   تأخر خلصانه والشيع (١)
دنوت إلى تاجه والسرير   مهداً تعالى وذاك اتسع
وضاحك برد النبي القضيـ   ـب أنساً بخوضك فيما شرع
سفرت فتيمه ما رأى   وقلت فأطربه ما سمع
وأنت فضائلك الباهرات   على ملك الدهر فيما اصطنع
طلعت فكنت كنجم الصبا   ح دل على الشمس لما طلع
ومن كلف الدهر أمثالكم   فقد كلف الدهر مالم يسع

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمت وسدت فالجدوى انتهاب   إذا زرناك والمـدح اقتضاب
أخزان وما أبقيت مالا ؟   وأبواب وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدية من الخفيف :

وإذا هنىء المـلوك فصحـبـت   من العيد أسعد التهنئات
وهداك الحل بالنحر في أر   ض منى والمهل في عرفات
وسجلت أجر من خلع الإحـر   م عنه لأطهار في الميقات
وأجاب الإله فيك دعائي   فهو الذي سامع لأصوات
زرته والغنى مني وبدني [illegible]   [illegible] الناس عهدها الصلات
فكأني ملكت ناصية الدهـ   ـر فصرفتها على شهواتي

---

(١) الخلصان : الأصدقاء المخلصون

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فما أرى ... فى العالمين سوى سعيد يسلم
وله من الحسن البديع براقع ... وعليه من بشر السماحة ميسم
عبق به مسك الثناء تكاد فى الـ ... ـنادى نوافج ذكره تتكلم

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه ... يا شقوة المتشبهين بأحمد
يشرون مثل جياده وعبيده ... أفيقدرون على ابتياع السؤدد

ومن أخرى [من الخفيف] :

هو بحر من مائه ذائب التبـ ... ـر وأدنى أحجاره الياقوت
لى طعام من داره وشراب ... ومقيل فى ظله ومبيت

ومن أخرى [من البسيط] :

أقبل على وقل ضيق ومتبعى ... وشاعرى قاصدى راجى عثارى
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الـ ... ـدنيا فأين أقضى بعض أوطارى

ومن أخرى [من المتقارب] :

أفارق بغداد لا عن قلى ... وأسرى إلى البين لا عن كره
أروح وأغدو وفى قائدا ... ن عز الإباء وذل العدم
وأرجو فى سكرما للندى ... كما رجت الأرض صوب الديم

ومن أخرى [من البسيط] :

ليس الوزارة إلا عندكم ولكم ... ولا مغارسها إلا سوركم
لو أنصفت كل أرض فى مناسبها ... لكان فى أرضكم ... أسكركم

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل] :

أفلا أجاز ولى ثلاثة أشهر لا تعلمون بما أقيم تجملى
قد بعت حتى بعت طرة قائما تحت القدور على ثلاثة أرجل
ورهنت حتى قد رهنت منادمى ومناشدى ومذكرى ومعللى
فرأيت حالة حاسديك كحالتى ورأيت منزل حاسدى كمنزلى

ومن أخرى [من الوافر] :

لبست العدم حتى صار ذيلى يضيق تقلبى فيه كزيق
وكادحت المطالب بعد ضر ودارأت المعيشة بعد ضيق
فقد أوقدت صندوقى ثيابى وصب الماء فى حب الدقيق
فهل فى الناس يا للناس حر يبيض وجه ممتحن مضيق ؟
أريد أخى إذا مالت عرتى وصرت إلى المعيشة فى مضيق
فأما حين يصلح بعض حالى فإن الناس كلهم صديق

ومن أخرى [من الوافر] :

فضتكم برغم المجد شهراً أشد على من شهر الصيام
وكيف أزوركم والمزن تبكى على دارى بأربعة سجام
وكانت منزلا طلق المحيا فصارت وادياً صعب المرام
وبحر من تجد به خلوصى إليكم ظامئاً والبحر طامى
ثناتى كالضفادع فى ثراها وأهلى فى الروازن كالحمام (١)
أنادى كلما ارتعدت سحاب فأسكتنى البوارق بابتسام
حوالينا بدلت ولا علينا كفانا الله شرك من غمام

(١) الروازن : جمع روزنة ، وهى الكوة .

تهالت ركع الجدران فيها · سجوداً للرعود بلا إمام
كأن مصون ما أحرزت فيها · على أبواب مشرعة الخيام
فلا باب يرد ولا جدار · يرد الطرف عن وجه حرام
وكانت جنة الفردوس عادت · ملاعب جنة ووكور هام

ومن أخرى [من الخفيف] :

زرت حتى حجبت وانتقب النا · س مقابيس طرزا باحتشام
إن بوابك القصير طويل الـ · ـباع في سوء عشرتي واهتضامي
هو تعويذ ملكك البارع الحسـ · ـن وشيطان عبدك المستضام
سمج الوجه لو غدا حاجب البيـ · ـت كفرنا بالحج والإحرام

ومن أخرى في شاور الوزير يشكو حاله وسمعة في سكره من الطويل]

محاسن غضت ناظري من سنا · وفضل نهاني وصفه أن أشبا
ترى كبرياء الملك فوق جبينه · [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وليس الذي [illegible] وجدوده [illegible] [illegible] [illegible]
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظر · إلى [illegible] أي [illegible] [illegible]
إلى شاعر [illegible] [illegible] · [illegible]
ألم يخبر [illegible] نقصي · [illegible]
ولم [illegible] في [illegible] [illegible] · [illegible]
[illegible] الشعراء [illegible] نقصي · [illegible]
[illegible] · [illegible]
أطوا أي إن [illegible] [illegible] · [illegible]
[illegible] · [illegible]

---

(١) [illegible]

وكم سار شعر قاعد عنه ربه ... ودون قوله من تطيح وشوبا
سلوا الموت عني كيف فللت غربه ... ونازعته نفسي وقد كر مغضبا
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا ... على نرجس قبل الشبيبة شيبا
ودجلة تجلو في المصندل شاطئاً ... يرق وطياراً يخف ويربا
وكانت لنا في جبهة الدهر لبلة ... كهملك لان العيش فيها وأخصبا
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً ... وأحسن فيها بعدما كان مذنبا
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالما ... ويا سوءتا إن مركبي زل أو كبا
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي ... فلا عار إن خطب على توثبا
وصبراً على خير الخمار وشره ... بما قلت أهلا للكؤوس ومرحبا
أروح وصبغ الراح يخضب راحتي ... وأغدو ببعضو من دمي قد تخضبا
فلو نظرت عين الوزير لشاعر ... على مركب قد شانه الله مركبا
رأى اللهو ميتاً والمجون مجدلاً ... صريعا وجثمان السرور معذبا
وبالكرخ أشياخ هوى فأكثروا السعضول لعمري والأذى والتعجبا
يقولون لي ب لا تعود لمثلها ... وهيهات ضاع الوعظ عندي وخيبا
وكم قبلها قد مت بالسكر مرة ... فعدت فكان العود أحلى وأطيبا
كذا أبداً إما تراني بجرة ... دبولي سكر أو كسيرا مشعبا
ويشكر على الأحرار حتى مؤوتي ... إذا ذهبت في سوء لدهر مذهب
[illegible] جفانا من [illegible] ... وأحمد [illegible] كان يرجى وأجدبا
[illegible] وصرف ومعا [illegible] ... وحيب ومسحورا إلينا محببا
رأيت [illegible] قد أحرزت [illegible] ... [illegible] مربضاً له وتشبا
[illegible] لا أرى ... [illegible] فقالت هيا أبا
[illegible] ... [illegible] ولا ضوقا على السحر مذهبا

فقلت لها ظل الوزير يبيحنا جناباً إذا رضنا به الدهر أعتبا
إذا كان بدر الملك سابور طالعاً فلست أبالي بعده من تغيبا

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف] :

لي فيك التي ترى البحتري اســـتار في نظمها أبا تمام
فهي لفظ سهل ومعنى بديع غرة الفكر درة [في] النظام
كلما أنشدت شهدت بأن الـــشعر أمر مسلم للسلامي

ومن أخرى [من الكامل] :

وأزور دارك وهي آنس جنة فيفيض حولي من يديك الكوثر
وأقول فيك فلا تفاخر طيء إلا وتسجد لي وتركع بحتر

ومن أخرى [من الطويل] :

وهنيته وحباً من الشعر لم يتق ألفاظ غيري عند غيرك درهمه
صحيفته قلبي إذا ما كتبته وأقلامه الأفكار والطبع نقسه

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقافية مثلك أوضاح ولكن أفضى فيه [illegible]
عراقية اللفظ شامية [illegible] [illegible] مصطنع
[illegible] [illegible] سوى [illegible] الشعر ما تستمع
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقال [illegible] أخرى [illegible]

و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومة تحت حضن الدجى مقبلة بشفاه الأماني
تروق زهيرا أزاهيرها ويعشو إلى ضوئها الأعشيان

ومن أخرى [من الوافر] :

وقد زعمت رواة الشعر أني ملكت عنان أبلقه العقوق(١)

* * *

قد تمت — بحول الله تعالى وتيسيره — مراجعة الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثالث مفتتحا بترجمة « ابن سكرة الهاشمي » نسأل الله — جلت قدرته — أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله ، آمين

---

(١) الأبلق العقوق : مثل يضرب لما لا يكون ولا يوجد . قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي . قال : لا . قال : ولعشيرتي ، فتمثل معاوية :

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

فهـــــرس

الجزء الثانى من كتاب « يتيمة الدهر » فى محاسن أهل العصر

لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى

ص

ص

الباب العاشر

فى شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

القسم الثانى

فى ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : فى الملوك الشعراء منهم

الباب السادس

في نفر من شعراء العراق . سوى بغداد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد